خطاب كراهية علني

رامز النويصري

لا يكاد يخلوا حديث أو لقاء يجمع اثنين، أو جماعة، من مستوى أو أكثر من خطاب كراهية، وهو وإن كان مصطلحات حديثا، إلا أنه بالدراسة والبحث، سنكتشف أن هذا الخطاب يمثل جزء من منظومتنا الثقافية، التي تربينا عليها سلوكا وممارسة، بدأ من البيت إلى المدرسة، إلى الشارع أو المجتمع. ولها أبسط صور هذا الخطاب، إطلاق الألقاب والصفات على الآخرين، ولأسباب عدة: عيب خلقي، خلفية اجتماعية، جهوية، بل إما نجد من يشجع ابناءه على التلفاز وممارسة هذا النوع من الخطاب كنوع من التحفيز لإكسابه الشجاعة.

المجتمع الليبي، كمجتمع عربي، يتكئ على رصيد تراثي كبير من خطاب الكراهية، يجده المواطن ومنذ تاريخ ولادته، جاهزا للتناول على جرعات خلال سنوات حياته، تعتمد في أساسها على ما يتبناه أسرته أو عائلته، وما يمده بها تاريخا الشخصي، وتركز على الفوارق بين الناس، في المعيشة، والمرجعية والانتماء القبلي، وفي المجتمعات المتعددة الأعراق والديانات، تضاف الفوارق العرقية والدينية، على مبدأ التمايز والفوقية؛ هم ونحن. وسنجد أن هذا المواطن، عندما يتشكل وعيه، ويبدأ في ممارسة حياته، لن يلاحظ أن يمارس أحد أساليب نشر الكراهية دون أن يدري، وينقله إلى أبنائه، في ظل مجتمع أو محيط يشجع على ذلك، بل ويمتلئ مخزونه من الأمثال والحكم الشعبية، والشعر الشعبي، والحكايات، والمرويات الشفاهية، بالكثير من العبارات المصنفة خطاباً للكراهية.

تعرّف موسوعة ويكيبديا (خطاب الكراهية) بأنه: (أي؛ عبارات تؤيد التحريض على الضرر (خاصة التميز أو العدوانية أو العنف) حسب الهدف الذي تم استهدافه وسط مجموعة

اجتماعية أو سُكانية، وتكون هذه المجموعات عادة من الضعفاء والأقليات. ويندرج خطاب الكراهية في مركبات (حرية التعبير وحقوق الأفراد والجماعات والأقليات ومبادىء الكرامة والحرية والمساواة).

ومن المهم أن نعرف إن دول العالم (قانونياً) تفرق الآن بين حق الرأي وحق التعبير عن الرأي، فإن كان لا يضع أي قيد على حق الرأي ويجعله مطلقاً، في بعض الأحيان، لكنه في المقابل يضع قيوداً وضوابط على التعبير عن هذا الرأي؛ منها احترام حقوق الآخرين وحماية الأمن القومي. فخطاب الكراهية يتعارض وقيم التسامح والعيش المشترك التي تحتاجها الجماعات البشرية.

تتنوع جرائم الكراهية ما بين ممارسة العنف ضد الآخر، وظهورها في صورة المضايقات والتهديدات والتسلّط في المدرسة أو أماكن العمل. كما يمكن أن تأخذ الكراهية شكل لوحة أو كتاب أو نص أو ملصق أو أغنية أو فيلم، أو أي إنتاج آخر ينطوي على عناصر مهينة وتهديدية. جرائم الكراهية لا تستهدف فقط الأفراد أو الجماعات، إنما المباني العامة والخاصة أيضاً، وكذلك دور العبادة وممتلكات الأقليات.

رغم أن عدداً من الدول أصبحت دساتيرها وقوانينها العامة تتضمن تعريفات للكراهية وجرائمها والعقوبات التي تفرض على مرتكبيها، إلا أن الكثير من الدول الأخرى، خاصة العربية، لا تزال جرائم الكراهية فيها أحد أكثر المواد القانونية إثارة للجدل والاجتهاد بين مكونات المجتمع.

ونظراً للتقاطع والاختلاط الذي يقع فيه البعض بين حرية التعبير كأحد أهم الحقوق الشخصية للفرد وبين خطاب الكراهية تحافظ الدول الديمقراطية على توازن يحمي جميع شرائح المجتمع. وللكراهية أوجه متعددة منها ما هو اجتماعي أو ثقافي، كما أن الكراهية الدينية هي الأخطر لأن أثرها يظهر سريعاً ويفتت المجتمعات، بينما تتسبب الأزمات السياسية بكراهية اجتماعية. وتظهر هذه الكراهية في الشعارات والمواقف والخطابات السياسية والدينية المتشددة التي تكون غالباً المصدر الرئيسي لنشر ثقافة الكراهية.

والكراهية لا تنمو إلا في المجتمعات غير المستقرة، والتي تعاني من انقسامات عرقية وطائفية ومذهبية وتغيب عنها ثقافة التنوع وقبول الآخر، ويقاسي فيها الناس من غياب الأطر والضوابط السياسية والقانونية المنظمة. ويمكن لقضية الأقليات العرقية والدينية أن تشكل مدخلاً للتوظيف السياسي لدى بعض الدول بأن تثار كراهية كيانات ضد كيانات أخرى. كما أن للمحسوبيات والمنفعة الخاصة والتهميش والإقصاء الممارس دورا في توليد الكراهية والعنف. وأبرز أدوات صناعة خطاب الكراهية؛ هي نشر الكذب والافتراءات والتلاعب بالعقول وتزوير الحقائق وتزييف البيانات. وهي سلاح يفتك ببنية المجتمعات ولا يكلّف الدول مالاً وجهداً كثيراً.

جميع وسائل الإعلام، بما فيها الإعلام الإلكتروني (مواقع، منصات تواصل)، تتحمل مسؤولية رئيسية ومباشرة، إلا ما رحم ربي، في بث خطاب الكراهية بصورة متواصلة على مدار الساعة للمشاهدين والمستمعين والقرّاء حيث تزايد الإعلام المتخصص بالبغض والكراهية في ظلّ غياب شبه تام للإعلام المهني الذي يقوي الروابط الوطنية للمكونات الشعبية ويواجه الإعلاميين الثرثارين الذين يهتكون النسيج الاجتماعي عبر التحريض الأعمى على العنف والإقصاء. وفي البلدان العربية حيث تتشابك المعايير وتمتزج المصطلحات وتفتقد الضوابط اختلط النقد بالشتم، وتصاعدت وتيرة السباب والقذف في الخطابات التي تجد استحساناً لدى شرائح اجتماعية واسعة، حيث تلهب الخطابات الشوفينية المتشددة مشاعرهم وحماسهم. هذه الحدة تعود في أحد أسبابها إلى التناحر والصراع السياسي والأيديولوجي والديني بين مختلف القوى والأحزاب والدول، ويصبح معه إعلام الكراهية سلاحاً لكسب الحرب. وكافة الأطراف التي تدعم وسائل الإعلام القائمة على نشر الكراهية وتمولها وتغذيها، غايتها تخدير الشعوب وتغييب وعيها وإشغالها عن حالة الشقاء والبؤس التي تسم الوضع العربي الراهن. والهدف هنا هو إبقاء الشعوب العربية أحجار شطرنج وبيادق تتقاتل دون أن تغادر الرقعة، ويظل اللاعبون الرئيسيون متحكمين بمصير المنطقة.

الدعوة موجهة للجميع، وبشكل خاص الكاتب والمثقف، للقيام بدوره، من خلال حوار ثقافي مفتوح لهذا الانهيار الأخلاقي في الخطاب ووضع استراتيجية شاملة لاستئصال داء الكراهية المقيت، الذي صار يتمكن من ثقافة المجتمع، في كل يوم أكثر أكثر.

المؤسسات الإعلامية
ودورها في نشر والحد من خطاب الكراهية

أمراجع السحاتي

المقدمة

يعتبر خطاب الكراهية من صور العنف اللفظي إذ تعلو فيه لغة الذم والقدح والقذف والشتم والطعن والكره والتعصب والتمييز والاستعلاء على الآخر وتحقيره وإقصائه. عرف خطاب الكراهية بين العرب منذ الجاهلية حيث ظهر ذلك في أشعار الهجاء والذم من قبل الكثير من الشعراء العرب للأمراء والملوك وحتى المساكين والفقراء، كما ظهر بعد الإسلام وكان هناك سجال في خطاب الكراهية بين الكثير من الشعراء مثل السجال الذي حدث بين الفرزدق والأخطل، كما ظهر في الأشعار الليبية الشعبية حيث اظهر بعض الشعراء خطاب الكراهية من خلال أشعارهم ضد أشخاص وحتى قبائل حيث اظهروا فيها ألفاظ وكلمات ومعاني فيها استحقار واهانة وقدح وذم.

بظهور وسائل الإعلام المختلفة من صحف، ومجلات، وإذاعة مسموعة ومرئية أرضية ثم عبر الأقمار الصناعية، والشبكة الدولية للمعلومات الانترنت وموقعها المختلفة بكل مأساويها وخدماتها مما ساهمت في تقريب الشعوب من بعض البعض، وصارت من أهم وسائل التأثير خاصة في التنشئة الاجتماعية والسياسية والثقافية، ومع تطور هذه الوسائل جذبت الخصوم لاستغلالها في الصراع الدائر بينهم حيث صار يستفاد منها في بث ونشر خطاب الكراهية الموجه بين الأطراف المتصارعة، إضافة إلى ذلك صارت تستغلها منظمات ودول عدائية في زيادة الصراع بين طرفين متخاصمين وإثارة الفتنة بين أطراف في حالة سكون من استعمال خطاب الكراهية. بعد اكتشاف الطباعة وظهور الصحافة الورقية صار هناك اتصال بين الناس من الذين تصلهم تلك الصحافة

فصارت الصحافة تقرب من مواطني المدينة التي توزع فيها نسخ من جرائد وصحف ومجلات تلك المدينة، ومع تطور وسائل الاتصال والمواصلات صارت الصحف والمجلات تصل مدن أخرى ودول أخرى وصارت وسيلة تأثير في الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي ولكن هذا التأثير كان تأثيراً ضعيفاً بسبب أن الذين وصلتهم تلك الصحف والمجلات ورسائلها الإعلامية قلة وهم ما أطلق عليهم المثقفين.

ومع اختراع الراديو أو الإذاعة المسموعة صار الخطاب الإعلامي له تأثير ولكن بمستوى ليس بالكبير وبعد اختراع التليفزيون أو الإذاعة المرئية صار تأثير الخطاب الإعلامي يزيد وادخل في محيطه قدر كبير من الناس خاصة في المدينة الواحد فبعد أن كانت الجريدة يقتنيها عدد من المتعلمين وهم قلة بالمدينة صارت الرسالة الإعلامية أو الخطاب الإعلامي يصل كل بيت بعد أن امتلكت معظم اسر المدينة أجهزة لاستقبال ما تبثه الإذاعة المسموعة والمرئية من رسائل وخطابات إعلامية. خلال الحرب الباردة استخدم القطبين كافة وسائل الإعلام في التأثير على مؤدي كل منهما من خلال خطابات إعلامية متنوعة منها المسموعة ومنها المرئية، في المسموعة برزت إذاعة السلام والتقدم السوفيتية، كما برزت بي بي سي اللندنية، وصوت أمريكا الأمريكية وكل منها له خطابه الإعلامي بعضه فيه ألفاظ وكلمات ومعاني لخطاب الكراهية .

استفادت من خطاب الكراهية عصابات وجماعات وأحزاب وتحصلت على مكاسب كبيرة حيث وظفت المنظمات الصهيونية خطاب الكراهية الذي وجه لليهود في أوروبا خاصة أبان الحكم النازي حيث استثمرت ذلك الخطاب بأشكاله من ما كتب عنهم في وسائل الإعلام وما كتب حتى جداران بيوتهم ومحلاتهم، ومن محارق لليهود ومعادة السامية، نهيك عن نقد الكتاب على أسلوبهم المرابي خاصة في كتابات وليم شكسبير خاصة في مسرحية تاجر البندقية، وشارل دكنز في رواية أوليف توست وغيرهما. كما استفادت منه جماعات في إفريقيا في تكوين دول بسبب خطاب الكراهية مثل بروز دولة جنوب السودان وغيرها.

وألان هناك جماعات وأحزاب تقوم باستثمار خطاب الكراهية للحصول على مكاسب سياسية في ظل قوانين المجتمع الدولي التي حددت بعض العبارات والمصطلحات والكلمات لخطاب الكراهية محاولة إبراز تلك الكلمات والمصطلحات لهذا المجتمع.

أولاً خطاب الكراهية والإعلام

أ- خطاب الكراهية وتأثيره في خلق الصراع

تعريف خطاب الكراهية:

الخطاب "1- مصدرها خاطب.

2- ما يكلم به الإنسان صاحبه. 3- الرسالة .(1) "

الخطابة "فن أدبي نثري غايته الوعظ أو إقناع السامعين بصواب قضية أو بخطاء أخرى .(2) "

عرف خطاب الكراهية بأنه "أي عبارات تؤيد التحريض على الضرر (خاصة التميز أو العدوانية أو العنف) حسب الهدف الذي تم استهدافه وسط مجموعة اجتماعية أو سُكانية (2) "

وأشير بأن المجموعات الاجتماعية المشار إليها في التعريف هي الأقليات والتي في العادة تكون ضعيفة أو في غالب الأحيان تشعر بالضعف .

وأشير بان خطاب الكراهية يندرج تحت عدد من الموضوعات منها الأتي: - حرية التعبير، حقوق الأفراد والجماعات والأقليات. مبادئ الكرامة والحرية والمساواة .(3)

كما عرف خطاب بأنه " هو حالة هجاءٍ للآخر، وهو بالتعريف كل كلامٍ يثير مشاعر الكره نحو مكوّنٍ أو أكثر من مكوّنات المجتمع، وينادي ضمناً بإقصاء أفراده بالطرد أو الإفناء أو بتقليص الحقوق، ومعاملتهم كمواطنين من درجة أقل .(4) "

كما عرف خطاب الكراهية بأنه" توجيه نعوت قاسية وإهانات شخصية عدائية للفرد المقصود أو لمجموعة عرقية، دينية، وأصول أثنية، أو لجنس ما، على نحو قد يحرض على العنف والكراهية أو التميز .(5) "

كما عرف خطاب الكراهية بأنه " هو حالة هجاءٍ للآخر "، وهو " كل كلامٍ يثير مشاعر الكره نحو مكوّنٍ أو أكثر من مكوّنات المجتمع، وينادي ضمناً بإقصاء أفراده بالطرد أو الإفناء أو بتقليص الحقوق، ومعاملتهم كمواطنين من درجة أقل .(6) "

كما عرف خطاب الكراهية في قانون العقوبات الفنلندية في المادة الحادية عشر منه وعرف " بأنه أي نشر للمعلومات أو نشر لرأي أو بيان يهدد أو يهين مجموعة ما، بناءاً على عرقها أو جنسيتها أو أصلها القومي أو دينها أو قناعاتها أو توجهها الجنسي أو بناء على عجز جسدي يميزها أو أي سمة مماثلة .(7) "

كما عرفت القوانين الدنمركية بأنه " تصريحات علنية تتعرض مجموعة ما من خلالها للتهديد أو الإهانة أو التقليل من الشأن وذلك بناءاً على العرق أو لون البشرة أو الأصل العرقي أو القومي أو العقيدة أو الميول الجنسية.(8) "

يعتبر قانون العقوبات الفنلندي التحريض العرقي نوع من أنواع خطاب الكراهية وهو محظور وأشير بان عقوبة مرتكبي جريمة التحريض العرقي بالغرامة المالية أو بالسجن لمدة تصل إلى سنتين أو من أربعة أشهر إلى أربعة سنوات عندما تزداد خطورة ما يدعي إليه مثل التحريض على الإبادة الجماعية. وقد جرى حوار ونقاش داخل قبة البرلمان الفنلندي حول مصطلح خطاب الكراهية حيث رأى بعض من المنتقدين انه بالإمكان أن يستخدم إطلاق صفة خطاب الكراهية على بعض الآراء والتصريحات السياسية وذلك من اجل إسكات الآراء غير الملائمة أو الحرجة أو لقمع النقاشات، وعلى هذا فان مصطلح خطاب الكراهية اعتبر مصطلحاً إشكاليا بسبب الخلافات حول تعريفه. قد يتحول خطاب نقد التأليف الأدبي إلى خطاب كراهية يؤدي إلى صراع وإدخال ذلك الصراع في خطاب الكراهية وفي هذا الصدد أشار احد المصادر إلى انه في عام 1933 م نشرت جريدة البلاغ مجموعة مقالات نقدية بدأت من 3 فبراير 1933م في العدد 17 كتابها الدكتور زكي مبارك نقداً لكتاب لعبد الله عفيفي (زهرات منثورة) وعلى اثر ذلك تبادل الاثنان السجال إلى أن تحول إلى تجريح وإهانات واتهامات وسخرية بين الاثنين، وأشير بان ما أورده الدكتور زكي مبارك هو تصريحه بان عفيفي أستاذ للنحو بالأزهر، وهو عندما يدخل الأزهر تقف لقدومه قواعد النحو صفاً صفاً، حيث تكون المنصوبات على جانب والمرفوعات على جانب آخر، وقد علق على ذلك الناقد محمد البنا في حاشية كتابه منطقنا من معرفة لهجية ومعرفة بناية الأزهر على لفظة مجرورات بأنها عن سخرية المقصود بها دورات المياه التي كانت بالقرب من باب المزينين في جامع الأزهر .(9)

يستخدم خطاب الكراهية أسلوب التمايز عادة في خطابه كالتمايز في الجنس واللون والغنى والفقر والتاريخ والعراقة والكثرة والتقدم في العلم وغيرها. وأشير بان عنصر التربية يعتبر من أحد أسباب خطاب الكراهية حيث أفاد احد الأساتذة بالمعهد العالي للإعلام والاتصال بالمغرب بان التربية تعد عنصراً هامة في خطاب الكراهية. كما اعتبر التشبث بالفكرة النموذج من أسباب خطاب الكراهية والتي تتمثل في الإعلاء بالرأي واحتقار رأي

الآخرين والشعور بالحقد والكراهية نحو الآخرين.(10)

كما اعتبر التعصب والجهل والحقد من أهم أسباب خطاب الكراهية خاصة الذي يلاقي مشجع من عوامل التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمؤسسات التعليمية المختلفة والمؤسسات الإعلامية بكافة أشكالها ومؤسسات المجتمع المدني ودور العبادة فانحراف هذه المؤسسات ودخولها في صراع مع الآخر يجرها إلى خطاب الكراهية أن الإعداد والنشر الذي تقوم به هذه المؤسسات لخطاب الكراهية يعطي انطباعاً سيئاً عن البشر ويجردهم من صفات الإنسانية فالأفلام التي تصور العربي خاصة الفلسطيني والتي تنشر على مواقع التوصل الاجتماعي عندما تعرض على أطفال اليهود فإنها تغرس فيهم الحقد والكراه للعرب ويكون لها تأثير، كما ظهر خطاب الكراهية في كتابات بعض الكتاب الذي حاول أسئت الرسول صلى عليه وسلم مثل كتاب آيات شيطانية لسليمان رشدي، نهيك عن بعض الرسامين الذين رسموا رسوم للرسول صلى الله عليه وسلم للسخرية منه، إضافة إلى الأفلام التي تحاول تشويه صورة الرسول صلي الله عليه وسلم، وحقيقة هؤلاء لا يختلفون عن بعض ما يدعون أنهم شيوخ وفقهاء في الدين والذين يحاولون تشويه صور بعض الصحابة وأمهات المؤمنين وهذا الصراع المذهبي يتطلب أن يوضع له قانون يحد من انتشار خطاب الكراهية فيه ويعد مسؤولية من يدعون أنهم فقهاء في الإسلام توضع فيه تشريعات تحافظ على الإسلام والدين الإسلامي ؛ لان تلك الخطابات للكراهية سوف تجر العالم الإسلامي إلى حرب بين الشيعة والسنة في آخر المطاف. والأخطر من ذلك في الصراع القائم بين فقهاء الشيعة مع بعض فقهاء السنة له تأثير على التنشئة الاجتماعية خاصة الأطفال الذين يترعرعون وهم يكنون الضغينة والكراه لبعضهم البعض رغم أن دينهم واحد ورسولهم واحد فخطاب الكراهية المحرض فيها لا يقل عن خطاب الكراهية الذي كان سبب في الحرب الدينية التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت في ألمانيا في القرن السابع عشر الميلادي والتي أعلنتها الكنيسة الكاثوليكية بأنها حرب مقدسة تلك الحرب التي استمرت لمدة ثلاثين عام والتي أشير بأنه قد تم أبيد فيها حوالي أربعين بالمائة من البروتستانت الأوروبيين كما أنها انتهت بأوبئة ومجاعات وتدمير شامل وتغيرت بسببها خارطة أوروبا السياسية والدينية.(11)

إن خطاب الكراهية قد يتفرع إلى خطاب ديني وخطاب قومي وخطاب إقليمي وخطاب طائفي وخطاب مذهبي وخطاب عنصري وخطاب عرقي.

وطبعاً هذا الخطاب أي خطاب الكراهية تأتي وسائل الإعلام المختلفة في نشره وبثه وفي المقابل بالإمكان أن تحد من تأثير هذا الخطاب إذا اتبعت تدابير معينة القصد منها القضاء على خطاب الكراهية.

ب- خطاب الكراهية في العرف والقانونين المحلية والدولية:

تنبئة القبائل الليبية لخطاب الكراهية حيث سنت أعراف بها نصوص بها عقوبات تحكم بها كل من يذم أو يهين شخص ما لدرجة أن بعض المكونات الليبية سنتها صراحة حتى في عملية السير فعلى سبيل المثال يعتبر العرف التباوي مشي المرأة التباوية أما رجل إهانة في حق الرجل ويستطيع الرجل أن يشتكي تلك المرأة لأهلها أو سلطانهم أو مجلس شيوخهم. لقد حاولت أعراف المكونات الليبية أن تحد من ظاهرة خطاب الكراهية الذي قد يأتي عن طريق القدح أو الإهانة أو السبب أو التشهير بعقوبات رادعة استطاعت أن تحد من ألفاظ وكلمات تدخل ضمن خطاب الكراهية. قامت الحكومات الليبية المتعاقبة بسن وتشريع قوانين بها نصوص بسيطة للحد من خطاب الكراهية حيث ظهر في بعض القوانين وكانت تلك النصوص تتضمن بعض المصطلحات البسيطة التي تدخل في نطاق خطاب الكراهية من تلك القوانين قانون الصحافة والقانون المدني الليبي والقانون العسكري وقانون العمل وقانون الخدمة المدنية وغيرها، كما جاءت بعض العبارات في لوائح وإجراءات العمل من جزاءات وعقوبات لعدد من المؤسسات المختلفة. ورغم ذلك إلا أن خطاب الكراهية ازداد خاصة في وسائل الإعلام وهذا طبعاً بسب ضعف ما جاء في تلك القوانين وضعف المشرع الليبي الذي حاول أن يخفي ألفاظ وعبارات وكلمات التي تعبر عن خطاب الكراهية مخفية في الكثير من القوانين. لقد ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته الثانية حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في الإعلان دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر دون تفرقة بين الرجال والنساء، كما نصت عد من نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على عبارات تحد من خطاب الكراهية حيث جاء في المادة السابعة منه أن الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع

بحماية متكافئة منه دون تفرقة، ولهم الحق في حماية متساوية ضد أي تميز وأي تحريض على التميز، كما أكدت المادة الثامنة عشر على أن لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين. كما قام العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية بتحديد المعايير الدولية لخطاب الكراهية فالمادة 20 من العهد الدولي تحظر أية دعاية للحرب وأية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضاً على التميز أو العداوة أو العنف، وفي المقابل ضمنت المادة 19 الحق في حرية الرأي والتعبير، كما أكدت الفقرة الأولى من المادة 18 على أن لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين .(12)

صارت في المجتمعات المتحضرة المتعددة ثقافياً تظهر قوانين تنص على الابتعاد عن الكراهية وتعاقب من يستخدم ألفاظها ومعانيها بكافة أنواعها. نتيجة لبروز خطاب الكراهية في وسائل الإعلام المختلفة خاصة الشبكة الدولية للمعلومات عبر مواقع التواصل الاجتماعي ظهرت أصوات تنادي بضرورة الحد من خطاب الكراهية حيث ظهر في أوروبا حركة " لا لخطاب الكراهية " والتي تحصلت على دعم من المجلس الأوروبي، والتي من أهدافها نشر الوعي وزيادته تجاه خطاب الكراهية لكي يتم الحد من خطاب الكراهية والقضاء عليه. المادة العاشرة من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان لا تحظر القوانين الجنائيّة ضدّ المراجعات التاريخيّة مثل نكران الإبادات الجماعيّة أو الجرائم ضدّ الإنسانيّة، كما تفسّرها المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان. أوصت لجنة وزراء مجلس أوروبا عام 1997 م بان تقوم الحكومات الأوروبية الأعضاء باتخاذ التدابير المناسبة للحد من خطاب الكراهية بموجب توصيتها R

.20 (97)لم تقدم المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان تعريفاً مقبولاً لخطاب الكراهية ولكنها قدمت بعض المحددات يمكن من خلالها للنائب العام إن يقرر أمكانية اعتبار خطاب الكراهية حرية تعبير. كما قامت برامج تعليمية بالمدارس الأوروبية تحث على الإبلاغ عن حوادث خطاب الكراهية نتج عنه وعي متزايد بخطاب الكراهية، إضافة إلى ذلك قام مجلس الأوروبي بتأسيس المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب والتي تصدر تقارير خاصة بكل دولة في المجلس كما أنها تصدر توصيات حول السياسات العامة لدول أوروبا الأعضاء مثل معاداة الساميّة والتعصّب ضدّ المسلمين. كما جاءت عقوبة ناشر خطاب الكراهية في قانون الجرائم الإلكترونية الأردني عبر الوسائل الالكترونية بالحبس

مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف ولا تزيد عن عشرة آلاف دينار على كل من نشر أو أعاد نشر ما يعد خطاب كراهية عبر الشبكة الدولية للمعلومات.(13)

ج- الإعلام وتأثيراته:

الإعلام كمفهوم: هناك من يعرف الإعلام بأنه " التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت .(14) "

وهناك من يعرفه بأنه " تزويد الجمهور بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأى صائب في وقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات .(15) "

عند تحليل هذا التعريف نجد أن الإعلام هنا عبارة عن أداء تقوم بتزويد الناس بالأخبار والمعلومات التي تساعدهم على تكوين وتشكيل رأى عام صحيح في حدث ما من الأحداث أو واقعة من الوقائع وهذا في الحقيقة تعريف فيه بعض من مهمة الإعلام فهو أي الإعلام قد يقوم بتزويد المواطنين المستقبلين له بمعلومات وأخبار كاذبة فالإعلام وسيلة لإيصال ما يود المرسل إيصاله من رسالة إعلامية وقد تكون هذه الرسالة غير صحيحة. وهذا يوضح لنا أهمية الإعلام في الحد من خطاب الكراهية من خلال وسائله وأدواته المختلفة ولكن هذه الأهمية لا تكتمل إلا بمشاركة متخصصين من علوم أخرى غير الإعلام كخبراء السياسة والتاريخ وعلم النفس والتربية وغيره حيث أن كل منهم يكمل الآخر. هناك من يشير بان هناك هدف من الإعلام وقد حددها في الأتي-:

1- إقناع المواطنين أو المستقبلين عن طريق المعلومات.

2- إقناع المستقبلين أو الجمهور عن طريق الحقائق والأرقام والإحصاءات .(16)

من خلال ما تقدم يمكننا أن نعرف الإعلام بأنه منظومة متفرعة تضم في تكوينها جماد وإنسان مهمته جمع ونقل ونشر الأخبار والمعلومات وهو يتطور باستمرار.

قد يتحكم أحد في منظومة الإعلام ويقوم بنشر الأخبار زائفة غير صحيحة أو الإشاعة والتي هي خبر ليس له مصدر أو الرسائل الإعلامية التي فيها ألفاظ وعبارات الكراهية المكونة لخطاب الكراهية، مثلما يحدث من وزراء الإعلام والسياسيين والمثقفين ولا سياسيين ولا مثقفين في العديد من دول العالم الثالث خاصة أثناء الحروب والأزمات مثل ما هو واضح في ليبيا ومصر والجزائر وتونس وغيرها.

من خلال ما تقدم فأنه يمكن القول بان هناك إعلام صادق وإعلام كاذب، وهذا بدوره يبرز لنا خطر الإعلام في نشر خطاب الكراهية. الكثير من علماء الاجتماع يؤكدون بان الإعلام يعتبر سلاحاً من الأسلحة الإيديولوجية حيث أن له القدرة في التأثير على المواطنين سواء كان سلباً أو إيجاباً ولهذا فانه له دور هام في الحد من خطاب الكراهية من خلال وسائله المختلفة والمتخصصين من خارج الوسط الإعلامي من المصلحين الاجتماعيين والنفسيين والتربويين والدعاة والسياسيين وغيرهم .

للإعلام القدرة على كشف الحقائق والأخبار والمعلومات ونشرها بسرعة على الجمهور المستقبل ولهذا فان استخدامه في نشر وبث خطاب الكراهية له دور في إبراز الكراهية وبالمقابل فان الإعلام ووسائله المختلفة بالتعاون مع المتخصصين له دور في الحد من خطاب الكراهية. الكثير من الليبيين يكتسبون الآن ثقافتهم ومعرفتهم من خلال المشاهدة والصوت أي الأذن والعين وذلك من وسائل الإعلام الحديثة كالانترنت والقنوات الفضائية، وهواتفهم المحمولة، وهذا ينبئ بأن هناك خطر على المواطنين الذين يكتسبون ثقافتهم من خلال المشاهدة فهم لا يميزون بين الخبر الإعلامي وبين الإشاعة وبين المعلومة الصحيحة وغير الصحيحة وبالتالي فان هذا له تأثير على انتشار الكثير من الرسائل الإعلامية خاصة خطاب الكراهية والذي انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية في ليبيا.

ثانياً أهم الوسائل الإعلامية المساعدة على خطاب الكراهية

لقد زادت المؤسسات الإعلامية من حدة خطاب الكراهية، فبعد أن كان ضعيفاً في هذه المؤسسات والتي مثلتها أولاً الأشعار والنثر والقصص والحكايات التي كانت تنتقل من لسان إلى آخر من خلال التخاطب المباشر والغير المباشر والتي كانت تحوي ألفاظ ومعاني لخطاب الكراهية، بعد ذلك جاءت الصحف والجرائد والمجلات والكتاب الورقية المقرية وكان فيها خطاب الكراهية متوسط القوة، وبعد ذلك بدء خطاب الكراهية يقوى في ظل الإذاعتين المسموعة والمرئية من خلال البث الأرضي ومع التطور في مجال الاتصالات والمعلومات وصعود الإنسان إلى القمر وإرسال الأقمار التي تقوم بإرسال ما يصلها من شفرات من أجهزة إرسال واستقبال وبروز يعتبر الإعلام مسؤول عن تشكيل وتكوين الرأي العام وهو كذلك يهتم

بالتربية والتوجيه وصناعة الفكر والرأي وبالتالي فهو يحمل مسؤولية اجتماعية بالغة الأهمية. وتزايد وسائل الإعلام التقليدية وانضمام وسائل التواصل الاجتماعية زاد من حجم الإعلام فمن خلال مواقع التواصل ازدادت سرعة نقل الأخبار والحوادث فبعد أن كانت وسائل الإعلام تجد بعض السيطرة من حكوماتها قويت بسبب الثورة في الاتصالات والمعلومات وانتشر في تلك الوسائل خطاب الكراهية .(17)

لقد أشار الكثير بان القنوات الفضائية والتي صارت في كل بيت في العالم وظهور الشبكة الدولية للمعلومات والتي صارت تساهم في إرسال الرسائل المغذية بها إلى كل مكان عن طريق المواقع المزروعة عليها زاد من خطاب الكراهية، وعلى اثر ذلك ظهر الكثير من رجال الدين منغمسين في خطاب الكراهية في الكثير من القنوات الفضائية سواء كانت محلية أو خارجية يدعون إلى العنف والقتل دون مراعاة لما يحمله من كتاب الله فظهر ذلك واضحاً في القنوات الليبية من جانب حكومة الوفاق والحكومة المؤقتة. كما اظهر من كتبوا سيناريو فيلم عمر المختار شخصية الشيخ الشارف الغرياني وأعطوه صورة لا يستحقها ولا يتصف بها وهذا فيه نوع من خطاب الكراهية .

كما أشير بعض الكتاب بان وسائل الإعلام المختلفة والتي تطورت خاصة التي تبث على الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت بمواقعها المختلفة ساهمت في انتشار خطاب الكراهية، وكان الوطن العربي وليبيا من ضمن المناطق التي انتشر فيها هذا الخطاب بكثرة، وأشير بان مواقع التواصل الاجتماعي ساهمت في تفشي ظاهرة هذا الخطاب وصار هناك مجموعات كبيرة تنضم إلى خطاب الكراهية، وأشير بان هؤلاء مسلحين بالحقد والأفكار العنصرية والألفاظ الغير جيدة تستخدمها في معاركها الاجتماعية والمذهبية والدينية والعرقية في مواقع التواصل الاجتماعي وكافة الوسائل الإعلامية مستغلة في ذلك حرية التعبير التي منحت لهم، وعدم وجود قانون لخطاب الكراهية واضح المعالم وفي هذا يقول احد المصادر:- " تزايد الإعلام المتخصص بالبغض والكراهية في ظلّ غياب شبه تام للإعلام المهني الذي يقوي الروابط الوطنية للمكونات الشعبية ويواجه الإعلاميين الثرثارين الذين يهتكون النسيج الاجتماعي عبر التحريض الأعمى على العنف والإقصاء.(18) "

ومع ظهور القنوات الفضائية والتحاقها مع وسائل الإعلام الأخرى وظفت في خطاب الكراهية، كما صارت مكان خصباً

للقنوات الفضائية الدينية تعرض عقيدتها ومذهبها وتهاجم الآخرين كالقنوات المختصة بالمذهب الشيعي والقنوات المختصة بالمذهب السني وغيرها. كما كان لظهور مواقع التواصل الاجتماعي ازدياد في خطاب الكراهية بسبب الكم الهائل المتعامل مع هذه المواقع.

أ- الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت .

لقد أشارت الكثير من الدراسات بان الشبكة الدولية للمعلومات " الانترنت " عبر المواقع التي تبث خلالها صارت ساحة كبيرة لخطاب الكراهية حيث بدأ الصراع داخل هذه الشبكة بين الكثير من السياسيين والمفكرين والمثقفين وغيرهم في صراعات حزبية ودينية وإيديولوجية وغيرها حيث ظهر مفكرين ينكرون أفكار آخرين وفي بعض الأحيان يستخدمون ألفاظا وإهانات مما تدل على الكراهية. كما ظهر مفكرين في الأديان ينعتون بعضهم بالألفاظ والإهانات البذية والتي تعد من أدوات الكراهية. وقد أشير بان الشبكة الدولية للمعلومات ساعدها على ذلك عدة أسباب منها الأتي:

1- سهولة النشر.

2- سرعة وصول الخطاب.

3- السرية

لخطورة مواقع التواصل الاجتماعي على تبث على الشبكة الدولية للمعلومات أقرت الكثير من الدول نصوص في قوانينها تجرم خطاب الكراهية الذي يرسل ويبث وينشر عبر الشبكة الدولية للمعلومات فعلى سبيل المثال أجازت ألمانيا في 30 يونيو من عام 2017م قانوناً يجرم خطاب الكراهية عبر الشبكة الدولية للمعلومات "الانترنت" حيث نص على تغريم مواقع التواصل الاجتماعي بمبلغ قد يصل إلى خمسين مليون يورو عند فشل المواقع من إزالة خطاب الكراهية في غضون أسبوع .(19)

لقد أشير بان هذا الزمن هو زمن مواقع التوصل الاجتماعي وبأنه لا يخلو هاتفاً محمولاً دون أن تجد فيه تطبيقات تساعده في الوصول إلى الشبكة الدولية للمعلومات "الانترنت"، وقد لوحظ هوس المواطنين بتلك المواقع في كل مكان حيث تشاهدهم يتصفحون عدد من المواقع لدرجة أنهم صاروا كالمدمنين وتناسوا من أمامهم ومن خلفهم ومن بجانبهم وهذا طبعاً له آثار اجتماعية خطيرة خاصة في العلاقات الاجتماعية. من تلك المواقع موقع فيسبوك الذي ابتكره (زوكر بيرغ) والذي كان طالباً في جامعة هارفورد الأميركية يعتبر هذا الموقع من أشهر المواقع وهو من المواقع التي تساهم في

نشر الصور والآراء والمراسلات بيت الأصدقاء، كان هذا الموقع يقتصر على طلاب جامعة هارفورد، بعد ذلك انتشر كموقع عالمي يستخدمه ملايين المتتبعين. كما يعتبر موقع تويتر من المواقع الهامة، وهو يعتبر ثاني أشهر المواقع على الشبكة الدولية للمعلومات حيث أن هذا الموقع يسمح لمستخدميه من كتابة الرسائل أو تغريدات وقراءتها وهي قصيرة وقد تم أطلاقه سنة 2006 م وقد وصل عدد مستخدميه عام 2016 حوالي 500 مليون مستخدم، من أهم مستخدميه المشاهير سواء كانوا من عالم الفن أو السياسة حيث يقوم الموقع بنشر أخبارهم .

من خلال ما تقدم نلاحظ بان هذه المواقع وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي لها القدرة على الأتي- :

1- نشر وبث الأخبار والصور.

2- نشر وبث الفيديوهات.

3- الوصول إلى ملايين من الناس في سرعة بين مرسل ومستقبل ومتتبع.

4- توصيل الرسائل المختلفة.

وهذه القدرات لهذه المواقع استغلها البعض بقصد وغير قصد في بث ونشر خطاب الكراهية. يشير أحد المصادر إلى أن هناك أطراف تدعم وسائل الإعلام من اجل نشر وبث خطاب الكراهية من اجل جذب الشعوب نحوها وأقصى الآخر العدو لها، وقد أشير بان الهدف من ذلك هو الاستيلاء على الحكم واستغلال ثروات البلاد والتربع على الحكم أكثر مدة من الزمان وجعل الشعوب تعيش في دوامة الكراهية.(20)

استخلصت دراسة قام بها باحثان في جامعة (وارويك) البريطانية بعنوان "التحريض على الكراهية: التواصل الاجتماعي وجرائم الكراهية " بان تأثير خطاب الكراهية يكون في الأماكن التي يتزايد فيها استخدام الفيسبوك. كما أشير بان الأخبار الكاذبة التي نشرت على تويتر، وفيسبوك في مدينة كيمنتس الواقعة شرق ألمانيا بولاية ساكسونيا قد نتج عنها حشد أكثر من 6 آلاف متظاهر من اليمين المتطرف عام 2017 م، وأشير بأنهم من اليمين المتطرف قبل عام من تاريخ تحشيد 6 آلاف متظاهر كانوا ينادون بشعارات تتحدث عن نظريات المؤامرة تداولت على مواقع التواصل الاجتماعي .(21)

إن الدور الذي تلعبه الشبكة الدولية للمعلومات في إرسال خطابات الكراهية من خلال موقع الشبكة المختلفة كبير وله تأثير في الرأي العام وقد يولد هذا الخطاب صراع على نطاق محلي ثم إقليمي وثم دولي في المقابل يمكن أن يكون لهذه

الشبكة وموقعها دور للحد من خطاب الكراهية من توظيفها في إرسال خطابات التسامح.

ب- القنوات الفضائية:-

للقنوات الفضائية سواء التي تبث عبر الإذاعة المسموعة أو المرئية دور نشر خطاب الكراهية وفي المقابل يمكن أن يكون لها دور كبير في الحد من خطاب الكراهية خاصة الموجه من خلال بث ونشر خطاب يفند خطاب الكراهية الذي يحمل عبارات ومعاني وجمل الكراهية. فعندما قام الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات بزيارة القدس بدأت معظم الدول العربية بنشر وبث خطاب الكراهية ضد الرئيس المصري ونظامه بالمقابل بدأت الوسائل الإعلامية المصرية ببث ونشر خطاب الكراهية ضد موجهي الخطابات الموجهة لمصر ورئيسها عبر وسائل الإعلام المختلفة خاصة الإذاعة المسموعة حيث ظهرت برامج تبث خطاب الكراهية خاصة ضد ليبيا حيث وصف خطاب الكراهية حكام الدولتين كل منهما بعبارات تدخل ضمن موضوعات خطاب الكراهية. كما ساهمت القنوات الفضائية في بث خطاب الكراهية ضد المسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001. في ليبيا بعد 17 فبراير 2011 ظهر خطاب الكراهية في القنوات الفضائية وصار بعض المحرضين يدخلون فيه السحر والشعوذة دون أن يحترموا أنفسهم ومكانتهم العلمية، كما استخدم الطرف المضاد عبارات بذية وإهانات لدرجة أن البعض شكك في نسب الآخر وأظهرت قنوات التليفزيون الليبي للطرفين خطاب للكراهية، كما صار بعد ذلك تحرض على العنف والقتل والتي هي من عناصر خطاب الكراهية.

ج- الإعلام الورقي بأنواعه: -

قد يتحول خطاب نقدي إلى خطاب للكراهية خاصة عندما تواجه كلاً من المؤلف والناقد عدة عوامل كالجهل بمعنى النقد والتوتر لسلوك المؤلف فخلال عملية وصول النقد للمؤلف موجه إليه في نقد بعض ما جاءت في كتاباته يظهر سوء التصرف من المؤلف بالرد على الناقد بشيء من التوتر والانفعال حيث ينتفض ليرد على الناقد بالمثل وهذا الرد فيه شيء من القمع وإسكات الناقد (22). عن السجال في خطاب نقدي والذي تحول إلى نوع من خطاب الكراهية ما حدث بين الكاتب والمفكر زكي مبارك والناقد الغمراوي حيث مما جاء من أقوال الغمراوي القول الذي يقول: - " ولا يخفى تداخل الرد بمسألة سحب المواجهة إلى المحظور الديني، بان صارت تصور على أنها مواجهة مع الخالق سبحانة وتعالي "

.(23) وقد جاء قول الغمراوي هذا بعد أن رد زكي مبارك على نقد سابق للغمراوي، وابى أن يسمي الغمراوي باسمه، واستخفافاً واحتقاراً، إذ سماه (الفلان)، واتهمه بالجهل. ويرى أن هذه التهمة أفضل من تهمة الغمراوي له، حيث اتهمه بالكفر، فيقول زكي مبارك:- " وقد عشنا حتى نرى التهمة بالإلحاد اخف من التهمة بالجهل .(24) "

كما يقول نفس المصدر عن تطور السجال بين الناقد والمؤلف:- "ما بال أدباء مصر وكتابها وشعراؤها يختصمون ويسرفون في الخصومة، ويتناحرون ويغلون في التناحر، ويضيقون بالنقد اشد الضيق؟ ! يثيرون من اجله المعارك ويتسارعون بسببه إلى الخصام.(25) "

من خطاب الكراهية على الصحف والجرائد هو ما جاء على شكل رسم ساخر للرئيس الليبي السابق معمر القذافي بعد انقلاب 1975 م حيث جاء ذلك في جريدة الأخبار على شكل رسوم ساخرة تمثل معمر القذافي وهو جالس وأمامه رزم من العملات الليبية الورقية ووضع الرسام عبارات تخرج منها أريد أن اشتري جيش جديد وشعب جديد، بالمقابل ظهر خطاب الكراهية للرئيس المصري محمد أنور السادات بخروج عبارات مسيسة تقال في المسيرات ونهاية كل مؤتمر في ليبيا أبان السنوات الأخيرة من حكم السادات. مع تطور والسائل الإعلامية قل تأثير الصحافة الورقية وصارت ضعيفة ومع هذا يمكن أن توظف في الحد من خطاب الكراهية خاصة من خلال المطويات وصحف المناسبات. وحتى في الرياضة ادخل خطاب الكراهية فحادثة المباراة بين فريقي الجزائر ومصر في السودان أوضح دليل عربياً على خطاب الكراهية، وما دار حولها من خطاب للكراهية استمر إلى عدة سنوات وكان الخطاب متبادل بين البلدين، وقد تورط فيه مثقفون من البلدين من نشر خطاب الكراهية عبر الصحف والجرائد والمجلات وغيرها. وخطاب الكراهية في الشأن الرياضي دخل حتى في الأندية الرياضية المحلية حيث وصفت أندية بألقاب لتقليل منها وغيره.

د- الهواتف: -

الهاتف حقيقة هو وسيلة من وسائل الإعلام وهو يستخدم على نطاق ضيق فهو يقوم بنشر الخبر والإشاعة بمساعدة فرد من الأفراد ولكن متتبعه اكبر من متتبعي وسائل أخرى للإعلام، وهو أسرع من ينقل الخبر ولكن المستقبلين يكونون على نطاق ضيق جداً. والهاتف حقيقة هو أداة استقبال وإرسال وعرض ونشر وهو له صلة تعاون مع مواقع التواصل الاجتماعي

المختلفة والشبكة الدولية للمعلومات الانترنت لكون الشبكة هي التي تظهر فيها الرسائل بمختلف أشكالها وألوانها وأحجامها. وهذه الأداة بالإمكان أن تكون وسيلة بث ونشر لخطاب الكراهية أو الحد منه. أنه من الأجدر مما يعملون في المجال الإعلامي والإعداد ألبرامجي والذين يعدون خطاباتهم والتي يقصد منها التوجيه المعنوي أن يأتوا بأشياء لا تدخل ضمن خطاب الكراهية بان تتحدث عن وقائع حقيقية بالمستندات والصور لا بتزوير الحقائق والادعاءات الكاذبة. لقد تشبعت القنوات التي تبث من اجل الليبيين سواء كانت خاصة أو عامة بالمعدين والسياسيين والاقتصاديين والمؤرخين ودعاة وغيرهم الذين يبثون خطاب الكراهية، أن الدعاة المسلمين والذين لبسوا عباءة المشيخة نراهم كثيراً عبر القنوات الليبية المختلفة وهم يدعون إلى العنف والإهانة والسخرية وهذه ظاهرة خطيرة في حق الإسلام الذي معروف عنه انه دين التسامح والسلام والمحبة والتعاون. يجب على ملاك تلك القنوات أن يتتبعوا ما يبث في قنواتهم وإلغاء كل ما يلمح إلى الكراهية.

وأخيرا فانه يتطلب من المسؤولين على الإعلام للحد من خطاب الكراهية الابتعاد عن كل المعاني والألفاظ التي تدخل ضمن محتوى خطاب الكراهية، لكن هذا في الحقيقة ليس حلاً جذرياً الحل هو بسن قانون خاص بخطاب الكراهية فيه العقوبات اللازمة مثل الأشياء والتصرفات التي بالقوانين التي تجرم الاتجار بالمخدرات وغيره. إضافة إلى انه عند تشريع المعاني والألفاظ والعبارات التي تمثل عند تكوينها خطاب للكراهية أن تعد من مشرع له دربة باللغة ومعانيها ويفضل أن يدخل مجمع اللغة العربية في إعداد هذا القانون، كما يفضل أن يعد قانون خاص تحت اسم قانون خطاب الكراهية يحوي جميع الألفاظ والكلمات والمعاني والطرق التي تبرز خطاب الكراهية حتى لا يهرب احد من العقاب الذي يقدره هذا القانون.

ثالثاً النتائج والتوصيات

أ- النتائج:

من خلال الدراسة اتضح الأتي- :

1- إن الخطر الذي مثله خطاب الكراهية نبه الدولة مما اضطرها بان تضع بعض النصوص في عدد من قوانينها للحد منه.

2- إن المؤسسات الإعلامية من أهم وسائل نشر وبث خطاب الكراهية خاصة الشبكة الدولية "الانترنت" ومواقعها المختلفة والقنوات الفضائية، وفي نفس الوقت هي التي تستطيع الحد منه.

3- استغلال بعض الدول خاصة في العالم الثالث خطاب الكراهية في كتم حقوق المشاركة السياسية والتعبير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

4- استغلال الكثير من الأطراف خطاب الكراهية في إثارة النعرة القبلية والعرقية والدينية والمذهبية من اجل الحصول على مكاسب سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية أو رياضية .

5- عدم وجود قانون واضح لحد من خطاب الكراهية.

ب- التوصيات:

بالنظر إلى نتائج الدراسة فان الدراسة توصي بالاتي- :

1- وضع قوانين خاصة محلية وإقليمية ودولية تعاقب من ينشر ويبث خطاب الكراهية.

2- ضرورة تعريف العبارات والألفاظ والكلمات التي تساهم في جمل وعبارات خطاب الكراهية ووضعها ضمن نصوص قوانين خطاب الكراهية على أن تكون بنفس المعنى في جميع القوانين سواء كانت محلية أو إقليمية أو دولية.

3- إقرار قانون واضح يجرم شبكات التواصل الاجتماعي التي يبث عليها خطاب الكراهية مع وضع العقوبات المناسبة.

4- تسخير وسائل التنشئة الاجتماعية من الأسرة إلى الروضة إلى المدرسة إلى الجامعة إلى المسجد إلى مؤسسات المجتمع المدني بالتعاون مع وسائل الإعلام في زيادة الوعي بخطاب الكراهية للحد والتحذير منه.

5- ترسيخ ثقافة الحوار والقبول بالرأي المخالف في وسائل الإعلام المختلفة ونبذ العنف وإطلاق ثقافة التسامح.

الهوامش:

1- جبران مسعود، (1967)، رائد الطلاب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 403.
2- المرجع السابق، ص 403.
3- خطاب الكراهية https://ar.wikipedia.org/wiki. تاريخ الاطلاع 2019/7/7 .
4- ما هو الكراهية /http://www.abouna.org/content تاريخ الاطلاع 2019/7/7.
5- خطاب الكراهية – البيان-https://www.albayan.ae/one-world/overseas/2017. 04-16-1.2916746تاريخ الاطلاع 2019/7/8.
6- زليخة أبو ريشة، (2016/6/1)، ما خطاب الكراهية،http://www.abouna.org/content، تاريخ الاطلاع 2019/7/10..
7- خطاب_الكراهية، https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع 2019/7/7.

8- خطاب الكراهية، https://ar.wikpedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع 2019/7/9.
9- عبد العظيم رهيف السلطاني، (2007)، خطاب الآخر الاجتماعي،تأليف الأدبي الحديث أنموذجا، ط2، دار الأصالة والمعاصرة، بنغازي، ليبيا، ص 107 .
10- مختصون يفككون خطابات الكراهية في مواقع التواصل الاجتماعي، https://www.hespress.com/societe/370804.htmlتاريخ الاطلاع 2019/7/9,
11- حسن العاصي، خطاب الكراهية، https://aljadeedmagazine.com، تاريخ الاطلاع 2019/7/12.
12- مفهوم الكراهية في الشرعية الدولية، 2017/10/17 . https://democraticac.de/?p=50107، تاريخ الاطلاع 2019/7/9.
13- خطورة-مفهوم-خطاب-الكراهية، https://www.khaberni.com/news/257046)، تاريخ الاطلاع 2019/7/7.
14- سامي ذبيان، (1987)، الصحافة اليومية والإعلام، دار المسيرة، بيروت، لبنان. ص45.
15- عبد العزيز شرف، (1979)، وسائل الإعلام لغة الحضارة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص31.
16- عبد الطيف حمزة، (1967)،الإعلام والدعاية،القاهرة،العربي،القاهرة، مصر، ص60.
17- حسن العاصي، مرجع سابق.
18- خطاب-الكراهية-في-وسائل-الإعلام-والتواصل-https://www.addustour.com/articles/1018929، تاريخ الاطلاع 2019/7/7.
19- حسن العاصي، مرجع سابق.
20- خطاب الكراهية، https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الاطلاع 2019/7/11.
21- عندما-تؤجج-مواقع-التواصل-الاجتماعي-العنف-بين-الناس https://www.dw.com/ar/a46332360، تاريخ الاطلاع 2019/7/14.
22- عبد العظيم رهيف السلطاني، مرجع سابق، ص 103.
23- المرجع السابق، ص، ص 107، 108.
24- المرجع السابق، ص 108.
25- المرجع السابق، ص 113.

خطاب العنف والكراهية
في البرامج الإذاعية المسموعة المباشرة بمدينة طرابلس خلال الفترة من 2012 إلى 2016

يونس شعبان الفنادي*

مقدمة:

يمثل البث الإذاعي المسموع ركناً أساسياً في منظومة التواصل الاعلامية على مستوى الدولة. فهو إحدى الوسائل الإعلامية التي تسهم في مسيرة التنمية المجتمعية ونشر الوعي ونقل الرسائل الاخبارية وتعميق الحس الوطني وتحصين الإنسان ضد غزو الأفكار الهدامة المتطرفة، كما تعمل أثناء الحروب والنزاعات على تحشيد الهمم والنفوس ورفع درجة الحماس للدفاع عن تراب الوطن وغيرها من الأهداف النبيلة التي تقوم عليها وتضطلع بها المؤسسات الإذاعية سلماً وحرباً.

وتاريخياً عرفت ليبيا البث الإذاعي المسموع لأول مرة أثناء سنوات الاحتلال الايطالي سنة 1937 وذلك من خلال مكبرات الصوت والاذاعات المتنقلة المدوية بالدعاية للنظام الفاشيستي في مدينتي طرابلس وبنغازي، ثم أنشأت الحكومة الإيطالية سنة 1939 راديو مارلي بمدينة بطرابلس. وبعد الحرب العالمية الثانية أنشأت حكومة الإدارة البريطانية سنة 1949 عدة محطات إذاعية مسموعة محلية في طبرق وطرابلس وبنغازي، وفي سنة 1954 بدأ بث إذاعة القاعدة البريطانية (العدم) في طبرق، وكذلك أسست الولايات المتحدة الامريكية إذاعة مسموعة داخل قاعدة ويلس الجوية بطرابلس استمرت في تقديم

برامجها حتى مغادرة القوات الامريكية سنة 1970.

أما على الصعيد الوطني فقد انطلق بث الإذاعة الليبية الوطنية المسموعة في الثامن والعشرين من يوليو 1957 بعد دمج محطتي طرابلس وبنغازي تحت اسم (دار الإذاعة الليبية) فأسهمت بدور كبير في نشر الأخبار والمعلومات والإعلانات وزيادة درجة المعرفة والجانب التوعوي في كل أطيافه المتعلقة بتنمية وتطوير المجتمع الليبي الظافر باستقلاله السياسي بمساعدة هيئة الأمم المتحدة آنذاك. وقد تولت الإذاعة الليبية منذ ذلك التاريخ تأهيل العديد من القدرات البشرية الإذاعية، وتطوير أجهزتها ومعداتها الفنية، وزيادة ساعات بثها ونقاط وصوله إلى ربوع البلاد. ورغم كل ذلك فقد ظلت كل البرامج الاذاعية يتم اعدادها ومراقبتها وتسجيلها مسبقاً قبل بثها، حيث اقتصر البث الإذاعي المسموع المباشر على نشرات الأخبار السياسية دون غيرها من البرامج الأخرى وذلك حتى انطلاقة الإذاعات المحلية التي استهلتها إذاعة بنغازي المحلية (98.9 FM) في بداية سنة 1994 فكانت هي أول إذاعة محلية في ليبيا تعد رائدة في إنتاج وتقديم البرامج التي تناقش القضايا المحلية وهموم المواطن اليومية. وبعدها بعدة أشهر وتحديداً بتاريخ 25 أغسطس 1994 انطلق بث إذاعة طرابلس العرب 103.4) (FMوهي التسمية القانونية لهذه الإذاعة كما نص عليها قرار الإنشاء في مادته الأولى دون أن يورد المشرع صفة "المحلية". وتوالت بعدها الإذاعات المحلية المسموعة في ربوع ليبيا

الخطاب الإذاعي للإذاعات المسموعة المحلية :

مثل انطلاق الإذاعات المحلية المسموعة نقلة مهمة على صعيد البث الإذاعي المباشر وإعداد وتقديم البرامج المسموعة وفق سياسة الإذاعات التي استهدفت استقطاب المتلقي بلغة اختلفت كثيراً عن مفردات الخطاب الإعلامي السائد آنذاك في قنوات "إذاعة الجماهيرية العظمى" وكذلك "إذاعة صوت الوطن العربي الكبير" و"إذاعة القرآن الكريم" و"إذاعة صوت البحر المتوسط" أولاً نتيجة اختلاف طبيعة تخصصهم الموجه، وثانياً لتميز الخطاب الإذاعي المسموع للمحطات المحلية في معظمه بالبرامج المباشرة الطويلة والقصيرة والخفيفة المنوعة التي لا تتم مراقبتها وإجازتها من قبل أقسام المراقبة بالإذاعة المسموعة المتعارف عليها في كل الإذاعات. كما كان اختيار مواضيع الحوارات في برامجها لا

يتم تحديده غالباً من إدارات تلك الإذاعات بل يتولاه معد ومقدم البرنامج نفسه وهو يتحمل كل المسؤولية في هذا الجانب فنياً وموضوعياً وسياسياً واجتماعياً، وفتح الاتصالات الهاتفية والمداخلات للمستمعين للمساهمة في المناقشات والحوارات الإذاعية للعديد من البرامج. وقد أعطى هذا التوجه المتميز آنذاك نكهة للإعلام الإذاعي المسموع وأعاد الثقة والاحترام للقدرات الإعلامية الوطنية في تقديم برامج متنوعة لاستقطاب جمهور المستمعين وتحفيزهم على المشاركة والتفاعل مع وسيلة الإعلام.

الخطاب الإذاعي المسموع وثورة فبراير:

مع انطلاق وانتصار حراك فبراير طال المشهد الإعلامي العديد من المتغيرات التي انصبغت بروح الثورة الاندفاعية العارمة، ونال الخطاب الإعلامي للكثير من القنوات إستقطاباً عريضاً رغم كل ما اعتراه من فوضى في الإعداد والتقديم والبث، وعدم توخي الاشتراطات المهنية الإذاعية، أو مراقبة المواضيع الفكرية لحماية المجتمع الليبي من تداعيات الخطاب الإذاعي الهدام لكيانه وبنيته وأطيافه المتعددة.

وقد حققت البرامج المباشرة التي تقدمها الإذاعات المسموعة المختلفة انتشاراً شعبياً وجماهيرياً واضحاً لوحظ من حجم متابعة المتلقين لها وساعات البث المسموع المتواصلة، ومؤشرات تواصل جمهور المستمعين بنسبة عالية خلال مداخلاتهم واتصالاتهم الهاتفية سواء بالتعليقات والإضافات المعلوماتية أو النقود المختلفة التي توجه للعديد من الخدمات والأحداث بمدينة طرابلس والكثير من القضايا أثناء طرحها في البرامج الحوارية.

وأثناء إجراء الانتخابات النيابية والبرلمانية والدستورية المختلفة في البلاد أعدت وقدمت معظم الإذاعات المسموعة حملات توعوية وإعلانية مجانية لحث المواطنين على المشاركة في العملية الانتخابية، وأتاحت الفرصة أمام جميع المترشحين للاستفادة من فضاءها الإذاعي، في شرح برامجهم الانتخابية والتواصل مع جماهير الدوائر الانتخابية. كما قدمت الدعم الإعلامي لكل التوجهات الوطنية أثناء النزاعات المسحلة عن طريق توظيف برامجها وجعلها حلقة وصل لربط المتضررين والنازحين بجهات السلامة الأمنية وتقديم خدمات الإغاثة والمساعدات الإنسانية كافة.

ولقد تباينت توجهات الإذاعات المسموعة بين الأيديولوجية الدينية والسياسية والجهوية، وظلت كل محطة تنادي بأطروحات أجندتها الخاصة وذلك بتوظيف عدد كبير من المحسوبين على العمل الإذاعي بشكل فوضوي فعملوا على تصعيد الخطاب الإعلامي وتضمينه عبارات ومفردات تغوص في الكراهية والتحريض على العنف والدعوات المشبوهة الأهداف الظاهرة والمبطنة سواء بالحث على التظاهر والاعتصام والتحشيد أو الاقتتال والحرب.. وغيرها. وفي المقابل فإن بعض القنوات كانت ضحية التجاذبات السياسية وعانت من الضغوطات المسلحة والتهديدات الأمنية في أرجاء البلاد المختلفة مما أدى إلى خروجها عن منظومة الأخلاقيات المهنية للمؤسسة الإعلامية فوقعت في شرك تأجيج الصراعات والمعارك القتالية المسلحة والانحياز إلى الجهوية والمناطقية الجغرافية وكذلك للأفكار السطحية التي تسربت وتوغلت في كيان المجتمع الليبي بغية تفكيكه وتقسيمه ومن ثم القضاء عليه وتدميره.

بيانات القنوات الإذاعية المسموعة:

تحاول هذه الورقة البسيطة التعرف على بعض ملامح وتخصصات البرامج الإذاعية المسموعة المتنوعة خلال 2012-2016 بالرصد الإحصائي العددي للخارطة الإذاعية، والذي لا يتضمن بالتأكيد تحليل المحتوى الموضوعي للبرامج ولكنه يكتفي بتقديم استعراضٍ كمي لها من واقع الخرائط البرامجية لبعض القنوات الإذاعية المسموعة بمدينة طرابلس وهي كالتالي:

اسم الاذاعة	تبعيتها	تاريخ انطلاقها	تردد الاستقبال	مكانها بمدينة طرابلس
إذاعة صوت طرابلس	حكومية	24 أغسطس 1994	FM 103.4	القبة الفلكية
راديو غرب طرابلس	شبه حكومية	24 ديسمبر 2011	FM 101.9	جنزور
راديو الجوهــرة	أهلية خاصة	15 يونيـو 2012	FM 107.7	الحشان بسوق الجمعة
راديو الساعــة	أهلية خاصة	01 يونيــو 2014	FM 90.7	النوفليين

جدول رقم (1): بيانات القنوات الإذاعية المسموعة

ومن خلال الجدول رقم (1) نلاحظ تفاوتاً كبيراً في عمر هذه القنوات التي تنوعت بين الحكومية أو شبه الحكومية التي تتبع مؤسسات الدولة الليبية مثل (إذاعة صوت طرابلس) و(راديو غرب طرابلس) والأهلية الخاصة مثل (راديو الجوهرة)

و(راديو الساعة)، حيث يتبين لنا أن (إذاعة صوت طرابلس) قد تميزت بأطول الأعمار بين هذه القنوات المسموعة والذي يصل إلى حوالي ثلاثة وعشرين سنة، مما يكسبها الكثير من الخبرات المهنية والفنية والتقنية، واتساع شبكة العلاقات العريضة التي تمكنها من التواصل مع أطياف عديدة من المختصين والمهتمين، بينما هذا لا يتوفر للقنوات الحديثة التي يتراوح عمرها الزمني بين ثلاثة وستة سنوات في العمل الإذاعي القصير .

كما نلاحظ من نفس الجدول اختلاف تبعية القنوات المسموعة بين الحكومية وشبه الحكومية والأهلية وهذا بالتأكيد يلعب دوراً مهما في تحديد سياسة وتوجه القناة، والشروط والمعايير الأخلاقية والمهنية بها، وكذلك التمويل المالي اللازم لتسيير أعمالها من أجل تحقيق رسالتها الإذاعية وهدفها المنشود. فالقنوات الحكومية تضمن غالباً حصولها على تمويل لتسديد رواتب ومستحقات المتعاونين معها من خلال الميزانية العامة، وإن تأخر ذلك، إلا أن القنوات الخاصة فبالرغم أن الإعلانات والرعاية الدعائية الاستثمارية للبرامج من قبل الجهات والمؤسسات المختلفة والشركات التجارية تمثل جانباً من ميزانيتها المالية العامة إلا أنه يظل بسيطاً ومحدوداً ولا يغطي متطلبات تسيير العمل الإذاعي بالكامل، وهنا لابد أن نطرح سؤالاً كبيراً وخطيراً عن مصادر تمويل هذه القنوات الأهلية الخاصة، وما هي الغايات الفكرية والدينية والايديولوجية والسياسية الظاهرة والمتخفية وراء هذا التمويل سواء من داخل البلاد أو خارجها؟

ملامح الخرائط البرامجية بالإذاعات المسموعة:

توزعت البرامج المسموعة المباشرة المنفذة أسبوعياً على خارطة القنوات الأربعة أثناء سنة 2012 وحتى 2016 كالتالي:

م	الإذاعة/ البرنامج	سياسي	ثقافي	علمي	اجتماعي	فني	رياضي	ديني	غير ذلك
1	راديو الجوهرة	10	7	6	13	5	4	5	10
2	صوت طرابلس	1	2	5	5	3	1	1	3
3	راديو الساعة	0	3	5	2	1	2	0	4
4	راديو غرب طرابلس	5	20	6	22	2	3	1	1

جدول رقم (2): توزيع البرامج المباشرة على خارطة القنوات الإذاعية المسموعة الأسبوعية

ومن خلال الجدول رقم (2) يمكننا القول بأن البرامج الإجتماعية والثقافية على التوالي قد برزت بشكل ملحوظ في خارطة (راديو غرب طرابلس) بينما البرامج الاجتماعية والسياسية استحوذت على معظم الخارطة البرامجية في (راديو الجوهرة)، بينما نلاحظ انعدام البرامج السياسية والدينية على خارطة (راديو الساعة)، وقد برز عدد البرامج بشكل متطرف وغير متوازن أو متقارب في معظم القنوات ماعدا (راديو صوت طرابلس) الذي أبان عن تقارب كبير في توزيع برامجه عددياً مما يبرز أهمية الخبرة في عملية التخطيط البرامجي الذي يعد ركناً أساسياً في الخارطة الإذاعية الهادفة لإثراء الخطاب الإذاعي، وتوازنه، وتنوعه ليشمل الجوانب الدينية والفكرية والسياسية والثقافية والرياضية والاجتماعية والفنية والإعلانية وغيرها التي تتبلور جيمعها مع توجه الخط العام، أو سياسة الأجندة الخاصة بالإذاعة .

أما بالنسبة للعناصر البشرية التي تتولى إعداد وتقديم هذه الخرائط البرامجية بالقنوات الأربعة فقد كان من الصعب التعرف على مؤهلاتهم، وسيرهم العملية، وخبراتهم السابقة في إعداد وتقديم البرامج، ولكن الجدول رقم (3) الذي يمثل عدد وجنس معدي ومقدمي البرامج المسموعة المباشرة يبرز بشكل لافت التفاوت العددي والنسبي الكبير بين العاملين الذكور والإناث مما يؤشر إلى غياب الدور الإذاعي الفاعل للمرأة الليبية في هذا المجال، واستئثار الذكور به في القنوات الأربعة خلال الفترة من 2012 إلى 2016 على النحو التالي:

م	القناة المسموعة	ذكور	النسبة %	إناث	النسبة %
1	راديو الجوهرة	28	68	13	32
2	صوت طرابلس	15	79	4	21
3	راديو الساعة	12	71	5	29
4	راديو غرب طرابلس	39	85	7	15

جدول رقم (3): جنس معدي ومقدمي البرامج المسموعة المباشرة

وتقع على إدارات التخطيط البرامجي بالقنوات المسموعة المكلفة بإعداد خططها الموسمية مسئولية كبيرة تتطلب منها الاستعانة إلى جانب معدي ومقدمي تلك البرامج، بالعديد من الخبراء المختصين في كل المجالات التي تتوخى إبرازها في خرائطها البرامجية الموسمية على مدار ساعات البث، لمنح تلك البرامج الكثير من الموضوعية الفكرية، والمهنية التقنية حتى تحقق هدفها المنشود وهو نشر رسالتها النبيلة الهادفة عبر الإذاعة من خلال استقطاب المستمعين ونيل قبولهم واستحسانهم، وبالتالي كسبهم ضمن جمهورها، بدلاً من نعت برامجها بالمحتوى السلبي واللغة الركيكة، والمفردة العامية المبتذلة، والموسيقى الصاخبة، والمضمون الموضوعي الغائب، والمساهمة في تأجيج خطاب العنف والكراهية وتغذية التوجهات المناطقية والجهوية والقبلية وكلها صارت سمة البث الإذاعي المسموع.

وترجع بعض الدراسات العلمية والبيانات الاستقصائية هذا التردي المشين في الإعلام المسموع لعدة أسباب مختلفة من بينها مسئوليات الدولة، والمشرفين على خطط الإذاعات المسموعة، والمتلقي المستمع نفسه، كما أشارت إليه الدراسة الاستبيانية التي أجريت لإنجاز هذه الورقة التي استبانت ثلاثة شرائح هي:

(المختصون الإعلاميون)

و(المختصون الإجتماعيون)

و(المستمعون)

بمدينة طرابلس وكانت نتائجها كالتالي:

أولاً: مسئولية القناة الإذاعية المسموعة

يعرض الجدول رقم (4) ثلاثة أسباب حول مسئولية القناة الإذاعية المسموعة، جاءت أراء العينات الثلاثة فيها متفاوتة جداً تجاهها حيث رأى "المختصون الإعلاميون" و"المستمعون" بأن (عدم وجود إذاعيين أكفاء لإعداد وتنفيذ خارطة البرامج الإذاعية) هو السبب الأكثر تأثيراً، بينما رأى "الأخصائيون الإجتماعيون" بأن (اختيار مواضيع ومحاور وضيوف غير مناسبين للحوارات) التي تبثها القنوات المسموعة هو الأكثر تأثيراً في تردي البرامج الإذاعية المباشرة في عينة الدراسة.

مسئولية القناة الإذاعية المسموعة	المختصون الاعلاميون	المستمعون	المختصون الاجتماعيون
غياب خارطة البرامج الإذاعية كلياً للقناة.	11	25	13
عدم وجود إذاعيين أكفاء لإعداد وتنفيذ خارطة البرامج الإذاعية.	28	31	9
اختيار مواضيع ومحاور وضيوف غير مناسبين للحوارات.	23	22	20

جدول رقم (4): مسئولية القناة الإذاعية المسموعة

ثانياً: مسئولية معد ومذيع البرنامج

يعرض الجدول رقم (5) أربعة أسباب حول مسئولية كل من معد ومذيع البرنامج، جاءت أراء العينات الثلاثة فيها متفاوتة جداً تجاهها حيث رأى "المختصون الإعلاميون" بأن (تنفيذ توجهات القناة من أجل الحفاظ على الوظيفة وفرصة العمل) هو الاتجاه الأكثر تأثيراً، بينما "المستمعون" يرون أن (تدني المستوى الثقافي وعدم وجود تجارب وخبرة إذاعية) لمعدي ومذيعي البرامج هو الأكثر تأثيراً.

أما "الاخصائيون الاجتماعيون" فإنهم يرون أن (تدني المستوى الثقافي وعدم وجود تجارب وخبرة إذاعية) و(حب الشهرة والسعي للظهور من خلال اتباع خطاب الإثارة) و(تنفيذ توجهات القناة من أجل الحفاظ على الوظيفة وفرصة العمل) لهم نفس مستوى ودرجة التأثير في تدني البرامج الإذاعية المسموعة المباشرة.

مسئولية معد ومذيع البرنامج	المختصون الاعلاميون	المستمعون	المختصون الاجتماعيون
الجهل بخطورة الخطاب الإذاعي وعدم إدراك عواقبه وأثاره كافة.	20	23	10
تدني المستوى الثقافي وعدم وجود تجارب وخبرة إذاعية.	26	39	18
حب الشهرة والسعي للظهور من خلال اتباع خطاب الإثارة.	21	17	18
تنفيذ توجهات القناة من أجل الحفاظ على الوظيفة وفرصة العمل.	32	28	18

جدول رقم (5): مسئولية معد ومذيع البرامج المسموعة المباشرة

ثالثاً: مسئولية المستمع المشارك والمتلقي الليبي

يعرض الجدول رقم (6) خمسة أسباب حول مسئولية المستمع المشارك في

البرامج المسموعة المباشرة في ترديها وتدني مضمونها الفكري ومستواها الموضوعي. وقد جاءت أراء العينات الثلاثة فيها متفاوتة جداً تجاهها حيث أكد "المختصون الإعلاميون" بأن (ردود فعل المتلقي الانفعالية تعد تصرفاً طبيعياً نتيجة إرث فكري وتراكم ثقافي منغلق لا يقبل الرأي المخالف) هو الاتجاه الأكثر تأثيراً، أما "الأخصائيون الاجتماعيون" و"المستمعون" فقد أكدوا جميعهم طالما أن (المستمع الليبي لديه قابلية ذاتية سريعة للتأثر بخطاب العنف) فهو الأكثر تأثيراً في تفاعله مع البرامج المباشرة.

وفي الوقت الذي قلل فيه "الاخصائيون الاجتماعيون" من فرضيتي (مشاركة المستمع الليبي الهاتفية أغلبها لغرض التضليل والتأجيج نتيجة الجهل بموضوعية وخطورة المشاركة) وأن (مشاركة المستمع الليبي تمثل بحثاً عن لحظات تنفيس وتفجير بواطنه الفكرية وضغوطه النفسية، والتباهي الشخصي) فإن العينات الثلاثة اتفقت على استبعاد فرضية أن يكون (المستمع الليبي لا يتأثر أبداً بالخطاب الإذاعي أياً كان نوعه)، أما فرضية (مشاركة المستمع الليبي تمثل بحثاً عن لحظات تنفيس وتفجير بواطنه الفكرية وضغوطه النفسية، والتباهي الشخصي) فقد جاءت وسطية بالعينات الثلاثة كلها وهو ما يمثل اتفاقاً ضمنياً حولها.

مسئولية المستمع المشارك والمتلقي	المختصون الاعلاميون	المستمعون	المختصون الاجتماعيون
المستمع الليبي لديه قابلية ذاتية سريعة للتأثر بخطاب العنف	19	31	22
المستمع الليبي لا يتأثر أبداً بالخطاب الإذاعي أياً كان نوعه	6	4	7
مشاركة المستمع الليبي الهاتفية أغلبها لغرض التضليل والتأجيج نتيجة الجهل بموضوعية وخطورة المشاركة	15	19	10
مشاركة المستمع الليبي تمثل بحثاً عن لحظات تنفيس وتفجير بواطنه الفكرية وضغوطه النفسية، والتباهي الشخصي	18	19	8
ردود فعل المتلقي الانفعالية تعد تصرفاً طبيعياً نتيجة إرث فكري وتراكم ثقافي منغلق لا يقبل الرأي المخالف	25	25	17

جدول رقم (6): مسئولية المستمع المتلقي المشارك في البرامج المباشرة

رابعاً: مسئولية المجتمع والدولة

يعرض الجدول رقم (7) ثلاثة فرضيات حول مسئولية المجتمع والدولة في حالة الهبوط الفني والذوقي الذي نلمسه في البرامج الإذاعية المسموعة المباشرة حيث أكد "المختصون الإعلاميون" فرضية (عدم تفعيل القوانين والتشريعات الرادعة والعقوبات الصارمة) بينما رأى المستمعون بأن فرضية (عدم وجود معايير وضوابط فنية إعلامية تعدها نقابة أو هيئة متخصصة) هي الأكثر تأثيراً، أما "المختصون الإجتماعيون" فقد أكدوا بأن (عدم وجود معايير وضوابط فنية إعلامية تعدها نقابة أو هيئة متخصصة) و(عدم تفعيل القوانين والتشريعات الرادعة والعقوبات الصارمة) هي أبرز الأسباب في هذه الدراسة الاستقصائية.

النتائج:

يظهر التوافق المطلق والنسبي في هذه الورقة حول عدد من الفرضيات والأسباب بين (المختصون الإعلاميون والمستمعون) مع بروز تباين متفاوت في بعض المؤشرات بشكل واضح بينهم، وهذا أمر طبيعي نتيجة فروقات المستويات العلمية والتخصصية. ولكن يؤكد الجميع على عدة أسباب أدت إلى تردي مستوى البرامج الإذاعية المسموعة من بينها الدور الهام والخطير للخارطة البرامجية للإذاعات المسموعة وضرورة إيجاد معايير موضوعية وفنية، لابد من الالتزام بها أثناء إعداد تلك الخرائط البرامجية، واختيار الاعلاميين والإذاعيين المؤهلين من ذوي الخبرة والتجارب المعتبرة للقيام بها. وأن مسئولية ما تعانيه الإذاعات المسموعة من فوضى وتدني في مستوى برامجها المباشرة لا تتحمله إدارة المؤسسة الإذاعية وحدها، بل يطال المستمع المشارك في هذه البرامج، وكذلك غياب تفعيل وتطوير قوانين وتشريعات الدولة الرادعة من أجل حماية كرامة الإنسان وصون كيان المجتمع بجميع أطيافه.

الخلاصة والتوصيات:

يعد البث المسموع من أهم وأخطر الوسائل الإعلامية رغم ما يواجهه من تحديات عصرية هائلة متمثلة في القنوات الفضائية المرئية ومواقع التواصل الاجتماعي، ولكنه يظل يملك خصوصيته الفنية التي تجعل حضوره في المشهد الاجتماعي ضرورياً لمواكبة كل الأحداث ونشر الأخبار والتوعية الفكرية بجميع أشكالها. وهذا بالطبع يضع مسئولية عظيمة على العاملين في الوسط الإذاعي المسموع، ويجعل التخطيط البرامجي يحتل أهمية كبيرة في رسم الملامح

الموضوعية ومضامين الخطاب الإعلامي المسموع. ومن أجل القيام بهذا الدور الاجتماعي الخطير عبر الإذاعة المسموعة يتطلب الوضع الراهن في ليبيا ضرورة تفعيل وتطوير القوانين والتشريعات النافذة ذات العلاقة بتحصين المجتمع ضد صور التغريب والتشويه والعبث والضجيج وخطاب العنف والكراهية. كما أنه من الضروري الاتفاق على اعداد واعتماد ميثاق الشرف الإذاعي المسموع بين الإذاعات كافة لما يرسخه هذا الاتفاق الشرفي من معايير وقيم وأخلاقيات تحصن هذا المجال، وضرورة وضع حد لحالة الفوضى التي يعانيه هذا الوسط ووضع معايير للعاملين به وشروط الالتزام بها.

الشكر والتقدير:

أتوجه بالشكر والامتنان لإدارات الإذاعات المسموعة الأربعة التي زودتني بخرائطها البرامجية وقدمت لي كل المساعدة في إنجاز هذه الورقة. وأخص بالذكر كلاً من:

(إذاعة صوت غرب طرابلس): الأستاذ/ عبدالحكيم سويد.

(صوت الجوهرة): الأستاذ/ سامي الشريف.

(إذاعة صوت طرابلس): الأستاذ/ أحمد أبوهروس، الأستاذة/ فريدة طريبشان.

(راديو الساعة): الأستاذة/ أسماء الفرجاني، الأستاذ/ عادل التاغدي.

---

* كاتب وصحفي وإذاعي وإعلامي مستقل يحمل درجة الماجستير في علوم الغلاف الجوي من جامعة ريدينج ببريطانيا، أعد وقدم العديد من البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية ونشر الكثير من كتاباته الصحفية والفكرية، وأصدر عدداً من الكتب الأدبية والنقدية.

المراجع:

- راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991

- سالم عيسى بلحاج، أنماط تعرض الجمهور للإذاعة الليبية FM، البحوث الاعلامية، العدد 43، لسنة 2008ف، ص ص 67-120

- عابدين الدردير الشريف، السياسة الإعلامية في ليبيا، منشورات أكاديمية الدراسات العليا، ط1، 2005

- فاطمة حمد ميلاد الشكري، دور الإذاعة الليبية في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الأسرة في ليبيا، البحوث الاعلامية، العدد 51-52، 2013م، ص ص 173-200

- محمد علي الأصفر، التطور التاريخي للإذاعتين المسموعة والمرئية في ليبيا، مجلة البحوث الإعلامية، العدد 29، السنة 3، 1372م -2004ف، ص ص 10-15

معجم خطاب الكراهية في ليبيا

ترجمة وتلخيص: مجلة الفصول الأربعة

قبل البداية، من المهم تعريف خطابة الكراهية وعلاقته بمنصات التواصل الاجتماعي:

ما هو خطاب الكراهية

خطاب الكراهية (Hate speech) مصطلح حقوقي فضفاض يمكن أن يُعرف بكونه أي (عبارات تؤيد التحريض على الضرر (خاصة التميز أو العدوانية أو العنف) حسب الهدف الذي تم استهدافه وسط مجموعة اجتماعية أو [سُكانية]) وتكون هذه المجموعات عادة من الضعفاء والأقليات. ويندرج خطاب الكراهية في مركبات (حرية التعبير وحقوق الأفراد والجماعات والأقليات ومبادىء الكرامة والحرية والمساواة).

ويأتي مصطلح خطاب الكراهية لأن العالم، بقوانينه الدولية والمحلية، يفرق بين حق الرأي وحق التعبير عن الرأي، فإن العالم لا يضع أي قيد على حق الرأي و يجعله مطلقاً ولكنه يضع قيوداً وضوابط على التعبير عن هذا الرأي فهناك قيود منها احترام حقوق الآخرين وحماية الأمن القومي. لذا، ينبع مسوغ قوانين خطاب الكراهية بكون الخطاب المفعم بالكراهية يتعارض وقيم التسامح والعيش المشترك التي تحتاجها الجماعات البشرية. [ويكيبيديا]

خطاب الكراهية ووسائل التواصل الاجتماعي

بتاريخ 31 مايو 2016، وافقت شركات فيسبوك وجوجل ومايكروسوفت وتويتر على مدونة ضبط السلوك التابعة للاتحاد الأوروبي، وقدمت هذه الشركات تعاريفها الخاصة بما يشكل خطاباً مفعماً بالكراهية لمتنع أشكاله على منصاتها .

مثلاً يشمل خطاب الكراهية حسب فيسبوك: لا يُسمح بالمحتوى الذي يهاجم الأشخاص على أساس عرقهم الفعلي أو المتصور أو السلالة أو الأصل القومي أو

الديانة أو الجنس أو النوع أو الهوية الجنسية أو التوجه الجنسي أو الإعاقة أو المرض. ولكننا في الوقت ذاته نسمح بالتعبيرات التي تُنشر على سبيل الدعابة أو السخرية والتي قد يعتبرها البعض تهديدًا أو هجومًا. ويتضمن هذه المحتوى الذي قد يعتبره العديد من الأشخاص مفتقدًا إلى الذوق (مثال: النكات أو الأعمال الكوميدية القصيرة أو كلمات الأغاني الشعبية، وما إلى ذلك).

ويتضح التناقض في تعريف فيسبوك سريعاً، فما هو معيار التعبيرات الساخرة من التعبيرات الجدية أو المستترة؟ وهذا بالطبع يعتمد على النوايا، والنوايا جوانب من غير ممكن الوصول إليها بسهولة كما يتضح من الدراسات اللغوية في تحليل الخطاب. فالدراسات بنظرية التهذيب تخبرنا بأن المتحدثين لا يرتدون نواياهم، أي لا يمكن للشخص المقابل، المتلقي، معرفة النوايا من النظر، سواءاً إلى المتكلم أو إلى كتاباته، على الفيسبوك مثلاً.

ولكون الفيسبوك مرآة للتواصل البشري المباشر، فلقد سجلت بسنة 2012 جريمة بكل 40 دقيقة مرتبطة بالموقع، يتعلق الكثير منها بما يمكن وصفه بخطاب الكراهية. هذا، وغيره من وسائل الجدال، يستخدمها البعض لرفض مفهوم "المساحة الآمنة" التي يرغب الفيسبوك، وبعض التيارات الفكرية اليسارية مثلاً، بتوفيرها وحمايتها. والفيسبوك، كغيره من مواقع التواصل الإجتماعي، موقع خصب للتنمر والهجوم اللفظي الذي يقع، حسب التعريف، ضمن خطاب الكراهية. [ويكيبيديا]

التقرير أو (معجم خطاب الكراهية).

أصدرت منظمة PeachTech Lab بالتعاون مع مؤسسة البيرو الصحفية وDevelopment Transformations مُعجماً بعنوان (Social Media and Conflict in Libya - Lexicon of Hate Speech Terms)، أو (التواصل الاجتماعي والصراع في ليبيا - معجم خطاب الكراهية)، والذي يتضمّن مجموعة من أخطر الكلمات المسبّبة لخطاب الكراهية في ليبيا، وهو واحد من سلسلة من المعجم الذي أنتجته PeaceTech Lab والتي تركز على وسائل التواصل الاجتماعي وخطاب الكراهية في بلد معين.

فمنذ عام 2014، عملت Peace-Tech Lab مع شركاء محليين في بلدان في جميع أنحاء إفريقيا والشرق الأوسط لتطوير معجم للغة البغيضة وفهم أفضل لآليات خطاب الكراهية عبر الإنترنت وارتباطاته

المحتملة بالعنف غير المتصل بالإنترنت. ويعد هذا البحث جزءًا من هدف Lab الأوسع المتمثل في معالجة خطاب الكراهية عبر الإنترنت وتأثيره على المجتمعات في مناطق النزاع.

وقد تم تحديد ليبيا كدولة ذات أولوية لهذا العمل في ضوء الوضع الأمني غير المستقر والتفتت الواسع في البلاد في السنوات التي تلت الإطاحة بمعمر القذافي، والتي ثبت أنها جميعًا تلعب دورًا في بيئة الإنترنت المزدهرة. فاعتبارًا من ديسمبر 2017، كان 54.1 في المائة من سكان ليبيا من مستخدمي Facebook. في حين أن معدل انتشار الهواتف المحمولة يزيد على 100 في المائة، مع وجود العديد من الأشخاص لديهم أكثر من اشتراك واحد للهاتف المحمول.

يركز موقع PeaceTech Lab على الكلام الذي يحض على الكراهية إلى تحديد أنواع معينة من اللغة التي من المحتمل أن تتسبب في العنف وتهيئتها. يحدد هذا المشروع المصطلحات ذات الصلة من خلال جمع المعلومات على أرض الواقع ويفحص أصولها وسياقها الأساسي واستخدامها في بيئة بلد معين.

وهو يؤكد أنه لرصد ومكافحة خطاب الكراهية بنجاح، يجب أولاً تحديد المصطلحات المحددة والسياق الاجتماعي والسياسي الذي يجعلها مسيئة، أو حتى يحتمل أن تكون خطرة. ثانيا يسعى البحث أيضًا إلى تحديد مصطلحات بديلة من شأنها تخفيف أو استبدال هذه اللغة وبالتالي المساهمة في بناء السلام. أخيرًا يهدف هذا التقرير إلى أن يكون مصدرًا للأفراد والمنظمات المشاركة في مراقبة ومكافحة خطاب الكراهية حتى يصبح عملهم أكثر فعالية.

المعجم

قدم التقرير، والذي جاء في 40 صفحة باللغة الإنجليزية، لهذا المعجم بمقدمة حاول من خلالها التركيز على أسباب وجود هذا الخطاب وارتفاع مستواه، وارتباطه بالأحداث في ليبيا، والتي يمكن اختصارها في النقاط التالية:

- حالة انعدام الأمن والعنف في ليبيا ما بعد فبراير 2011.

- الوضع السياسي المترهل، والأداء الضعيف للكيانات والأجسام السياسية.

- انتشار الجماعات المسلحة.

- الانقسام السياسي.

- ميراث فترة القذافي، والتي تم فيها تهميش الفكر والثقافة والمجموعات

الإثنية. ونظام الولاءات الذي اعتمده في تولي المناصب.

- الولاءات السياسية والدينية والعرقية والقبلية التي تلعب دوراً في ليبيا.

- التميز العرقي والعرقي.

- الأحداث الأخيرة بداية من أبريل 2019.

يشكّل التقرير (معجم خطاب الكراهية) مصدراً لفهم تلك الكلمات، ولفهم أيضاً شريحة من الشباب الليبيّ الذين يرون فيها كلماتٍ تتضمن خطاب كراهية، تعريف الكلمات ومنشئها التاريخيّ، ولماذا يعتبر المشاركون الكلمات تشكّل خطابا للكراهية؟ وما هو البديل المناسب لها؟

جمع التقرير كما هو مكتوب داخله البيانات عن طريق استبيانات شارك فيها؛ 250 مشارك، ومجموعات نقاش في مدن ليبيّة ونقاشات مع مستشارين محليّين.

احتوى القائمة الرئيسية للمعجم، على 16 مفردة أو كلمة، هي أكثر الكلمات رواجاً خلال فترة الرصد 1 إلى 17 مايو 2019، والتي تمثل خطاب الكراهية على منصات التواصل الاجتماعي في ليبيا. وقد قام معدوا امعجم بالتفضل بالتوسع في عرض وشرح وبيان كل كلمة أو مفردة ولماذا تشكل خطاباً للكراهية، وكما تم اقتراح مجموعة من الكلمات البديلة لكل كلمة في هذه القائمة الرئيسية. واحتوت القائمة على الكلمات التالية، وهي مرتبة من الأكثر استخدماً فالأقل:

1- دواعش.

2- خوارج.

3- الإخوان.

4- عبد.

5- إرهابيين.

6- كلاب.

7- شرقاوي.

8- غرباوي.

9- كرامة.

10- عميل.

11- بربر.

12- علماني.

13- جرذان.

14- طحالب.

15- جماعة المجتمع المدني.

16- أزلام.

هذا دون أن يغفل التقرير عرض بعض النماذج من المنشورات والتغريدات على منصات التواصل، مع ترجمة لها، وكذلك مخطط بياني يوضح استخدام كلمة (دواعش) ومرات تكرارها خلال فترة المسح. أما القائمة الفرعية، احتوت على مجموع 6 كلمات، رتبت ألفبائياً، وهي تحتوي على بعض الكلمات الخادشة للحياء وذات الإسقاط الأخلاقي.

ملاحظات عامة:

في ختام التقرير، يمكن أن نخلص لبعض الملاحظات العامة:

- في المجمل، يكشف هذا التقرير حجم ومستوى خطاب الكراهية الذي يشكله خطابه، وتكشف عنه أحد وسائل التواصل ممثلة في منصات التواصل الاجتماعي.

- كما ويقدم مجموعة من المفاتيح المهمة للدارسين، والباحثين في هذا المجال، خاصة وإنه قام في القائمة الأولى، بتشريح كل كلمة بشكل كبير.

- التقرير ركز بشكل كبير على مشروع المعجم، دون النظر إلى أن هذه المنصات هي أحد وسائل المواجهة غير العسكرية، والتي يتستر العديد خلفها، ويقومون على تسخيرها لبث هذا النوع من الخطاب.

- التركيز على الكلمات الممثلة لخطاب الكراهية، كان نتاجه قائمتين؛ أولى بحسب الاستخدام، وثانية ألف بائياً.

وكان الأجدى -من وجهة نظري- أن يتم تصنيف هذا المعجم وترتيبة بحسب مجموعات الكلمات التي تنتمي لبعضها؛ سياسي أو إيديولوجي، ديني، عرقي، جهوي، وهكذا بحيث يمكن ملاحظة اتجاه وتركيز هذا الخطاب في المجتمع.

- اقترح التقرير لكل كلمة من كلمات القائمة الأولى بدائل، يمكن استخدامها وهي لا تحمل أي كراهية، كونها توصيفية وتصنيفية محضة، لكن أغلب هذه البدائل من الصعب استخدامها إما لطولها أو لعدم كفاءتها لتحل محل الكلمة الأساسية.

رصد خطاب الكراهية

في القنوات التلفزيونية - تقرير

16 21 – فبراير 2017

المركز الليبي لحرية الصحافة

المقدمة

"الإعلام دون مُثل أخلاقية عليا لا يتجرد فقط من إمكاناته الرائعة للخدمة العامة، ولكنه يصبح خطراً فعلياً على المجتمع."

خير شاهد حي على هذه المقولة هو وضع الإعلام المنقسم في ليبيا، والذي تصطف وسائله بكل إمكاناتها في صفوف متقابلة مع أطراف الصراع في الحرب الأهلية التي تشهدها البلاد منذ صيف 2014.

فالمتابع للإعلام الليبي في الفترة الراهنة، يلاحظ مدى القصور والتخبط الذى يعانيه بكل وسائله، خاصة المرئي، نظراً لدوره السلبي في تأجيج الصراع والحرب الأهلية بسبب تفشي خطاب الكراهية والتحريض على العنف من خلال الأشكال التلفزيونية المُختلفة.

وقد زادت حدة ذلك الخطاب الخطير في ظل الفوضى التي يعيشها قطاع الإعلام بسبب غياب السلطات المختصة المشرفة على وسائل الإعلام وعدم وجود لوائح لتنظيم الإعلام، الأمر الذي أدى إلى أولا إلى احتكار المال السياسي لقنوات خاصة بدعم من دول أجنبية لتوجيه الرأي العام نحو أجندة سياسية وأيدولوجية، وثانيا إلى استغلال قنوات الدولة من قبل بعض الأطراف المسلحة لتمرير أجنداتها مما ضرب بالنسيج المُجتمعي وزاد من توظيفه كا أداة للانتقام والإقصاء وضرب الآخر.

المنهجية

تتركز المنهجية البحثية على رصد 9 قنوات تلفزيونية هي الأكثر تأثيراً في الصراع السياسي والعسكري الجاري لفترة سبعة أيام متواصلة بين 16 إلي 21 فبراير الماضي سُجل خلالها 609 إخلالاً مهنياً.

القنوات: قناة ليبيا بانوراما، قنانة ليبيا 218، قناة التناصح، قناة ليبيا الحدث، قناة النبأ، قناة الرائد، قناة ليبيا الأحرار، قناة ليبيا 24، قناة ليبيا روحها الوطن.

وقد شملت عملية الرصد للفترة أوقات الذروة ما بين الساعة 18:00 مساءاً وحتي 24:00 ليلاً لكافة القنوات المُستهدفة بالبحث، تم خلالها تحديد البرنامجين الرئيسين والنشرات الإخبارية الرئيسية بكُل قناة تلفزيونية.

طبيعة الإخلالات "الكراهية والتحريض"

إعتمدت عملية توصيف خطاب الكراهية والتحريض على عدة نقاط تتعلق بطبيعة الإخلالات:

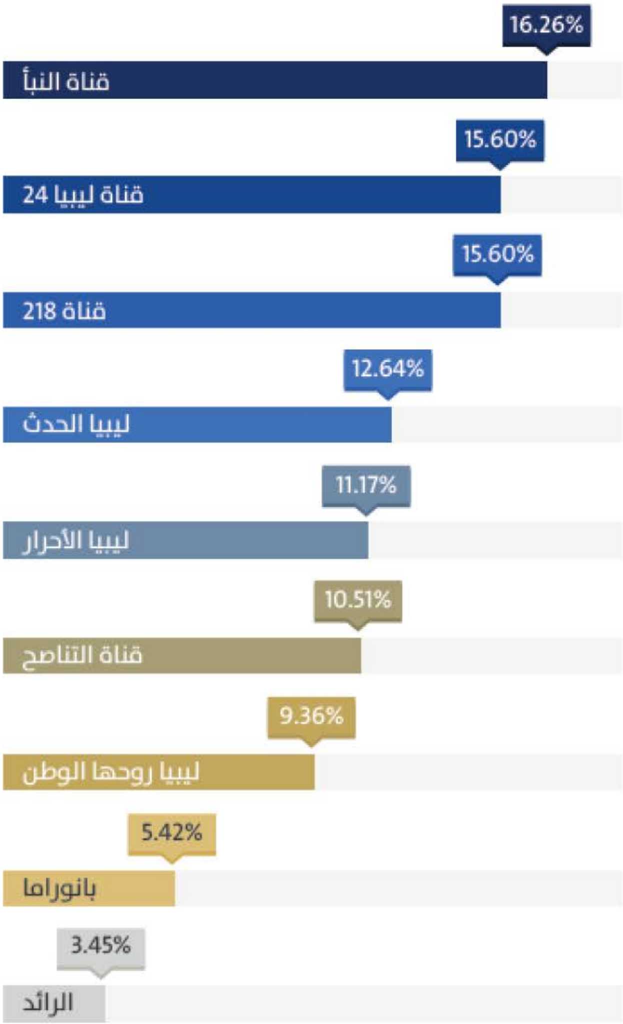
1. الاتهامات دون حجج
2. التحريض على الحرب وإحداث الفتن
3. عدم الدقة والموضوعية والانحياز
4. خلط بين التعليق والخبر
5. السب والتشهير
6. بث الاشاعات والتضليل الاعلامي
7. عدم احترام كرامة الانسان
8. اعادة بث المواد الارهابية
9. خطاب الكراهية والعنف
10. الوصم والتحقير
11. التكفير
12. بث صور القتلى
13. الدعوة للانتقام والاقصاء
14. هتك العرض والقذف
15. التحريض على القتل
16. خطاب التمييز العنصري

نتائج الرصد

لقد تم إستخدام المنهج الوصفي في تحليل البيانات الذى يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، و وصفها وصفا دقيقاً، حيث تم توضيح النتائج في أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة وحجمها ودرجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.

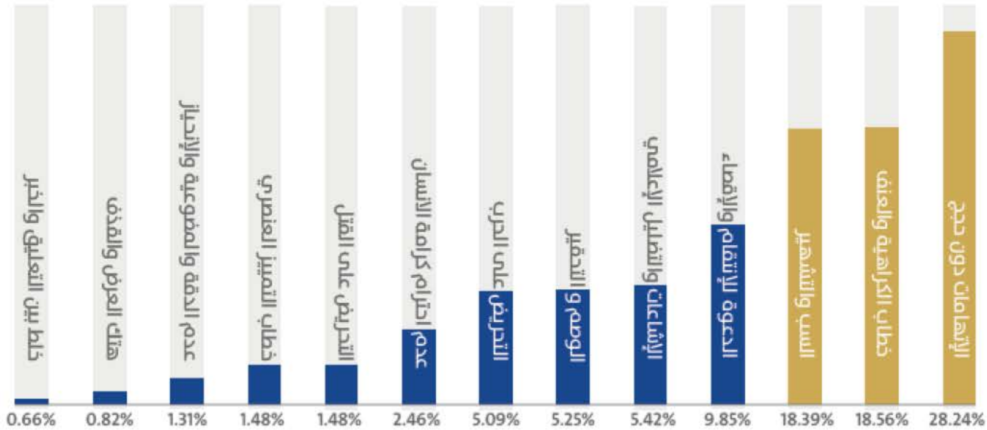
القنوات التلفزيونية

يوضح الشكل النسب المئوية للإخلالات المهنية بكُل قناة فضائية تمت عملية رصدها والتي تصدرت قناة النبأ القنوات الأكثر إرتكاباً للإخلالات المهنية حيث تصدرت القائمة بنسبة مئوية 16.26%، فيما حلت قناة ليبيا 24 وقناة 218 بفارق نقطة ليُسجلوا 15.60% بعد تقارب النسبة المئوية وتأتي قناة ليبيا الحدث بنسبة 12.64%.



طبيعة الاخلالات المهنية

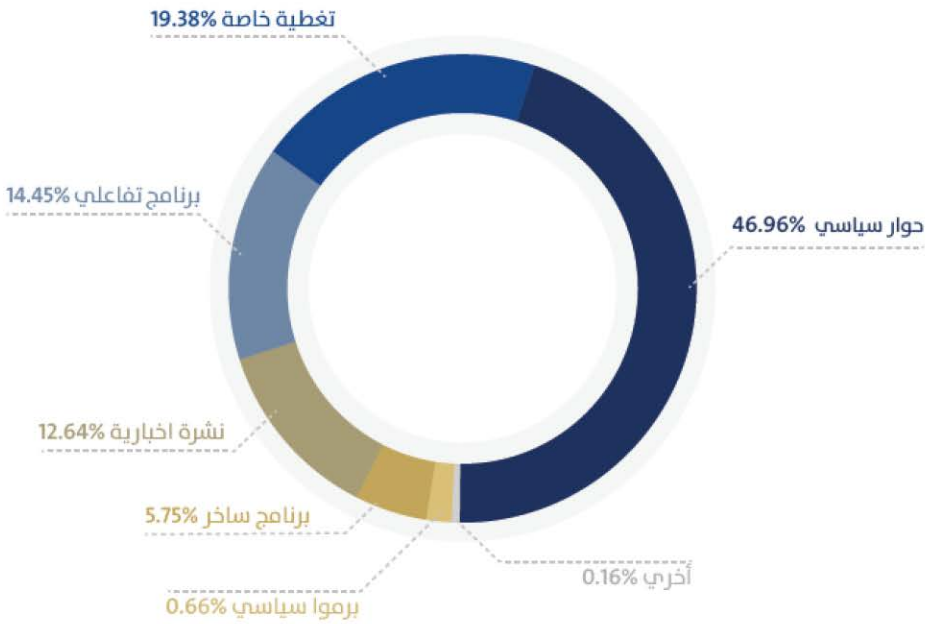
يوضح الشكل توزيع نوع الإخلالات المهنية بالقنوات المٌستهدفة بالرصد، وتصدرت الإتهامات دون حجج 28.24 % فيما سٌجلت خطابات التحريض والدعوة للعنف ما نسبته 18.56% فيما تليها حالات السب والتشهير 18.39% وبلغت حوادث الدعوة للإنتقام والإقصاء 9.85% بالإضافة سجلت الإخلال المٌتعلق ببث الإشاعات والتضليل الإعلامي ما نسبته 5.42% وسجلت خرق الوصم والتحقير 5.25% وبلغت حوادث عدم إحترام كرامة الإنسان 2.46%.



خطابات الكراهية حسب نوعية البرامج التلفزيونية

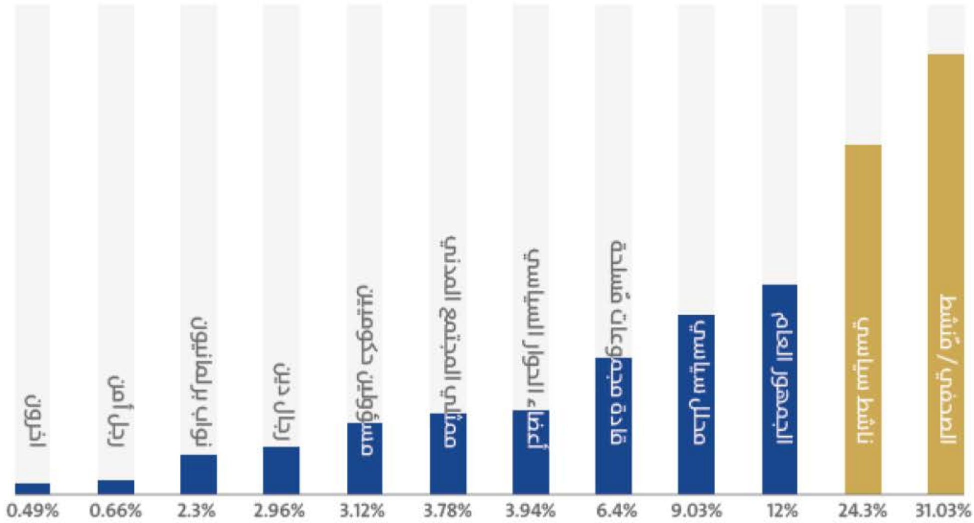
وفقاً لتصنيف البرامج التلفزيونية فإن 46.96% تقع الإخلالات المهنية والتحريض في البرامج السياسية وهي تحتل المكانة الرئيسية بالقنوات الفضائية الليبية فيما سٌجلت التغطيات الإخبارية للأحداث الأمنية والسياسية 19.38% وتأتي من بعدها البرامج التفاعلية بنسبة مئوية 14.45% ومن ثم نشرات الأخبار والبرامج الساخرة والبرموهات.

وتٌعطي هذه النتيجة مدي التسييس الخطاب الإعلامي والتحكم في توجيه وفقاً لرغبات ملالكي وسائل الإعلام المٌختلفة، فضلاً عن الضٌعف المهني الذي يٌعانيه الصحفيون في غرف الأخبار بالوسائل الإعلامية المٌختلفة



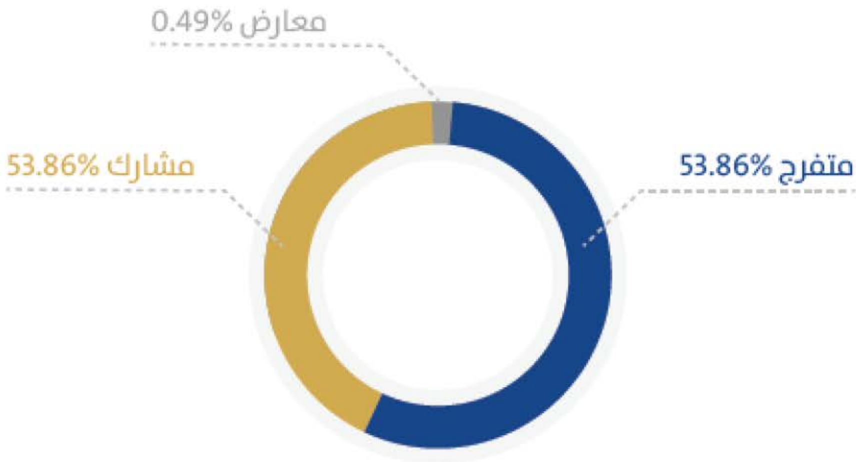
خطابات الكراهية حسب منتجيها

يُبين الشكل القائمين بالإخلالات المهنية ومنتجي خطاب التحريض والكراهية بوسائل الإعلام وتصدر خلالها الصحفيون مقدمي البرامج التلفزيونية الأكثر قياماً بالإخلالات المهنية بنسبة بلغت 31.03% فيما حل الناشطون السياسيون "الذين ينتمون لأطراف النزاع المٌختلفة" مانسبته 24.30% والجمهور العام بنسبة بلغت 11.99% وتأتي من بعدها المحللون السياسيون المٌستلقون بنسبة بلغت 9.03% ومن بعدها قادة المجموعات المٌسلحة بنسبة بلغت 6.40%.



خطابات الكراهية حسب موقف الصحفي

يوضح الشكل مواقف الصحفي خلال حدوث الإخلالات المهنية أثناء البرامج التلفزونية حيث سجلت مانسبته 53.86% إن الصحفيون يلعبون دور المُتفرج أثناء وقوع الإخلالات فيما سُجلت ما نسبته 45.65% مُشارك ونسبة ضئيلة ظل الصحفيون مُعارضون على وقوع الإخلالات المهنية بنسبة لا تتجاوز 0.49%.



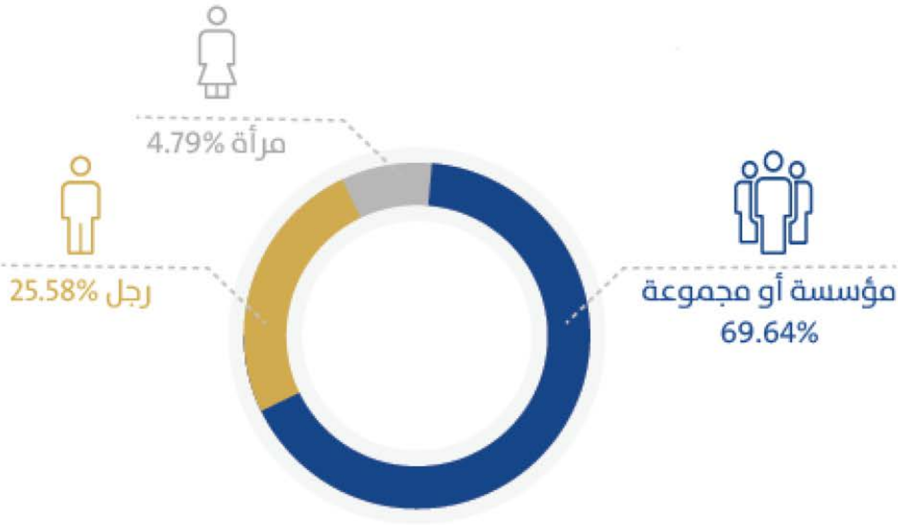
خطابات الكراهية حسب القائم بالخرق ونوع الخرق

بحسب عمليات الرصد وتحليل البيانات يوضح الجدول إن الإخلالات المهنية التي تُمارسها وسائل الإعلام المرصودة سجلت الإتهامات دون حجج يقوم بها الناشطون السياسيون فيما سُجلت خطاب الكراهية والعنف يقوم بها الصحفيون بوسائل الإعلام.

نوع الخرق / القائم بالخرق	الصحفي/ مُنشط	ناشط سياسي	الجمهور العام	محلل سياسي	قادة مجموعات مُسلحة	أعضاء الحوار السياسي	ممثلي المجتمع المدني	مسؤولين حكوميين	رجال دين	نواب برلمانيون	أخرون	الاجمالي
الإتهامات دون حجج	42	58	13	14	8	9	9	9	3	4	3	172
خطاب الكراهية والعنف	49	26	8	9	6	4	1	2	2	5	1	113
السب والتشهير	30	19	26	9	7	3	2	7	9			112
الدعوة للإنتقام والإقصاء	16	21	5	8	8	1				1		60
بث الإشاعات والتضليل	7	8	2	8		2				3	1	33
الوصم والتحقير	9	5	2		2		11		1		2	32
التحريض على الحرب/فتن	7	9	3	3	3	4		1	1			31
عدم احترام كرامة الانسان	11	2		1	1							15
التحريض على القتل	1		3	1	3	1						9
خطاب التمييز العنصري	3		3	1	1					1		9
عدم الدقة والمضوعية	7		1									8
هتك العرض والقذف			5									5
خلط بين التعليق والخبر	2		1	1								4
إعادة بث المواد الإرهابية	3											3
بث صور القتلي والجرحي	2											2
التكفير			1									1
الاجمالي	189	148	73	55	39	24	23	19	18	14	7	609

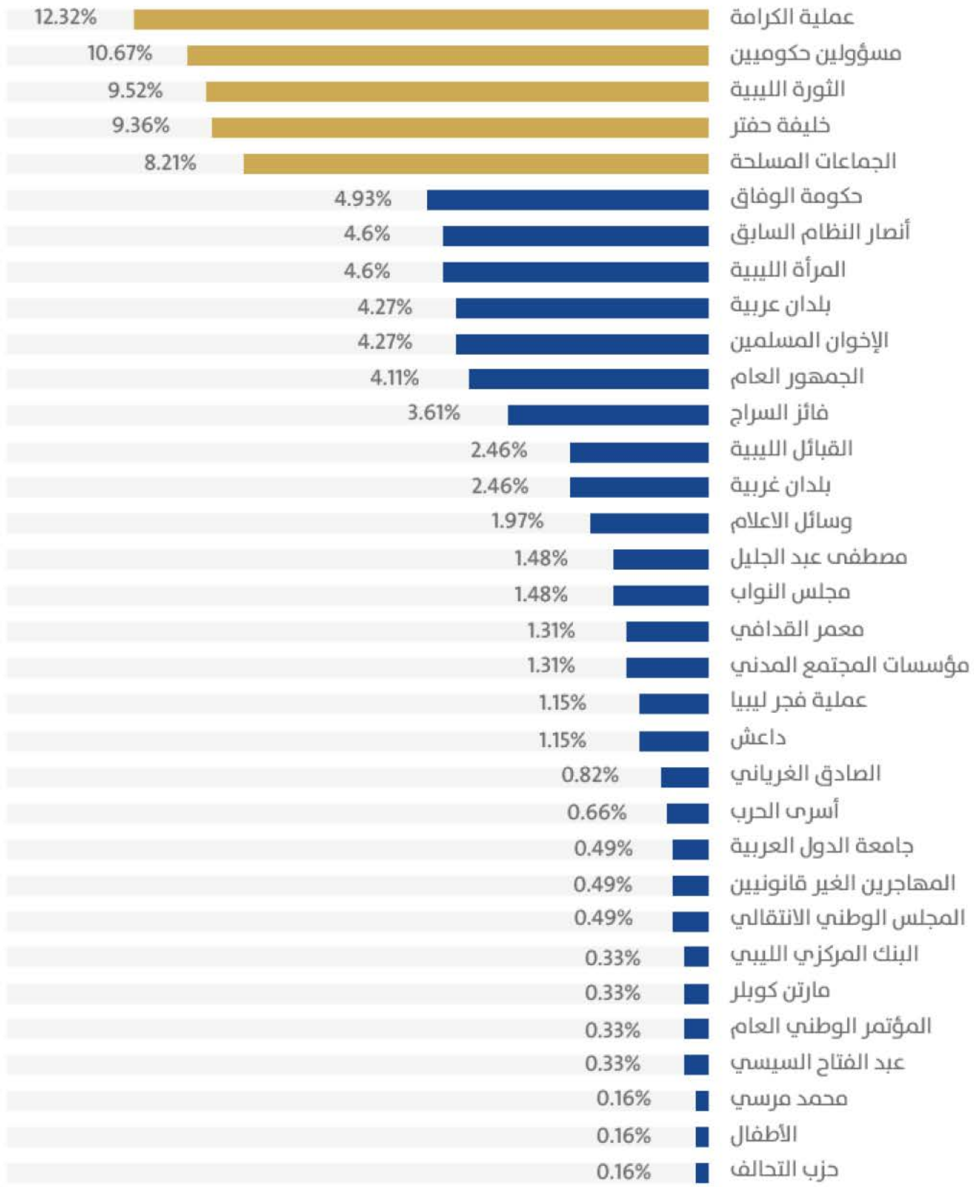
خطابات الكراهية حسب نوع المستهدف

يٌبين الشكل نوع المٌستهدفين بالإخلالات المهنية أثناء خطاب الكراهية والعنف بوسائل الإعلام حيث تٌستهدف المؤسسات أو الجماعات ما بنسبته 69.64% فيما يٌستهدف الرجال ما نسبته 25.58% والمرأة مانسبته 4.79 .%



المستهدفين في خطاب التحريض والكراهية

خلال عملية الرصد يوضح الراصدين أسماء الأشخاص أو المؤسسات أو الجماعات الأكثر إستهدافاً بالرأي العام خلال البرامج التلفزيونية حيث تصدرت عملية الكرامة 12.13% فيما حل المسؤولين الحكوميين مانسبته 10.67% تليها إستهداف الثورة الليبية بنسبة بلغت 9.52%. ويوضح الشكل الأسماء أو الجماعات بالإحصائيات للمٌستهدفين بخطابات التحريض أو الكراهية في وسائل الإعلام المٌرصودة.



التوصيات

تُمثل مدونة السلوك المهني والإلتزام بها التحدي الرئيسي أمام الصحفيين بهدف توجيههم وإرشادهم بدورهم وحقوقهم وواجباتهم المهنية بشكل أفضل، فضلاً عن كونها المعيار للتقييم أعمالهم، وهي

تخدم مالكي وسائل الإعلام ورؤساء التحرير لحمايتهم من أي عوائق قانونية أو ملاحقات قضائية مما ينعكس في إستفادة الجمهور بشكل عام.

إلا إن المٌشكلة الأساسية تتمثل في مدي إحترام رؤساء التحرير ومالكي وسائل الإعلام في إلتزام الصحفيين بهذه القواعد والضوابط المهنية المٌتمثلة في مدونات السلوك، والتي يجب أن يلتزموا بها في أداء مهنتهم السامية، أضف لذلك عدم الدراية والوعي الكافي لدي عدد الصحفيين بالأخلاقيات المهنية والمبادئ التوجيهية أثناء تغطية النزاعات المٌسلحة أو الأحداث الإرهابية وكيفية الحد من خطاب الكراهية والعنف.

1 -إعداد مذكرة شروط واضحة لمنح التراخيص العمل لكافة القنوات التلفزيونية الليبية، وتسوية أوضاع وسائل الإعلام التي تبث بتراخيص تجارية أو خارج القانون.

2 -إصدار مرسوم رئاسي لتشكيل اللجنة الوطنية العٌليا لإصلاح قطاع الصحافة والإعلام بمٌشاركة خبرات دولية بهدف وضع رؤية وطنية للإصلاح الهيكلي لقطاع الإعلام.

3- إنشاء مرصد إعلامي تتركز مهمته في رصد الإخلالات المهنية المٌتعلقة بمراقبة خطاب الكراهية والعنف والنزاعات المٌسلحة والإرهاب ويتبع هيئة الإعلام ويتمتع بالإستقلالية لضمان حيادته.

الخطاب الديني في ليبيا
ماهيته.. أهميته.. وسائل نشره

الدكتور سالم ميلود أبوظهير
كلية الاداب مزدة- جامعة غريان

يتناول هذا البحث إشكالية الخطاب الديني في المجتمع الليبي، بعد أندلاع مايعرف بثورات الربيع العربي في 2011م، ويبدأ البحث بإستعراض المنهجية العامة المستخدمة فيه، مستعرضا أهداف هذا البحث، ثم يقدم بعدها لمحة عن منهج دراسة الحالة، وهو المنهج الرئيسي المستخدم في هذا البحث. كما يستعرض بعدها بإيجاز المنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي، ويوضح كيف تمت الاستعانة بهذه المناهج البحثية لتحقيق أهداف هذا البحث، وأخيراً يوضح هذا البحث أهمية تناول موضوع الخطاب الديني في المجتمع الليبي، مستعرضا وسائل نشر هذا الخطاب.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث لتحقيق أهداف محددة وهي على النحو التالي: -

1. التعرف على ماهية الخطاب الديني في ليبيا ومفهومه
2. التعرف على دور الخطاب الديني في تحقيق الاستقرار السياسي والاندماج والتوافق بين أفراد المجتمع الليبي.
3. التعرف على وسائل نشر الخطاب الديني في ليبيا، ومعرفة مدى فعالية كل وسيلة من هذه الوسائل في تحقيق الأهداف المرجوة من الخطاب الديني.

منهج دراسة الحالة

المنهج في اللغة هو" الطريق البين إلى الحق في أيسر سبله". (المعجم الوسيط، 2002). وقد أرجع المعجم الوجيز الأصل اللغوي لكلمة (منهج) إلى " الفعل (نهج) وينتهج نهجاً، ونهج الطريق، أي بينه وسلكه. ونهج نهج فلان، سلك مسلكه، والمنهاج الطريق الواضح والخطة المرسومة". (المعجم الوجيز، 2002). وورد في محكم كتابه العزيز في سورة المائدة قوله تعالى" **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ**

شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا " (سورة المائدة الآية 48)، أي "طريقاً واسعاً واضحاً في الدين".

وفي الاصطلاح فقد اقترح عدد من الدارسين المهتمين بإجراء الدراسات والبحوث في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية تعريفات متعددة للمنهج المتبع عند إجراء دراسة تستند على خطوات البحث العلمي الصحيحة. فقد أشار عبد الرحمن بدوي -في كتابه مناهج البحث العلمي الى أن" أفلاطون أستعمل كلمة المنهج بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، كما أستعملها أرسطو بنفس المعنى الاشتقاقي الأصلي لمفردة المنهج يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب، خلال المصاعب والعقبات" (بدوي، 2002).

وهناك من عرف المنهج بأنه " مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها, من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها" (بدوي، 2000). أو هو" أسلوبا في التفكير، وخطوات علمية منظمة تهدف إلى حل مشكلة أو معالجة أمر من الأمور، وأنه برنامج عمل في البحث العلمي وفي نقل النظري إلى التطبيق، وفي التخطيط للمستقبل وفق نظرة بصيرة" (زيدان، 2010).

ومن هنا يمكن تعريف المنهج المعتمد في هذا البحث بأنه الطريقة التي تم اعتمادها من جانب الباحث ليحقق أهداف البحث. ونستعرض فيما يلي المناهج التي تم استخدامها والاستعانة بها في هذا البحث:

ونظراً لطبيعة هذا البحث، فقد تم استخدام منهج دراسة الحالة، الذي يهدف الى التعرف على حالة دراسية واحدة، ودراستها بطريقة تفصيلية، وعبر هذا المنهج سيتم تتبع الجزئيات المتعلقة بالخطاب الديني الوسطي المعتدل في ليبيا، والدور المنوط به في تحقيق الاستقرار والاندماج والتوافق بين أفراد المجتمع الليبي، ووسائل نشر هذا الخطاب ومدى فعاليتها في ظل تعدد الوسائل التي تسعى لاحتكار أدوات التواصل والاتصال، في ظل وجود مختلف المؤثرات والتحديات المتسارعة التي تروج للخطاب الديني الذي يخدم أهدافها.

كما تم التعامل مع الخطاب الديني في هذا البحث كوحدة تحليل وكحالة دراسة في المجتمع الليبي كله التي تتسم بمجموعة من نقاط التشابه، ومن الظروف البيئية المتشابهة، مع وجود الاختلافات لكن هذه الاختلافات لا تؤثر في الحالة بشكل يغير من طبيعة الخطاب الديني باعتباره حالة دراسة ستتم دراستها في هذا البحث.

ودراسة الحالة تعد واحدة من أهم الأدوات التي يتم اللجوء اليها، وتوظيفها في البحث عندما تبرز الحاجة إجراء دراسة معمقة في مختلف مناحي العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيره من العلوم الأخرى. وبحسب لي فأن" أسلوب دراسة الحالة مفيد وذا جدوى بشكل خاص حينما يستخدم في وصف وتحليل المشكلات القائمة على الممارسة التي تكون خبرة الأطراف الفاعلة فيها مهمة ويكون سياق الفعل حاسماً." Lee) (2010 , P: 25 لأن ثمة من اشار الى أن استخدامه "يسمح برؤية أعمق لمشكلة الدراسة، من خلال سماح هذا المنهج بأخذ ملاحظات دقيقة عن الظاهرة التي تتكرروبالتالي يمكن قراءة واستنباط المعطيات والنتائج، خاصة وان منهج دراسة الحالة منهج وصفي ويفضل الجانب الكيفي على الكمي ويبحث عن المعنى وليس على السبب. " (Charoui & Benony 2003). ويري أبوظهير أن " منهج دراسة الحالة يكون مناسبا للاستخدام عندما تكون للظاهرة المراد دراستها وفحصها بعد زمني، اي امتداد تاريخي ماضيا كان ام حاضرا ام مستقبلاً " (Abodher 2014). فيما يرى روبرت ين أن " منهج دراسة الحالة يكون مناسبا للاستخدام عندما يكون تركيز البحث على ظاهرة معاصرة ضمن سياق الحياة الواقعي." (Yin 2009). ويعتقد الباحث أن ظاهرة الخطاب الديني وتأثيره في المجتمع الليبي تعتبر من الظواهر المهمة الجديرة بالبحث والدراسة، لذلك فقد استعان الباحث بهذا المنهج. لذلك تم اعتماد منهج دراسة الحالة في هذا البحث، ليتم من خلاله التعرف على الخطاب الديني في ليبيا.

المنهج الاستقرائي

تمت الاستعانة بالمنهج الاستقرائي لمعرفة واستنباط المسائل المتعلقة بالتعرف على الخطاب الديني وسماته ووسائل نشره في المجتمع الليبي. والاعتماد على المصادر المعرفية المتاحة للتعرف على محتوى ومضمون هذا الخطاب الديني. والاستقراء في اللغة معناه التتبع، واصطلاحا هو استدلال على كلي بما تحقق في جزئياته من الحكم؛ أي استدلال بالخاص على العام (فوزي،1999). ويهتم المنهج الاستقرائي " باستقراء الأجزاء ليستدل منها على حقائق تعم على الكل، باعتبار أن ما يسري على الجزء يسري على الكل. فجوهر المنهج الاستقرائي هو الانتقال من الجزئيات إلى الكليات أو من الخاص إلى العام" (سلامة،1999). وقد أعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي ووظفه في البحث من خلال (1) جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة، وعزوها إلى

سورها، وذكر أرقامها في متن حواشي الدراسة وهوامشها. و (2) الإستعانة بكُتُب اللغة والمعاجم، للوقوف على بعض معاني المفردات الواردة في هذا البحث ودلالاتها اللغوية.والاستعانة بالمراجع والمصادر التي لها علاقة بموضوع البحث، مع التزام الأمانة العلمية في النَّقل والتوثيق.وذكر اسم مؤلف كل مرجع في الحاشية،وتاريخ النشر.

المنهج التاريخي

هذا المنهج تم توظيفه في هذا البحث، لأنه يهدف في طبيعته إلى أن يفهم الحاضر والواقع المعاش، وذلك على ضوء الاحداث التاريخية التي تم توثيقها تاريخيا، وبحسب هذا المنهج فأنه وفي العموم لا يمكن فهم الظواهر المراد دراستها، دون التقصي على أصولها، وقد هدف الباحث من استخدام المنهج التاريخي في هذا البحث من خلال عرضه لبعض الاحداث التاريخية التي تم من خلالها توظيف الدين في الخطاب السياسي، وما أفرزته هذه الاحداث من عوامل أثرت بشكل متفاوت في الخطاب الديني وطريقة التعاطي مع هذا الخطاب. وعند توظيف المنهج التاريخي سعى الباحث بقدر الإمكان في أن يلتزم بجملة من النقاط التي من الضروري مراعاتها عند استخدام المنهج التاريخي في الدراسة ومنها:

1. أن تكون الظاهرة محل الدراسة غير مقتصرة على الحاضر، بل يجب أن تكون موجودة في الماضي، ولازالت موجودة في الحاضر، ومستمرة الى المستقبل. وعند استخدام المنهج التاريخي، لابد أن تكون الدراسة التي وظفت هذا المنهج ذات أهمية علمية.
2. دراسة الأصول التاريخية لموضوع معين، يساعد على فهمه بشكل علمي صحيح، وبالتالي لابد من وضع الحلول الملائمة للمشاكل التي تم تشخيصها. والتأكد من صحة ما تحويه الوثائق من معلومات وبيانات، التي تعد من أهم أدوات المنهج التاريخي. (فوزي، 1999)

ويعتقد الباحث أن استخدام الباحث للمنهج التاريخي، إلى جانب المنهج الاستقرائي سيساعد جداً في فهم إشكالية الخطاب الديني في المجتمع الليبي ومعرفة اهميته ووسائل نشره.

أهمية البحثً

تكمن أهمية تناول موضوع الخطاب الديني ومعرفة اهميته وماهيته ووسائل نشره، في الحاجة الملحة للتعريف بأهمية هذا النوع من الخطاب، خصوصا في ظل الظروف الراهنة التي يمر بها المجتمع الليبي، حيث تبرز الحاجة ملحة لضرورة الإشارة لأهمية هذا الخطاب، والحث على تناوله بشكل مناسب وصحيح. من جانب أخر موضوع هذا البحث مهم جدا، في ظل

وجود تيارات وأحزاب ومجموعات أسلامية لكل منها منهجها وايديولوجياتها وفكرها المختلف وحضورها الفاعل في الحياة السياسية الليبية، وفي ظل ما يحدث بين بعض هذه المجموعات والتيارات والأحزاب من منافسة ونزاع وتقاتل أيضا، بسبب سعى الجميع جاهدين لاحتكار الدين الإسلامي وتعاليمه وتسخيره للتأسيس لمشروع سياسي ينعكس ويؤثر سلباً أو أيجاباً على حياة المجتمع الليبي بشكل عام، ويخدم مصالح أطراف النزاع.وأخيراً هذا الموضوع الذي يتناوله هذا البحث مهماً جداً، ومعقد وشائك لان معظم الأطراف المتنازعة على حكم ليبيا، تفعل ذلك وهي توظف وتسعى لاستغلال الهوية الإسلامية من خلال الترويج للخطاب الديني الذي يخدم مصالحها فقط ويضر بشكل كبير بهذه الهوية التي تعد مكسباً حضاريا ووجدانيا، لكل فرد من أفراد المجتمع الليبي المسلم دون النظر لأصله وفصله وانتمائه السياسي الضيق، وتخليه عن الانتماء للوطن الكبير ليبيا أكثر من كونها هوية دينية سياسية.

ماهية الخطاب الديني

يستعرض هذا القسم بشكل موجز مفهوم الخطاب في القران الكريم ويوضح المفاهيم المتعددة للخطاب الديني، ثم يستعرض أنواع الخطاب الديني ويوضح أهميته.

الخطاب في القران الكريم

الخطاب لغة أصله الفعل الثلاثي خطب، وهو أحد مصدري فعل خاطب. وفي كتاب أساس البلاغة الخطاب فعله خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطابها "(الزمخشري،2011). وورد في معجم المصطلحات والفروق اللغوية أن " الكلام الذي يقصد به الافهام، افهام من هو أهل للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا " (الكفوي، ص 419.، 1992).

والخطاب اصطلاحاً يعرف بأنه " كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، "(الطيار،2005). ويذهب حجازي الى أن الخطاب " مفردة قوامها القول بين طرفين أحدهما مُخاطِب، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البينة وفصل الخطاب." (حجازي 2013)

وقد اتسعت آفاق تحديد مفهوم ودلالات مفردة الخطاب، بسبب تشعب وتعدد مجالاته، وبسبب التواصل والتمازج بين الثقافة العربية والاوربية فبرز ما يمكن hg

بالخطاب الادبي، والخطاب الإعلامي، والخطاب النقدي، والخطاب السياسي...وغيره. وبشكل عام فالخطاب هو ذلك الكلام الذي يقصد به الإفهام والتأثير والاقناع، لذلك يعد الخطاب القرآني من أكثر الخطابات أفهاما وتأثيرا واقناعاً، فهو المنزه عن كل نقص الذي " **لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** " (سورة فصلت الآية رقم 42)

والخطاب القرآني الذي هو كلام الله عز وجل، وجهه سبحانه وتعالى لمن شهدوا نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص، ولكافة البشر أجمعين، وبذلك فهو الكلام المحكم الصالح لكل زمان ومكان، وهو خطاب قادر على استيعاب خصوصيات الناس جميعاً، وسائر الانماط الحياتية اليومية، والخطاب القرآني ليس كأي خطاب، بل هو خطاب إلهي معجز وعالمي. وقد تكررت مفردة الخطاب المشتق من (خ ط ب) في القران الكريم " إثنى عشر مرة موزعة على أثنى عشر سورة "(عبد الباقي 2012) بأشكال مختلفة، وبمعاني مختلفة، في كثير من المواضع، قال تعالى: " **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** " (سورة ص الآية 20). وقد فسر الرازي فصل الخطاب بأنه " التعبير عن كل ما يخطر بالبال، بحيث لا يخلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام"(الرازي،2010). وفسرها الجاحظ بأنها " البراعة في العقل والرجاحة في الحلم والاتساع في العلم والصواب في الحكم" (الجاحظ،2000)، بينما فسرها الزمخشري " البَيِّنُ من الكلام الملخص الذي يتبيَّنه مَن يخاطب به لا يلتبس عليه".(الزمخشري، ص2005،22)وفسر الرازي وعزني في الخطاب في قوله تعالى " **فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** "(سورة ص الآية 20) " أي جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أورده به "(الرازي،2010). كما ورد الخطاب في القران الكريم بلفظ الفعل في سورة هود " **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**. "(سورة هود الآية 37) وقوله تعالى " **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً** ". (سورة الفرقان الآية 63)

ومن خلال ما سبق نتبين أن المعاني المتعددة للخطاب تشير الى عدد من المفاهيم محورها أنه تعبير المُخاطَب عن معنى ما بطرق معينة قصد إيصاله وإ فهامه للمُخاطِب.

مفهوم الخطاب الديني

يوصف الخطاب بالخطاب الديني بسبب نسبه الى الدين، وقد عرف أبن منطور

الدين في اللغة العربية بأنه "الجزاء والمكافأة فيقال دنته بفعله :أي جزيته،ويوم الدين هو يوم الجزاء،ومنه قوله تعالى (إنا لمدينون) أي محاسبون. والخطاب الديني موضوع هذا البحث لا يختص بدراسة وبحث ما تعارف علية بعض من جمهور العلماء المسلمين "بالنص" الديني، الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، وسنة وأحاديث سيد الكائنات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأجماع السلف الصالح وعلماء المسلمين، والذي ينطلق كما أشار بوشبكة (2015) "من أسس محددة تحديدا صارما، وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس، وهي المصادر الأربعة التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وينتج عنها كل فكر إسلامي، وهذه الأسس ترتبط بعضها ببعض، إلى حد عدم الانفصال" (بوشبكة،2015).وهو يختلف ويتميز عن الخطاب الديني العادي الذي يختص بدراسته هذا البحث،والذي يطرحه كما تمت الإشارة في المقدمة رجال الدين والمفتيين والفقهاء والعلماء والخطباء والوعاظ والحفاظ، والاعلاميون، والأساتذة في المدارس والجامعات، والباحثين في مراكز البحوث الاجتماعية والدينية، وذلك بحسب استنباط كل فرد منهم وفهمه للنصوص الدينية،ويقوم بتوجيه خطابه لعامة الناس، مستنداً على مرجعية دينية إسلامية ومعتمداً عليها عند مخاطبته وتوجيه أحكامه وبياناته لهم، لذلك فلا قداسة ولاعصمة لهذا الخطاب،لأنه مبني على الاجتهاد وكل مجتهد يعبر بالطريقة التي تناسبه،وبمدى فهمه وتمكنه من الإحاطة بكل ما ورد في النص الديني القرآني وفي سنة نبيه، وبمدى تأثره بمختلف المؤثرات النفسية والاجتماعية التي تنعكس بالضرورة على نوعية خطابه الديني الذي يوجهه للمتلقي.

ورغم استناد هذا الخطاب على مرجعية دينية، تؤهله ليتوافق مع العقول السليمة ويكون سبباً في صلاح المجتمع والافراد، إلا انه عندما ينتقل من خانة التوسط والاعتدال على خانة التطرف، فأن مضمونه قد يكون سبباً للاختلاف والخلاف والنزاع واحيانا الصدام المسلح بين الطوائف والمنظمات والأحزاب والمجموعات والافراد من اتباع نفس دين او مذهب الذي أورد الخطاب أومن اتباع دين ومذاهب أخرى تختلف عنه. وهذا القصور في الخطاب لا يمكن أطلاقا ان يكون قصوراً في الدين الإسلامي وتعاليمه، بل ربما في الفرق والفجوة والاختلاف بين الدين الذي أوحى به سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والذي كان وحياً كاملاً متكاملاً جامعا مانعاً لنظام الحياة الدينية والدنيوية، أو أن السبب هو الإخفاق في ترجمة وتفسير هذا الوحي الى

واقع ملموس واستغلال تفسيره بالطرق التي تلائم وتناسب المصالح الدنيوية.

و الخطاب الديني موضوع هذا البحث ناتجًا بشريًا خالصا استحدث من عمليات حصر و تفسير النصوص الأولية لتعاليم الدين واوامره ونواهيه، ليتحول بذلك الدين من البعد الروحي إلى البعد الواقعي وتم أقحامه لخدمة المصالح الدنيوية الشخصية ولحماية الأيديولوجيات والمواقف السياسية، وبشكل تدريجي بات مفهوم الخطاب الديني غير واضح وغير محدد المعالم، وقد يكتسب حصانة تحميه من النقد الذي قد يتم توجيهه اليه، بسبب استناده على النصوص الشرعية الدينية وتوظيفها لصالحه،وأدى ذلك أيضا لوصفه بالجمود بسبب صعوبة تطويره وتجديده واعتبار ذلك في اغلب الأحيان مساساً مباشرا بثوابث الدين واحكام الشريعة.

ونخلص للقول بأن مفهوم الخطاب الديني في هذا البحث هو ذلك الخطاب المنقول عبر المصادر الشفهية أو النصوص المكتوبة،أو المنشورات المتاحة على شبكة الانترنت والصادرة من مؤسسات الدولة الرسمية،أو من رجال الدين والفقهاء والعلماء والوعاظ وغيرهم مما تصدي لنشر هذا الخطاب بمختلف الوسائل،ونقل فيه أفكاره ومواقفه الأيديولوجية، وأراؤه في مختلف المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومعظمها مصبوغة بمرجعية عقائدية دينية يدافع عنها ويعمل جاهدا على نشرها نتاج انساني قابل للنقد والتقويم والمراجعة والأخذ والرد حتى وأن صدر عن متخصصين لأنه نتاج إلهي،بخلاف النص الديني الذي هو وحي إلهي.

أهمية الخطاب الديني

أن التطرق لقضية الخطاب الديني في بلد كليبيا، له أهميته البالغة بالنظر لما بهذا البلد من تيارات إسلامية سياسية بمختلف أشكالها واتجاهاتها، تمتلك هذه التيارات حضوراً فاعلاً في الحياة السياسية، وتسعى جاهدة لاحتكار الدين الإسلامي وتعاليمه وتسخيره للتأسيس لمشروع سياسي ينعكس ويؤثر سلباً أو أيجاباً على حياة المجتمع الليبي بشكل عام، وذلك من خلال توظيف واستغلال الهوية الإسلامية من قبل هذه التيارات لهذا المجتمع، هذه الهوية التي تعد مكسباً حضاريا ووجدانيا، للمجتمع الليبي المسلم أكثر من كونها هوية دينية سياسية. وقد بينت دراسة اجتماعية أعدها محي الدين عبد الحليم(2006) إلى أن الخطاب الديني يعد " من أكثر الخطابات العديدة التي يشتمل عليها الخطاب الفكري

المعاصر، ويمثل أهم هذه الخطابات وأكثرها تأثيرا في المجتمعات الإنسانية بشكل عام، وفي المجتمع الإسلامي بشكل خاص، وذلك بسبب ما للدين من قيمة عظمى داخل هذه المجتمعات، وما تتضمنه موضوعات لها قدسيّة وتسهم بشكل كبير في تشكيل ملامح العقلية العربية، وتكوين الشخصية الإسلامية في الوطن العربي،كما أن الخطاب الديني أقدر من غيره من الخطابات الأخرى كالخطاب الإعلامي، أو التعليمي، أو الثقافي.." (عبد الحليم، ،2006)

وليس أدل من أهمية وخطورة هذا الخطاب، هو السعي المستمر من جانب أجهزة المخابرات الغربية والأمريكية لتغيير الخطاب الديني وإعادة صياغته في مناهج التعليم العربية والإسلامية، ومحاولة تشكيل عقل المسلم حسب النموذج الغربي وذلك فيما عرف بمبادرة الشرق الأوسط الكبير الذي اقرته عدد مهم من الدول الغربية دون مشاركة أي دولة عربية أو أسلامية "(القاضي، 2008).وإلى جانب الخطورة الكامنة والمستترة في باطن الخطاب الديني فإنّ شدة خطورته، وفي الوقت نفسه صعوبة مواجهته، تتأتّى من كونه "يعبر عن بعدين مقدّسين: الأول مقدّس غيبياً يمثله الدين الذي لا نقاش في مضمون خطابه كونه لا خطاب يعلو قداسة فوقه، والمقدّس الثاني: مقدّس سياسياً كونه يعبر عن السلطة الدنيوية العليا للدولة والمعبرة عن النظام الذي بيده ناصية مواطنيه التي تقع تحت رحمة قبضته، وكونها السيادة العليا الممثلة لهويّة البلاد"(ولد أباه،،2010).

وبشكل عام فأن موضوع الخطاب الديني في ليبيا على درجة عالية من الاهمية لارتباطه مباشرة بالوضع الليبي العام ولكونه موضوعاً حساساً جداً على مختلف الأصعدة الثقافية والاجتماعية والتاريخية وبشكل خاص على الصعيد السياسي لان الدين يكاد يطال بشكل عميق ومؤثر كافة اشكال الممارسات السياسية، كما أن استغلال هذا الخطاب الديني بشكل سيء، بشكل متعمد أو عن سوء فهم، يؤدي بشكل مباشر الى التورط والانزلاق في متاهات العنف والكراهية. وتتعاظم هذه الأهمية لهذا الخطاب في ظل الظروف التي مرت بها البلاد منذ شهر فبراير في العام 2011م، حين خاضت ليبيا أسوة ببعض جيرانها مرحلة التغيير الجذري في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وقد حصل هذا التغيير ودخلت البلاد في عهد جديد ومختلف مع نهاية النظام الجماهيري وهو النظام السياسي الليبي الذي كان يحكم ليبيا وانتهى بموت معمر القذافي في سرت في العاشر من شهر أكتوبر 2011م. وهذا ينعكس بشكل مباشر الى

المساس بالعلاقات المتينة بين أفراد المجتمع الليبي الواحد، ويتسبب في تهتك النسيج الاجتماعي، ويعرقل أيضا كل محاولات رسم وتنفيذ خطط التنمية التي تهدف إلى بناء الانسان والمواطن الليبي الصالح. وفي المقابل فأن توظيف الخطاب الديني المعتدل بشكل جيد يساعد كثيراً على تفادي الانعكاسات السلبية، ويساعد في اقتراح حلول لحلحلة كل الإشكاليات والمسائل المعقدة العالقة في انتظار الحلول. وتحتل قضية الخطاب الديني الوسطي المعتدل موقع الصدارة من قبل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة الليبية وعبر القنوات الإعلامية المختلفة وذلك لأهميته القصوى وارتباطه بعدد من الأمور الحياتية والقناعات الثابتة والراسخة عند الفرد في المجتمع الليبي، على اعتبار أنه وبطبيعة خصوصية الليبيون، الذين يطمئنون كثيرا إلى التوعية الدينية من الناحية الشرعية، ويتقون كثيراً فيها لان المجتمع الليبي في الأساس مجتمع متدين، يقدر علماء الدين ويجلهم ويعد الدين بشكل عام المصدر الرئيسي للعديد من القيم التي توجِه سلوك الليبيين.

وبناء على ما سبق عرضه، يتضح بان للخطاب الديني أهمية قصوى لما له من تأثير في نفوس أفراد المجتمع الليبي، وأن هذا الخطاب يحتاج وقفة جادة من مؤسسات الدولة الرسمية وذلك بالاهتمام والدعم والمساندة والتدريب للأفراد الذين يمتهنوا توجيه هذا الخطاب، وتزويدهم بكثير من طرائق التدريس ووسائل الاتصال وفنون الخطاب، لكي يرتقوا بالخطاب الديني ويؤدون رسالتهم على أكمل وجه.

أنواع الخطاب الديني

للخطاب بشكل عام أنواع متعددة، وفي كل الأنواع يرد الخطاب مقترنا بوصف أخر، فنجد الخطاب الادبي وفيه الخطاب الشعري، والقصصي، والروائي، والمسرحي والخطاب الإعلامي، والخطاب التربوي والخطاب الفلسفي، والخطاب السياسي، ومن هذه الأنواع التي هي أساس المادة التي يبحث فيها هذا البحث هو الخطاب الديني. ذلك أنه لا يوجد خطاب ديني إسلامي واحد فقط، والأصل في الخطاب الديني هو الاعتدال، وقد عرف الإسلام بتعدد الخطابات الدينية، وتباين أهدافها وتنوعها، وذلك وفق ما يحقق كل خطاب مصلحة المجموعة التي اتكأت على الوحي الإلهي والخطاب القرآني، وفسرته بما تراه مناسباً، وأضفت عليه القدسية التامة.

والخطابات الدينية كثيرة ومتنوعة وتتفاوت في قوتها ودرجة تأثيرها في المتلقي، فنجد بعض الدعاة الدينيين الإعلاميين لديهم خطابهم المميز والخاص يختصون به دون غيرهم، ولهم مريديهم

ومعجيبهم ومن يستمع إليهم، ويتابع خطابهم ويعمل به، وهناك بعض الخطابات الدينية الخاصة بالحركات المتطرّفة الإرهابيّة خطابها المختلف. ومن الناحية التاريخية فقد بدأ الفصل بشكل فعلي وواضح بين الدين كرسالة سماوية ووحي ألهى، وبين الدولة كتنظيم سياسي ومنذ أن تأسست الدولة الإسلامية المدنية الكبرى بقيادة الرسول محمد أبن عبد الله عليه الصلاة والسلام وعاصمتها المدينة المنورة التي نشأ فيها خطاب ديني مستنير يؤمن بالفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية. وللخطاب الديني عند نصر حامد أبوزيد نوعان وهما " المعتدل والمتطرف، وهما مختلفان درجة وليس نوعاً، يتفقان في المنطلقات والآليات، لكنّهما يختلفان في مسألة تكفير الحاكم والمجتمع، قد تبرّئهم ظاهرياً، لكن تدينهم باطنياً، نافية عن الحكام صفة الكفر مثبتة صفة العصيان، لأنّهم لا يطبقون مبادئ الإسلام وأحكامه رغم كونهم لا يردونها. إنّه خلاف هامشي لا سياسي، يرتبط بمجال تطبيق المبدأ، وليس بالمبدأ في حد ذاته". (أبو زيد، 2007).

والخطاب الديني المتطرف هو ذلك الخطاب الذي يبدا بتخويف المواطن من نار جهنم وعذاب القبر، وينتهي بتكفير من يخالف توجيهاته وتعاليمه ومناهجه، في ما يخص أمور لا علاقة لها باليوم الاخر، ولكنها شؤون دنيوية وقتية تنتهي بموت الانسان،أو حتى بتراجعه عن قناعاته الدنيوية، وأن لم يتراجع فلا ضير عند صاحب الخطاب الديني المتطرف أن يحرض علنا على قتل من يخالفه في الراي، حتى وأن كان دين وعقيدة وقناعات المخالف لصاحب الخطاب المتطرف، هي نفسها بالتمام والكمال، لكنها تختلف وبشدة قناعاتهم وتتقاطع مصالحهم في ما يخص الشأن السياسي وهنا مربط الفرس. يقابل الخطاب الديني المتطرف، خطاب ديني وسطى معتدل يفترض أيضا أن يقدمه ويقوده كوادر بشرية متخصصة ومدربة تدريباً جيداً على الكيفية التي يتم من خلالها طرحهم لهذا الخطاب وتداولهم له، عبر مؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية. ويبدو أنه من المهم جداً الإشارة هنا، إلى أن مصطلح ومفهوم الخطاب الديني الوسطى المعتدل في هذا البحث، لا يعني مطلقاً تغيير شكل أو مضمون ما جاءت به رسالة الدين الإسلامي الحنيف.

وبداية قصة الخطابات الدينية المتعددة والمتنوعة من حيث اعتدالها وتطرفها وحدتها ودرجة تأثيرها أتضحت في ليبيا بعد عاصفة ثورات الربيع العربي التي قلبت أنظمة حكم شمولية قائمة، فغيرت

أنظمة الحكم في بلاد الزيتون والياسمين بشكل دراماتيكي سريع، وانتقلت رياح هذا الربيع إلى مصر وبعدها الى ليبيا.

وسائل نشر الخطاب الديني

في هذا القسم سيتم التطرق لأهم الوسائل والوسائط التي يتم عبرها نشر الخطاب الديني، وتوضيح مدى فاعلية كل وسيلة من هذه الوسائل، يبدا بالتعرف على المسجد باعتباره أهم هذه الوسائل وأكثرها تأثيرا، تم يستعرض المناهج الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات، ودورها في توصيل الخطاب الديني وتحقيق رسالته، كما يستعرض هذا الفصل الإعلام المسموع والمرئي والمقروء بوسائطه المتعددة، ودور كل واسطة من هذه الوسائط ودرجات تأثيرها المختلف عندما يتم استخدامها كأداة فاعلة في توصيل الخطاب الديني، كما سيتم استعراض دور شبكة الانترنت، وكيف يتم تسخيرها وتوظيفها باعتبارها أداة متطورة تسهم في توصيل رسالة الخطاب الديني بأنواعه بسرعة وحرفية وسهولة ويسر.

المسجد

المساجد بشكل عام أحد المصادر الأساسية لثقافة المجتمع، المنوط بها أن تحافظ على القيم السامية النبيلة التي نادى بها الدين الإسلامي ومواجهة الظواهر الهدامة والقيم السلبية التي نهى عنها في محكم القران الكريم، وإلى جانب دور هذا المسجد الحيوي الهام في نشر الدعوة إلى الله والتوعية بالتعاليم الدينية، فأنه المكان الذي يقام فيه شعائر الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام،وهو منبر أعلامي مهم و أداة من ادوات تحقيق التماسك والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد الذي يجمعهم دين واحد من اهم مبادئه أن المسلمين أخوة، ويستمد هذا المسجد قوته كونه من أهم الدعائم التي قام عليها المجتمع الإسلامي منذ بداية نشر وانتشار هذا الدين في كافة انحاء المعمورة،وحافظ على هذا الدور على مر العصور، حيث أعتبر في بداية نشأته، بمثابة الجامعة الإسلامية، التي يلتقي فيها طلبة العلم ويتزودون بمختلف الأمور الدينية والفقهية، إلى جانب حفظهم للقران الكريم والمامهم بالسنة النبوية واخبار السلف الصالح، وكذلك ملتقى عام لجميع افراد المجتمع الإسلامي. وقد أكتسب الخطاب الديني الذي يتم نشره من خلال المسجد فاعلية وأهمية خاصة وأن" الدول الاستعمارية سعت جاهدة لإسقاط المساجد، والسيطرة عليها، وعملت على محاربتها كلما لزم الامر، وهذا ما حدث في تونس والجزائر لان مساجدهما أسهمت بشكل كبير في بث الروح الوطنية لدى الافراد في مقاومة الاحتلال والدفاع عن الوطن ".

(صادق،،1988). وقد خص الدين الإسلامي يوم الجمعة بمكانة عظيمة، وجعل منه يوما مميزاً بقوله تعالى " **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**" (سورة الجمعة الآية 9). وجعل من الخطبة في هذا اليوم ركن من أركان صلاة الجمعة، ولا تتم الصلاة إلا بالخطبة وسماعها والانصات اليها بإتمام بالغ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،" **إذا صعد الخطيب المنبر فلا صلاة ولا كلام** " (الشعراوي، ص 11،2009).

والخطبة يوم الجمعة تتكرر على مدار العام في وقت محدد، مما جعلها أداة أتصال بالغة الأهمية، يتم فيها توجيه خطاب موحد في كل مساجد المسلمين، وأن اختلف مضامينه يحضرها كل المسلمين على مختلف أعمارهم وشرائحهم أوضاعهم ومذاهبهم، ومراكزهم الاجتماعية وتوجهاتهم السياسية. والمسجد في المجتمع الليبي، شأنه كشأن كل المجتمعات الإسلامية، مؤسسة دينية اجتماعية تربوية أصلاحية، ولكنه يختلف عن باقي المؤسسات التي يتم فيها نشر وتوجيه الخطاب الديني بأنواعه، وذلك على اعتبار أن المساجد بيوت الله سبحانه وتعالى، يشعر فيها المسلم بأنه قريب من خالقه، قال الله تعالى " **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** " (سورة الجن الآية 18).

وخلال اندلاع ما يعرف بثورات الربيع العربي، وبعد اندلاعها أيضا أستعاد المسجد بعض من دوره الذي كان قد فقد بعضا منه بسبب التطور التقني والذي أنتج وسائل جديدة سريعة ومتطورة وتصل لعدد كبير من الناس، كانت تنافسه على نشر الخطاب الديني. فحضر المسجد بقوة وساهم بشكل جدي في إحداث التغيير السياسي الذي كانت تطمح اليه دول الربيع العربي، فتحول المسجد إلى أداة مهمة جداً في نشر الخطاب، تحركه المنظمات والحركات السياسية والاجتماعية لصالحها، فساهم بشكل كبير في تعبئة المتظاهرين وحتهم على مواصلة التظاهر من أجل أسقاط الأنظمة الشمولية الاستبدادية التي ثارت عليها شعوبها. وفي ذات الوقت انطلق الخطاب الديني من المسجد ونجح في التأكيد على تماسك وتضامن افراد المجتمعات التي عمت فيها الانتفاضات الشعبية المطالبة بالتغيير السلمي، والتي تحولت إلى انتفاضات مسلحة في بعض منها، وفي مرحلة من المراحل التي مرت بها دول الربيع لتحقيق ما تصبو اليه أدى المسجد دوره السياسي على أكمل وجه وساهم في أحداث التغيير المنشود وينتظر منه في المرحلة الراهنة أن يواصل دعمه، المتمثل في تحقيق ارتباط المسجد

بالمجتمع، وأن يعمل على تعزيز هذا الدور المأمول والذي ينتظره كل أفراد المجتمع منه.

وفي الحالة الليبية الراهنة، وخلال اندلاع الانتفاضات المتتالية في أرجاء البلاد مطالبة بتغيير النظام السابق ورحيله، تجسد دور المسجد في نشر الخطاب التعبوي والتحريضي السياسي بشكل صرف وواضح، عبر الخطب الدينية التي كان لها دور سياسي بارز ومهم ومفصلي أيضا.ومضمون هذا الخطاب باختلاف أنواعه وأشكاله، كان منصب إما على الدفاع عن النظام السابق، أو المطالبة بسقوطه ورحيله، وتحول المسجد من مجرد وسيلة لنشر الخطاب الديني إلى رمز يلتف حوله المتظاهرين، ونقطة الالتقاء قبل انطلاق التظاهرات خصوصا أيام الجمعة التي تعددت أسمائها من جمعة النصر الى جمعة الثأر إلى جمعة الغضب وغيرها من الأسماء التي تدعو للتظاهر والصمود وحتى للقتال والجهاد بحسب مصدر الخطاب. ومن جانب أخر تحول هذا الرمز الديني في تلك الفترة إلى عامل موحد جمع كل المتناقضات والاختلافات بين التيارات السياسية الليبية المختلفة الواحدة من أجل توحيد الهدف المشترك سواء للدفاع عن النظام أو لأسقاطه.

وتأسيساً على ما سبق، فأن المسجد يشكل بامتياز وبدون منازع مؤسسة أعلامية نموذجية لإنتاج الخطاب الديني بكافة أشكاله وأنواعه وترويجه والدعاية له، عبر خطباء وأئمة ودعاة ووعاظ مكلفين بوظيفة الخطابة وتوصيل مضمون الرسالة الإعلامية بالشكل الذي يحقق مصلحة العامة أو مصلحتهم الشخصية.

مناهج التعليم

تعد المناهج الدراسية التي تقدم خبراتها، بطرق منظمة ومدروسة بعناية، لفئة مهمة من أفراد المجتمع في المدارس والمعاهد والجامعات وذلك من خلال الكتب وبعض الوسائل الأخرى، أداة فاعلة ومهمة في توصيل الخطاب الديني، لأنه وعبر هذا الخطاب الذي يرسل عن طريق المناهج التعليمية له دور فاعل كبير في تحديد انماط سلوك الافراد وتكوين آرائهم واتجاهاتهم تربوياً ونفسياً. فالمنهج الدراسي إلى جانب كونه عنصر من عناصر العملية التعليمية والتربوية، يكسب من يتلقى الخبرات عبر هذه المناهج، ما يحتاجونه من معارف ومعلومات عامة ومتخصصة، يسهم كذلك في تعليمهم القران الكريم وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما يحتاجونه من خبرات عن كيفية التعايش والعيش مع الاخرين،

وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم في المجتمع وتوعيتهم وتثقيفهم. وتعتبر " مناهج التعليم في الوطن العربي اداة حقيقة في تربية المواطن العربي المؤمن بربه ووطنه والقادر على المشاركة في صناعة المستقبل" (اللقاني ومحمد، 2001)، وذلك متى واكبت هذه المناهج حركة التطور والتغيير في مختلف مناحي الحياة، لتتمكن من مواجهة أعباء الحياة وتعقداتها وإلا فان هذه المناهج ستبقى جامدة وقاصرة على أعداد أفراد المجتمع اعداد صحيحاً.

وكما أن المناهج التعليمية تعد أداة مهمة من الأدوات التي يتم عبرها نشر الخطاب الديني، فأنه مكون أيديولوجي مهم جداً، تمتلكه السلطة السياسية في البلد وتكرس من خلاله خطابها، وتعيد أنتاجه في كل مرة كلما كانت هناك ضرورة لذلك تحرص بعض المجتمعات على تغيير مفردات مناهجها بما يلائم توجهاتها السياسية والفكرية والثقافية والعقائدية في المجتمع. وتكتسب المناهج الدراسية أهميتها وفاعليتها في نشر الخطاب الديني كونها تتضمن وتحتوي على منظومة من البرامج التي يعدها متخصصون، وعلى مجموعة محددة من المقررات المضبوطة بوعاء زمني محدد وطرق خاصة في تقديمها للمتلقي وفق خطط مدروسة بعناية، ويتم تنفيذها أيضا بدقة وعناية لمحتواها الذي يخضع للتقييم والاختبار والتطوير والتجديد.

وليس أدل من خطورة المناهج التعليمية كأداة ووسيلة فعالة في نشر الخطاب الديني، من حرص الدول الغربية وفي طليعتها الولايات المتحدة الامريكية، بمراجعة المناهج التي يتم تدريسها في المجتمعات الإسلامية، وحث هذه المجتمعات وخاصة العربية منها على تغيير مناهجها التعليمية لشعورهم الدائم وخوفهم وقلقهم من تعاليم الإسلام السمحة، وأحساسهم الذي يعلنون عنه بشكل صريح من أن المناهج التعليمية في بعض دول الإسلام، تشكل تهديدا صريحا لمصالحهم.وكمثال على ذلك ما حدث بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حين تشكلت على عجل لجنة داخل وزارة الخارجية الأميركية عرفت باسم " لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية"، لاعتقادهم بأن قيم ومبادئ الدين الإسلامي تمثل خطراً علي سياساتهم الخارجية ، خرجت هذه اللجنة بتوصيات مهمة وخطيرة مع توضيح أن استمرار المعونات الأمريكية مرهون بتنفيذ هذه الخطط. وكان من أهم هذه التوصيات:

1. أن تعمل حكومات الدول الإسلامية جهدها من أجل تهميش الدين في الحياة الاجتماعية للناس، وذلك

بإغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط الحياة العصري.

2. التقريب بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام عن طريق تكوين لجنة عليا من المسلمين والمسيحيين واليهود،واقترحت أن يمثل المسلمون الأزهر، وأن يمثل النصارى الفاتيكان، وأن يمثل اليهود رجال الدين اليهود في (إسرائيل) وأوروبا.
3. قررت اللجنة بأن تجتمع أربع مرات في السنة في الأماكن المقدسة بمكة والمدينة والقدس ومقر الفاتيكان، وأن تعمم هذه اللجنة توصيات ملزمةً لكل الدعاة في العالم العربي والإسلامي بحيث لا يخرجون عن هذه التوصيات.
4. يجب أن تخضع خطبة الجمعة والخطباء لرقابة أجهزة الأمن في الدولة، وأن يتم البعد عن تسييس الخطبة أو تعرضها للجانب الحياتي أو المجتمعي، أو الحديث عن الأمريكان أو اليهود، أو الحديث عن الجهاد وبني إسرائيل. ويجب أن يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تتضمن حدائق للأطفال والسيدات، وأن تشرف عليه شخصية ناجحة غير دينية.
5. العمل بأسرع مايمكن على إلغاء مادة التربية الدينية الإسلامية، وأن يخصصيوم كامل للقيم الأخلاقية والمبادئ بدلاً من مقرر التربية الإسلامية.

وقد سبق وحذر عمر التومي الشيباني من الانجرار وراء الغرب وسياسته في بعض المجتمعات لأنه سيؤدى إلى حدوث " ضعف فكري يطرأ على أذهان المسلمين في فهم الإسلام وإهمالهم طريقة الإسلام في التربية والتعليم، ويصبحوا مقلدين لغيرهم في كافة أنظمة حياتهم السياسية، والاقتصادية، والتشريعية، والتعليمية، ويطبقون نظاما غريباً عن قيم مجتمعهم وثقافتهم الإسلامية الأصيلة، فبفقدهم هذا التطبيق هويتهم وشخصيتهم المميزة التي كانت لهم إبان عظمة وازدهار الأمة الإسلامية" (الشيباني،1993)

الإعلام المسموع والمرئي والمقروء

تمتلك وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، قدرة مميزة وعجيبة في توصيل الرسالة للمتلقي، وتعمل عبر تقنيات متطورة على نشر الخطاب الذي تود توصيله، وتكتسب هذه الأهمية في الغالب بسبب قدرة هذه الوسائل للتطور ومواكبة المتغيرات، إضافة للتجديد والاستفادة من التطور التقني الحاصل في العالم كله.وقد تم استغلال هذه الوسائل على مدى سنوات طويلة، لبث ونشر الخطاب الديني بمختلف انماطه ومستوياته، بما يخدم في كثير من الأحيان مصلحة المرسل لهذا الخطاب الذي يحرص دائما على ان يستقبل خطابه مختلف شرائح المجتمع.وخلال السنوات التي شهدت فيها بعض المجتمعات

العربية تغييراً في أنظمتها السياسية، وما تبع هذا التغيير من تبعات ونواتج لمست وأثرت على مختلف مناحي الحياة اليومية لأفراد هذه المجتمعات وبرز الاعلام المسموع والمرئي والمقروء ليشكل عاملاً رئيسياً وحاسما في حدوث هذا التغيير ونصنعه ومواكبته وتوجيه مساراته أيضا، ونتج عن هذا تباين هذه الوسائل الإعلامية في ما بينها تبايناً كبيراً من حيت نوعية خطابها الذي تسهم في نشره،وأيضا من حيث مصداقيته أو موضوعيته عندما تتعامل هذه الوسائل مع الاحداث والتغيرات الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية والسياسية.

كما تعتبر وسائل الإعلام باختلاف أنواعها واشكالها ومضامينها، واحدة من الآليات المهمة والفعالة التي ويحرص من خلالها الفرد في أي مجتمع في أن يحصل على فهم ذاتي للحقيقة الموضوعية، في مختلف جوانب الحياة اليومية، وتزداد أهمية هذه الوسائط الإعلامية المختلفة بالنظر إلى قدرتها الفائقة جداً في صناعة الراي العام، وتحديد مساراته، وأيضا رسم التوجهات العامة للمجتمع من النواحي الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية. وتزداد أهمية وسائل الإعلام بشكل عام، مع زيادة تعقد المجتمع، وتطوره وتشابك وتداخل اختصاصات مؤسساته الخدمية، ومع ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي والفكري لإفراده، فيتحول هذا الإعلام من مجرد مؤسسة خدمية، إلى نشاط اتصالي فاعل وهادف وموضوعي يسعى لتزويد أفراد المجتمع بالحقائق والمعلومات قصد تنويره وتثقيفه في شتى المجالات، حتى ترسخ اعتقاد عند غالبية الافراد مضمونه أن وسائل الإعلام المختلفة لديها قدرة عجيبة غريبة، تقوم من خلالها بسهولة ويسر على تغيير رأيها في أية وجهة نظر يريد القائم بدور ناقل الرسالة نقلها للأفراد. ولذلك فلوسائل الاعلام تأثير كبير على الآراء والاتجاهات والسلوك، بل تعد لشيء يقترب من السحر ويصل فورًا إلى عقول المستقبلين، ولهذه الأسباب يجب على الخطاب الديني أن يواكب التطورات العلمية والتكنولوجية المستجدة في حقل الاعلام الواسع. وتجدر الإشارة إلى أنه عند تناول وسائل الاعلام المختلفة، وتبيان دورها كأداة من أدوات نشر الخطاب الديني، فذلك يعني بشكل واضح أننا نتحدث عن الخطاب الديني في الإعلام، وعن موقف السياسة من الخطاب الديني.

فحينما نتناول الخطاب الديني في الإعلام فهذا يعني بشكل أو بأخر الحديث عن موقف السياسة من الخطاب الديني، الذي نطمح ونتمنى دائما أن نراه خطابًا يعبر عن قضايا الفرد الحقيقية ويحقق امالة وتطلعاته ليكون أفضل حالا مما هو

عليه، لذلك فأن تناول الخطاب الديني في الاعلام كوسيلة نشر له يعكس بالضرورة أهمية أن يلتزم هذا الاعلام بتوابث المجتمع، وألا ينحرف مضمونه ليخدم السلطة والحاكم ويتغافل عن مصلحة الوطن والمواطن.وفي الاعم الغالب ترتبط هذه المؤسسات التي تتولى نشر الخطاب،بالسلطة السياسية في البلاد، من حيث التنظيم المؤسسي والاشراف القانوني لتوحد هذه المؤسسات الإعلامية الهدف من الخطاب بتلبية حاجات ورغبات الافراد في المجتمع، و بالنظر لما يحدث في الوقت الراهن، فأن السياسة طغت تقريبا على معظم اهتمامات الافراد، واندمجت مع كل أنظمة المجتمع الأخرى التفافية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبح كل شيء مسيساً على وجه التقدير، كما ان الإعلام بصورة عامة في مجتمعات العالم الثالث وفي المجتمع الليبي بصفة خاصة ليس منفصلاً عن السياسة، لذلك فأنه من غير الممكن التحدث عن الإعلام وحده أو كأنه يتحرك بحرية بعيدًا عن الخطاب العام الذي يتضمن الخطاب الديني أيضا.

وهذا التقارب الشديد بين الاعلام والسياسة ومضمون الخطاب الديني، يفترض أن يكون ثالوث مبني على الحوار، والأخذ والرد لا أن تكون العلاقة بينهم علاقة تبعية، فالإعلام الذي أساسه الحوار ومضمونه يحقق المصلحة العامة للوطن والمواطن سيؤدي رسالته على أكمل وجه، أما الإعلام القائم على التبعية لن يكون سوى إعلان ويتحول الإعلامي في هذه الحالة الى معلن وبوق يخاطب الافراد، بحسب ما تملية مصلحة السلطة.كما يستفيد ناشر الخطاب الديني من تضليل الاعلام بشكل عام،فيسخره لصالحه،ويقوم من خلال الاعلام المضلل بنشر خطابه الديني،وتغليفه بالدين بما يحقق مصالحه دون أن يكون هدف كل من الإعلامي أو ناشر الخطاب الديني بناء حوار فعال متجاوب حر موحد فيخسر الاعلام مهنيته ويفقد الخطاب الديني أهميته عند الفرد المتلقي.

وقد بينت نتائج دراسة مهمة حول دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو الفضائيات السياسية إلى " أن الشباب المصري لديه شك في مصداقية وسائل الاعلام المصرية، وان الخطاب الديني الذي تنشره هذه الفضائيات ليس خطاباً موحداً لكنه ينقسم إلى قسمين خطاب مؤسسي وأخر غير مؤسسي. " (الشامي، 2007). وبالنظر ما لوسائل الاعلام من أهمية وخطورة فأنه من الجدير أن تكون هذه الوسائل الإعلامية وسيلة فاعلة للتواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع ومؤسساته الحاكمة، وذلك من أجل أن

يتحقق للفرد القدر الكافي من السعادة والرفاهية، والاجدر أن تشرف الدولة على تسيير هذه الوسائل وتختار الافراد المهنيين ذوو القدرات المهنية العالية والمحترفة والتي تتخد من مواثيق الاخلاق والشرف دستوراً أعلاميا تتحقق من خلال العمل به الحرية والسعادة لكل المجتمع.

الإعلام المسموع

يعد الاستماع للإذاعات المسموعة المعروفة (بالراديو) والاستماع لأشرطة(الكاسيت) والأقراص المدمجة من الأنشطة الشائعة لدى افراد المجتمع، وتعتبر كلها وسائل إعلامية يرسل من خلالها المرسل الرسالة التي تتضمن المعلومة أو الخبر أو الخطاب ليستقبلها ويتفاعل معها المتلقي بكل سهولة ويسر. ويعتبر (الراديو) من أكثر هذه الوسائل انتشاراً، ربما لقدره وصوله لعدد كبير من افراد المجتمع مهما كانت فئاتهم الاجتماعية ومستواهم الثقافي والتعليمي حيت يتم عبره بث المادة المسموعة من برامج متنوعة واخبار ومواد تثقيفية يمكن لكل فرد فهمها والتجاوب معها والاستفادة منها،فالمواد المنشورة عبر الراديو تخاطب عادة العقول وتوجه الافراد وتحفزهم لتبني قضية ما او الايمان بفكر معين، وقد أتبث بعض علماء الاجتماع " إلى أن هناك تأثير كبير للراديو على حياة المجتمع وعلى العادات و الطباع و الأفكار و الانفعالات و الحياة اليومية فكلها تخضع لتأثير البث الإذاعي" (المشوط،2010). وربما لشدة الاقبال عليها واستعمالها من جانب الافراد، فقد عمدت بعض الحكومات في بعض المجتمعات خصوصا المجتمعات النامية، والتي بها أنظمة حكم ديكتاتورية أو شمولية الحكومات إلى محاولة السيطرة على هذه الإذاعات، فتم إخضاع معظم برامجها خصوصا البرامج السياسية والاخبار للمراقبة المستمرة. وقد تنوعت محتويات الخطاب الديني الذي يتم بثه عبر الإذاعات المسموعة بشكل تدريجي فقد بدأ متضمنا تلاوات للقران الكريم، وأحاديث ودروس دينية متنوعة، ثم برامج دينية مباشرة ودراما دينية إلى جانب بث أذان الصلوات الخمس ونقل صلوات الجمعة والاعياد. وبعد أنشاء اذاعات القران الكريم في مختلف الدول الإسلامية، ساهمت هذه الإذاعات في رفع من مستوى الخطاب الديني.

الإعلام المرئي

تعتبر وسائل الإعلام المرئية، وخاصة القنوات الفضائية، من أنجح وسائل الاعلام التي تكفل وتضمن الانتشار السريع والواسع للخطاب الديني ووصوله لمختلف شرائح المجتمع. فالإعلام المرئي يعتمد بالدرجة الأولى على حاستي السمع

والبصر، وعلى الصوت والصورة والحركة في نفس الوقت، فتجمع القنوات الفضائية بذلك بين مميزات الاعلام المسموع والاعلام المرئي في نفس الوقت ووسيلة من وسائل الاتصال تعتمد على الصوت والصورة في آن واحد، وبذلك تكون قد جمعت بين خواص الوسائل المسموعة وخواص الوسائل المرئية فتتكفل بنقل الأحداث فور وقوعها بشكل واقعي مباشر وحي، مع ضمان تسخير أساليب الإخراج والعرض والمؤثرات الصوتية والمرئية الملونة والجذابة لتضمن متابعة المتلقي وشد أنتباهه، خصوصا بعد ظهور القنوات الفضائية الدينية المتخصصة.

وقد لعب الإعلام المرئي الليبي دور رأس الحربة في التعبئة لشن الحرب والتحريض عليها،مستخدماً الخطاب الديني ليكون أداة طيعة ولينة في يد السياسيين، يقومون بتشكيلها كيفما تتفق ومصالحهم،دون حسيب ولا رقيب، وانما وخضعت لأهوائهم ومصالحهم الشخصية بلا مقاومة، فعملوا بجد لتسخير الاعلام المرئي الذي ساندهم وشجعهم على التضخيم والتهويل والمبالغة ونشر الأخبار المغلوطة، واختلط الحابل بالنابل وامتهن غير المتخصصين بدرجة ملفتة مهنة توصيل الخطاب الديني ونشره،فتمت فبركته على هواهم،حتى تحول الخطاب الديني في بعض الأحيان إلى خطاب متطرف يذكى نار الفتنة ويزيد من استعارها بل ويحرض بشكل علني على السلب والنهب والقتل. لذلك ساهمت بعض قنوات الإعلام المرئي المحلى وبعض القنوات الفضائية في تعزيز الانقسام بين أبناء المجتمع الواحد، واستخدمت لتحقيق ذلك كل الأوصاف والنعوت المشحونة بالحقد والكراهية والبغض والتخوين رغم أنها اعتمدت في خطابها الديني هذا على توظيف ما يلزم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة فتم استخدام كلام الحق لإحقاق الباطل. كما أن " الفضائيات العربية الإخبارية ولدت من تقاطع النظام العالمي الجديد واعطت مشروعية للنظام السياسي القائم في الدول التي أطلقت هذه الفضائيات أو التي تتبع القوى الممولة " (الديلمي، 2005)

الإعلام المقروء

يشمل الاعلام المقروء كل ما يتم نشره في ورق مطبوع ويتم توزيعه سواء عبر ملصقات او مطويات أو كتب أو صحف ومجلات، تنشر خطابها الديني للمتلقي بشكل عام، إما عبر أبواب دينية ثابته في بعض الصحف والمجلات العامة أو المتخصصة، أو عبر الكتاب الديني أن صحت التسمية. وتعتبر الصحيفة الورقية

أشهر الوسائل المقروءة لما لها من خصائص تتميز بها عن باقي الوسائل الإعلامية الأخرى، فهي تمنح القاري الفرصة لمراجعة ما قرأ أكثر من مرة، وإعادة التفكير فيه، والصحيفة أيضا وسيلة من وسائل نشر الخطاب الديني، يمكن للقاري أن يرجع للخطاب الموجه من خلالها في أي وقت يريد، وهذا يمنح للقاري الفرصة الكاملة ليتفاعل مع الخطاب، ويدرك مضمونه ومحتواه، بحسب ما تكون ظروفه مهيأة وتسمح بذلك دون الالتزام بوقت محدد ومحسوب كما في بعض الوسائل الإعلامية الأخرى التي تنشر الخطاب الديني.

شبكة الإنترنت

تمتلك الانترنت (Internet) نظام عالمي أكتشف ويستخدم خصيصا للتواصل السريع والحصول على المعرفة بمختلف مجالاتها وفروعها، بجميع مجالاتها وذلك عبر شبكة عنكبوتية معقدة من خلال شبكة تضم ملايين أجهزة الحواسيب والهواتف الذكية والأجهزة اللوحية والرقمية المنتشرة في أنحاء العالم. وهو"شبكة عالمية ضخمة تربط آلاف من الشبكات، والملايين من الحواسيب من مختلف الأحجام والأنواع، وتستخدم لإغراض متعددة أهمها للاتصال والحصول على المعلومات وتخزينها وتبادلها، وترتبط هذه الأجهزة ببروتوكول يعرف باسم(TCP،P). (شاهين، ص،2005) وقد ساهم اكتشاف شبكة الإنترنت العالمية، وشيوع استخدامها، في ان قدمت للإنسان في غالبية دول العالم حزمة من الخدمات المهمة في مجال الاتصالات السريعة والسهلة والمضمونة، إلى جانب توفير المعلومات، فتحول بذلك هذا العالم المترامي الأطراف شديد الاتساع إلى قرية صغيرة تتاح فيه المعلومة المتوفرة، وأيضا الترفيه. وإلى جانب توفير الانترنت للترفيه، ومختلف جوانب المعرفة وفروعها، فهو يوفر خدمة الاتصال عبر البريد الإلكتروني، وخدمة مجموعات الأخبار، وخدمة بروتوكول نقل الملفات من حاسوب إلى حاسوب آخر وخدمة زيارة المواقع، وخدمة التخاطب الفوري وفوائد أخرى ربما يصعب عدها وحصرها وكلها متاحة ويمكن أن يستفيد منها كل من يتوفر لديه الإمكانيات والموارد للاتصال بهذه الشبكة العنكبوتية السحرية.

وقد كان توظيف الانترنت في نشر الخطاب الديني فاعلاً ومؤثراً، خاصة في ظل انتشارالمواقع الإلكترونية الجادة التي تستهدف المسلمين في جميع أنحاء العالم، وبكل اللغات وبشكل ميسر لتثقيفهم، سواء عن طريق نشر المقالات،

أو الملفات الصوتية التي يتم عبرها أمكانية الاستماع ومشاهدة الخطب والمحاضرات المسجلة بالصوت والفيديو أو المنقولة مباشرة وقت تقديمها. كما ساهم استخدام الانترنت في انتشار المواقع الإلكترونية التي تدافع على الإسلام، وترد وعلى كل من يتهمه، ويفند ادعاءات أعدائه بالحجة السليمة والمنطق القويم، كما انتشرت مواقع الفتاوي وتبويبها وترتيبها وتنظيمها وفهرستها ليسهل الرجوع اليها بسهولة ويسر، وتوصيل مضمون الخطاب الديني ربما لغير المسلمين عبر ارسال رسائل الكترونية للتعريف بالدين الإسلامي وسماحته. وكما ورد في كتاب علم الاجتماع الديني " يظهر قدرة فائقة على نسج علاقات مع نظام وسائل الاتّصال تنتهي به إلى التكيّف مع منطقها والتحوّل إلى بضاعة إعلامية بكل سهولة ويسر. (أكوافيفا، وأخرون، 2011).

المراجع باللغة العربية

القران الكريم

ابوزيد، نصر حامد، (2007) "*نقد الخطاب الديني*"، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، المغرب.

اكوافيفا، سابينو وباتشي،(2011) إنزو،" *علم الاجتماع الديني: السياقات والإشكالات*" ، ترجمة: عزّ الدين عناية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر،(2000) "*البيان والتبيين* ". تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة، دارالجيل، بيروت-لبنان.

الدليمي، عبد الرازق (2005) *عولمة التلفيزيون*، عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين،(2010) " *مفاتيح الغيب، التفسير الكبير*" الطبعة الخامسة: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1999) "*مختار الصحاح*"، الطبعة الخامسة، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان.

الزمخشري، محمود بن عمر جار الله أبو القاسم (2011) "*أساس البلاغة* " المجلد الثالث،تحقيق محمد باسل عيون السود، الطبعة الخامسة، دار الكتب العلمية.

الشامي علاء (2007)"*دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية* "، رسالة دكتواره القاهرة، كلية الإعلام جامعة القاهرة.

الشعراوي، محمد متولي، (2009)، "*خطب الجمعة والعيدين وفضائل الجمعة واحكامها في القران والسنة للقرطبي وابن القيم*"، دار الجبل الطبعة الرابعة، بيروت-لبنان

الشيباني عمر محمد التومي(1993) " *من أسس التربية الإسلامية* " الطبعة الثانية، من منشورات الجامعة المفتوحة.

الغزالي، أبو حامد،(2009)، "*المستصفى من علم الأصول* " المجلد الثالث،، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة، المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، ضبط وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان 1995 م.

القاضي أحمد عرفات،(2008) "*تجديد الخطاب الديني*"، مكتبة الاسرة، القاهرة.

الكفوي،(1992) "*الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية* " تحقيق عدنان دويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالاولى.

اللقاني احمد حسين وفارعة حسن محمد، (2001) "*مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل*"، الطبعة الاولى، عالم الكتب، القاهرة.

المشوط محمد عليان، (2010) " علم النفس الإعلامي"،الطبعة السادسة مطبعة الدوادي، دمشق.

الطيار، أحمد عبد الله (2005) "*تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد*"، حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد (22)، المجلد الثالث.

بدوي، محمد طه, (2000) "*المنهج في علم السياسة*" , الإسكندرية, المكتب الجامعي الحديث.

بدوي،عبد الرحمن (2002) " *مناهج البحث العلمي*"، الطبعة السادسة،وكالة المطبوعات،الكويت.

بلعيد، صادق،(1988) "*دور المؤسسات الدينية في دعم النظم السياسية في البلاد العربية*"،مجلة المستقبل العربي، العدد108 مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت.

بوشبكة، عبد المجيد،(2015) " *محاضرات في الخطاب الديني، دراسات في البلاغة والخطاب*"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة الرباط-المغرب.

حجازي، عبد الرحمن (2013) " *مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة*"، مجلة علامات في النقد، مجلد 15، الجزء الأول - جدة: النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية.

زيدان، يوسف (2010) "*قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج*" ،سلسلة الفلسفة والعلوم (1)،دار الامل للطباعة والنشر،القاهرة –مصر.

سلامة،أحمد عبد الكريم(1999)"*الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية*"، الطبعة الاولى، دار النهضة العربية، القاهرة،.

شاهين، محمد (2005) : "*دوافع ومعوقات استخدام شبكة الإنترنت من قبل العاملين في جامعة القدس المفتوحة*"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، المجلد الخامس، العدد الأول.

عبد الباقي، محمد فؤاد (2012)، "*المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم*"، دار الجبل، بيروت-لبنان

عبد الحليم، محي الدين (2006.) "*الخطاب الديني وعناصر نجاح الاتصال الدعوى*"، سلسلة قضايا إسلامية، العدد 48، القاهرة، مطابع وزارة الاوقاف.

فوزي، صلاح الدين (1999)،"*المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث القانونية* "، دار النهضة العربية، القاهرة.

مجمع اللغة العربية، (2012) "*المعجم الوسيط* "، المجلد الأول، الطبعة السادسة، مكتبة الشروق الدولية.

مجمع اللغه العربيه،(1994) "المعجم الوجيز"، وزاره التربيه والتعليم – مصر.

ولد أباه، السيد (2010) " أعلام الفكر العربي"، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الاولى بيروت.

المراجع باللغات الاجنبية

Abodher, Salem Melood 2014" Impacts of Globalisation and Education Policy in Use of ICT in Libya" LAP LAMBERT Academic Publishing Germany

Lee.A.S (2010) "A Scientific Methodology for MIS Case Studies MIS Quarterly",13(1) PP 32-50

ROBERT K. YIN (2009) CASE STUDY RESEARCH: DESIGN AND METHODS (APPLIED SOCIAL RESEARCH METHODS.

Charoui, K et Benony,H (2003) methodes d'evaluation et recherché en psychologie clinique ,paris.

ورفله ثقافة التخوم

منصور أبوشناف

1- النادبات

تعج وديان وشعاب ومرتفعات بني وليد بالنحت الليبي الخالص الذي يعود في غالبه الى القرن الثاني والثالث والرابع للميلاد، تتناثر عبر مرتفعاتها المسلات التي تعود الى تفس الفترة من التاريخ، وقد تكون بني وليد المنطقة الوحيدة في ليبيا التي تتناثر بها تماثيل لرجال ونساء ليبيين يشبهون من تقابلهم ونعيش معهم في بني وليد فرجال التماثيل يرتدون الحولي الليبي "الجرد" ونساء التماثيل يرتدين الرداء وعصابة الرأس ويتمنطقن بنفس حزام امي المصنوع من الصوف والمصبوغ بالأحمر، اذن في بني وليد انت في جغرافيا متناقضة وفي تاريخ عريق وعبقري، متناقض، بسيط وساذج، معقد ومخادع!!!

تناقض الجغرافيا نفسها في بني وليد مرات عديدة في الكيلو متر المربع الواحد، فهي الخشنة الحادة، ممزقة الاحذية ولحم الاقدام والقادرة على جعل من يسير فيها دون قدرة فائقة على المناورة يفقد توازنه مرة كل خطوة يخطوها، وهي القاحلة التي يلمع السراب طوال ايام صيفها اللاهبة، كل هذا لا مهرب لك منه وانت تتقدم باتجاه مشارفها أو "هوافيفها" "جمع هيفوف" وهو مطل الوادي.

وهي الناعمة الهشة اللينة السمحة حين تحضنك وديانها ويتلقفك زيتونها وبطومها، ان لحظات هبوطك من أحد هوافيفها مندفعا خائفا متلهفا، لن يجتاحك فيها الا ذلك الاحساس الذي ظل يعتريك طوال طفولتك وانت تركض متعترا ينهرك ابوك وتستقبلك احضان أمك والامان...

الجبال والوديان والشعاب.... الاستقرار والعمران الذي يعود الى ما يزيد عن الثلاثة الاف عام.... المسلات والمقابر والتماثيل وموائد الموتى.... مذراة تانيت وقرون ثيران "قرزيل".... المزارع المحصنة..

إن التاريخ عبر هذه الجغرافيا المسماة بني وليد ينظر اليك غاضبا محاولا التعبير لك عن عدم اكتراثه بك!!

القصر والخيمة، المستقرون المتحضرون اللذين زرعوا الزيتون والتين والرمان اللذين بنوا القصور والمعابد والمسلات ونحتوا تماثيلهم الخاصة جدا والمحلية جدا، حيث التماثيل تخصهم هم ولا تخص رومان لبدة ولا اويا ولا صبراتة، المتمسكون بكل تفاصيل تانيت وقرزيل في منسوجاتهم وملابسهم وحلي نسائهم بل وفي حلاقة رؤوسهم حتى ستينات القرن الماضي، فتسريحة المشواش ظلوا يتمسكون بها حتى النصف الاخير من القرن العشرين!!!

الخيمة التي يخرجونها كل ربيع ليعيشوا حياة البدو الرحل، الرعاة الذين يحترمون ثقافة الرعي!!!

الذين تختلط في افراحهم فنون الجبل الغربي والواحات والساحل مع فنون الشرق الليبي كالعلم والطبيلة والمجرودة والكشك!!!

كل هذا هي ورفله "بني وليد" وورفلة ليست قبيله بل ما يزيد عن الخمسين قبيلة ترجع كل واحدة منها الى اصول لا علاقة لها بالأخرى، ورفله جغرافيا تحولت الى قبيلة، ينتمي أهلها الى الجغرافيا وفق انتماءات القبيلة.

تندثر فيها الامازيغية لغة وتبقى ثقافة وعادات وتقاليد، ينطقون بالأمازيغية حين يسمون الجغرافيا "سوف اجين طاطنت، ايليس تلمات" وغيرها الكثير لا يبقى للجغرافيا الا اسماء اطرافها من التاريخ!!

ورفله وهو الاسم الاصلي لهذه الجغرافيا وبني وليد اسم حديث ورسمي ظهر بعد الفتح الاسلامي ولم يكن يستخدمه سكانها إلا حين يكتبون طلبات للحكومات المتتالية اما عدا ذلك فيقولون ورفله!!

ورفله المناورة على نفسها والأخرين، المستقرون بناة القصور والمسلات وزراع الزيتون والتين والنخل، اكلة اللوتس، الرعاة الرحل المنتشرون في كل بقاع ليبيا، ابناء الوديان والزراعة وفي نفس الوقت اهل الضرع الذين يهددون بقطعانهم مزارع اهل الساحل!!

ورفلة الصخرية القاسية والهشة الناعمة، الامازيغية المخبأة والعروبة المجعجعه، المستقرون الزراع والبدو الرحل.... الممتلئة استقلالية وتمردا عبر كل العصور والتابعة اداريا لمنطقة اخرى غير نفسها عبر التاريخ الحديث!!

الناكرة لنحتها وامازيغيتها، فكل ذلك الميراث المتفرد والعريق والذي تتميز به ورفله عن كل الجغرافيا الليبية يعتبره الورافلة ميراثا محرما لا يمثل الا عقوبة الهية لبشر كانوا، ثم خسفهم الله وسمرهم حجرا، ان اسلافهم الباقين تماثيل متناثرة عبر الوديان والشعاب الى وقت قريب ليسوا في نظرهم الا خطاة حجرهم الله ليخلدوا حجرا الى يوم الدين!!!

يبقى تاريخ ورفلة القديم متسمرا حجرا، نحتا وقصورا ونقاط حراسة، ولا يظل حيا من كل ذلك وفاعلا الا ابار المياه القديمة، يظل منسيا بالنسبة لأهلها رغم انه الابرز

على اراضيها الممتدة الشاسعة، ويتوقف كل الورافلة في شجراتهم العائلية عند الاندلس والمغرب العربي والساقية الحمراء، فغالبهم ان لم يكونوا جميعا يرجعون اصولهم الى الساقية الحمراء....!!!

بالطبع لا يشكل النازحون من الساقية الحمراء او الاندلس الا الجزء الصغير من هذا التجمع البشري، ويعود بعضهم بأصوله الى هجرة بني سليم، وهم ايضا لا يشكلون الا جزءا صغيرا اخر، لتظل الغالبية العظمى منهم من الامازيغ الليبيين القدماء اللذين انتموا وبحماس شديد للعروبة والاسلام رافضين في غالبهم الاصول الليبية القديمة رغم صحتها!!

لعب الدين والثقافة الدور الاهم في تكوين انتماءاتهم، خارجين على ذلك النحو من الانتماء العرقي، بل وقد لا ابالغ ان قلت ان ورفله تقدم نموذجا ممتازا لتحول الثقافة الى قبيلة وعرق...

لا يتناغم ورفله المعاصرون مع ارثهم التاريخي القديم الا في طقوسهم الخاصة، فلازال الكثير منهم وحين يختلفون في امر يتوجهون الى اضرحة اوليائهم ليقسم كل طرف بعد ان يضع يده على قبر الولي، ربما استبدلوا القسم عند قبور الاسلاف كما يصف هيريدوت بقبور اولياء، وظل بعضهم ينام عند قبور الاولياء طلبا للشفاء او للمشورة كما كان يفعل اسلافهم الليبيون القدماء عند قبور اجدادهم!!

وظلت النساء يحملن ذلك الارث الليبي القديم حليا، من شواهد قبور الجرمنت الى وشم تانيت، ويكتبنه نسيجا يعج بأيقونات الامازيغ !!!

ورفلة لا تنكر أمازغيتها عن وعي، بل تحملها ارثا لا تعرف من اين اتى به اسلافها!!

في احد اودية ورفله عثر على التمثال الليبي الخالص، اعني تمثال "النادبات" وهو يعود الى القرن الرابع للميلاد، هو منحوت على قطعة صخر وتظهر فيه نساء ليبيات يندبن ميتا باهالة التراب على رؤوسهن بالضبط كما ظلت الورفليات يفعلن ذلك حتى وقت قريب وقد شاهدت هذا المشهد مرات عديدة هناك...

تشبع ورفلة الامازيغ المتجذرون في ليبيا عميقا بثقافة بدو بني سليم ومع ازدياد الجفاف والتصحر صارت تلك الثقافة الانسب لحياتهم والاقدر على البقاء، وتحول ورفلة من امازيغ الى عرب اقحاح لتغلب خيمة شهور الربيع التي كانوا ينصبونها لفترة قصيرة كل عام قصور قرون الميلاد الاولى!!!

حكمت الجغرافيا الثقافة وحكمت الثقافة العرق وشكلته حسب حاجاتها..!!

تنقل ورفلة عبر ارجاء ليبيا من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها بحثا عن الماء والكلأ، وظلوا ينتسبون الى تلك الجغرافيا "ورفله" وينسبون لها كما لو كانت قبيلة وليست مدينة تضرب قراها

بجذورها في اعماق التاريخ، بل وتملك ما لا تملكه المدن الليبية الاخرى بما فيها طرابلس وبنغازي وسبها، فهي المخزن الهائل والوحيد للأثار الليبية الخالصة التي لم ينتجها رومان ولا يونان بل انتجها ليبيون، سجلوا عبرها مظاهر حياتهم ومعتقداتهم، حرفهم واعمالهم، وظهر الانسان عبر تلك الاثار ليبيا خالصا، هو ليبي اليوم بملابسه وعاداته وتقاليده، افضل امثلة على ذلك المنحوتات والانصاب، فلازال رجال و نساء المنحوتات الورفلية يشبهون من تقابل الان عبر شوارع او وديان او شعاب ورفله!!!

تنقلت عاصمتهم بين قرزه وبن تليس وبني وليد دون ان تختفي واحدة منهن من الوجود، بل ظلت عواصمها الثلاثة حية عبر التاريخ، وتجد من ينتمي لها الى حد الان فتجد التليسي وابن قرزة وبالطبع من يقول لك انا من بني وليد...

احتفظ ورفله بدور سكان التخوم السياسي منذ القرون الاولى للميلاد، فهم حماة العواصم الشمالية المتعاقبة وحزام نارها الذي يطوقها حماية وهم ايضا وكما كان اسلافهم القدماء التهديد الدائم لاستقرارها، فهم المحاصرون للبدة العظمى والعابثون بمزارعها وقصورها، والمتمردون على طرابلس الرافضون لدفع الضرائب لحكامها المتعاقبين وهم المناورون بولائهم للحاكم وللمركز طوال التاريخ، فلقد ظل الرومان والترك والطليان وحتى حكام العصر الحديث مضطرين دائما لإرسال حملاتهم العسكرية لتحاصر ورفله وتقصفها وتواجه مقاومة عنيفة وتدخلها دون ان تجد بها احدا، فلقد ظل ورفله يطبقون استراتيجيات اسلافهم الليبيين القدماء "الانسحاب والاحتماء بالصحراء والتحول الى بدو يهيمون في الوديان ويغيرون على القوات المحتلة ويوقعون بها ضربات موجعة ليعطلوا استقرارها ويفشلوا اصرارها على البقاء"!!

اجتاحتها قوات الرومان مرات عديدة ثم استطاعت فرقة "اوغسطا" ان تجعلها حزام لبدة و اويا وصبراتة الحامي من تهديد الجنوب وذلك بتبني المشروع العسكري لا اقتصادي الذي حول ورفلة الى معسكرات حماية للبدة العظمى واويا وصبراتة وذلك عبر تمليك بعض الضباط والمحاربين المتقاعدين من الخدمة العسكرية اراض مستصلحة بها ابار للري "لازالت تعمل حتى الان" وانشاء نظام ري مناسب للبيئة ؛حيث تم حفر سواقي مسقوفة من الصهاريج الى المزارع، ووضع لها نظام توزيع للمياه بين المزارع، وعمل في تلك المزارع عبيد وفلاحين من المنطقة، وكانت مهمة اولئك الضباط والمحاربين الزراعة وقت السلم والتصدي لغزوات قبائل الجرمنت من الجنوب وتعطيل تقدمها وابلاغ لبدة لتحريك الجيوش قبل وصول تلك القبائل الى مشارفها ومزارعها.

عرف ذلك النظام بنظام المزارع المحصنة، وهو جزء من استراتيجية احزمة النار كما سماها الرومان التي طوقوا

بها المدن الثلاث بالساحل الغربي من ليبيا..

كانت احزمة النار فكرة عبقرية في ذلك الوقت، فلقد بنيت نقاط صغيرة للحراسة الى جانب المزارع المحصنة وكان ونتيجة للتوزيع الدقيق لتلك النقاط، حيت تقابل كل نقطة النقطة التي تليها ويمكن لكل منهما ان ترى الاخرى وان بعدت المسافة بينهما كان بإمكان ورفلة ان تبلغ لبدة بالخطر القادم دونما معاناة وفي زمن قصير، قد لا يستغرق وصول البلاغ من ورفلة الى لبدة الساعة من الزمن، علما بان المسافة بين ورفلة ولبدة العظمى لا تقل عن المائة كيلو متر بقياسنا الحديث كل ذلك دون ان يتحرك فارس على جواد بالبلاغ ودونما عناء او مكابدة، كل ما كان على المكلف بالحراسة فعله هو ان يصعد الى اعلى مبنى نقطة الحراسة ويشير بالأعلام الملونة الى النقطة التي تليه لتوصل التي تليها للنقطة التالية وهكذا حتى قيادة الجيش في لبدة

هذا في النهار اما في الليل فكانت الاعلام تستبدل بالمشاعل... كانت تلك النقاط موزعة بشكل دقيق وغالبها في اعلى الجبال وتمتد من غدامس غربا وحتى بونجيم شرقا، ومن سوف اجين حتى مشارف لبدة عبر مرتفعات ربات الجمال بترهونة ومسلاته وعبر وديان شمال شرق ورفلة الى وادي ترغلات ثم نهر كينوبس "وادي كعام الان..."

في هذا الطوق نما جيب حضاري غريب هو مزيج من الثقافة الليبية والفينيقية وعلى عكس جيوب الساحل لم يظهر فيه الاثر الروماني الا في تخطيط مواقع الحراسة ليتولى سكان المنطقة المحليون كل شيء فكانوا هم البنائين والنحاتين والنساجين والزراع وصناع الاساطير بالتأكيد... كان بإمكان الثقافة المحلية ان تجد في شعاب ورفلة ووديانها ومرتفعاتها امكنة أمنة للحفاظ على خصوصيتها وان تقاوم ذوبان لبدة واويا وصبراتة الفينيقية تحت سعير كير روما الحضاري...!!

الحفاظ على الخصوصية والاستقلالية مناورة بإظهار الولاء للعواصم والتمرد عليها وتهديد امنها ومحاصرتها والعبث في مزارعها في لحظات غير متوقعه كان لعبة ورفلة المتكررة منذ قرون الميلاد الاولى وحتى العصر الحديث.....

مقاومة حملات العواصم العسكرية باستراتيجية "فابيوس" التراجع والتلاشي وامتصاص اندفاع الغازي والتحول فجأة الى قرى مهجورة تصفر فيها الريح، ليدخل القادم منتصرا وتتاح له فرص الاسترخاء والطمأنينة، ليتم ضربه فجأة من حيث لايعلم...

ربما كان ورفله الوحيدين من الليبيين اللذين حافظوا على تكتيك اسلافهم الليبيين القدماء هذا وظلوا يستخدمونه حتى الان!! تدخل الجيوش اليها بعد عناء وخشية وتردد لتفاجأ بمقاومة شرسة قصيرة، ليست في الغالب الا مناورة

لتغطية انسحاب الجميع وتلاشيهم في الوديان والشعاب ثم في رمال الصحراء الكبرى وغالبا ما يجد الجنود القادمون الشيوخ يدفنون موتاهم والعجائز يندبن مهيلات التراب على رؤوسهن الشعثاء المغبرة، كي لا يتذكر الفاتحون من ورفلة الا "النادبات "والخرائب...!!

النادبات لا يمتهن هذه المهنة كما في بعض الحضارات، بل هن نساء عاديات في الغالب يتعلمن هذا التراث الجنائزي ويتقنه دون احترافه .....

القيام بالندب على الموتى كان واجب كل نساء عائلة الميت وجاراتهن وبنات عشيرتهن وصديقاتهن المقربات

منحوتة النادبات التي تعود وكما اسلفت الى القرن الرابع للميلاد، والتي تظهر فيها تفاصيل النادبات الورفليات، يعتبرها الورافلة المحدثون اخر مشهد من مشاهد خسف عاصمتهم في ذلك العصر "قرزة" حين خسفها الله وحول كل شيء حي فيها الى حجر، النخل والابار والرجال والنساء والابل والجياد، الغزلان والضباع والكلاب كل ما ليس حجرا فيها تحول الى حجر، يتسمر بعضه في اعلى الجبال وبعضه في الوديان، بعضه مندهشا وبعضه هادئا والبعض سعيدا مفاخرا بفرمان تعيينه حاكما لمملكة الحجر تلك الصادر من لبدة العظمى التي كانت جيوشها قد دكت مدينته مرات عديدة قبل ان تعترف به وبخصوصيتها وبالطبع قبل تحجره بلحظات كما يظهر في التمثال!!

كان صناع الاساطير قد نشروا بين الناس في وديان وشعاب ورفله حكاية طغيان حاكم قرزة وتجبره والانحطاط الاخلاقي الذي وصلت اليه العاصمة في عهده والذي بلغ ذروته بتشريع ذلك الحاكم لزواج الاب من بناته، ليبدأ بتطبيق هذا التشريع الفاسد بنفسه ويتزوج ابنته الكبرى، لتحل اللعنة والعقاب الالهي بقرزة كلها وتتحجر قرزة بكل ما فيها، لتبقى عبرة لمن لا يراعي شرع الله كما يقول رواة الحكايات والاساطير في ورفلة، حين يسألون عن تلك التماثيل المنتشرة في الوديان والشعاب!!

"نادبات " ورفله المتحجرات منذ القرن الرابع للميلاد وحتى الان، ظللن يظهرن كأشباح الماضي، يندبن تانيت وقرزيل، زمن الرومان والوندال ويندبن الفاتحين في الجيوش الاسلامية ويندبن الابناء القتلى في ثوراتهم ضد الترك وجنود القره مالي وشهداءهن في المرقب والهاني ضد الطليان و... و... ظللن يندبن عبر التاريخ استنكارا وتحريضا ضد المذلة...

في "ايليس" احد وديان ورفلة الصغيرة والذي لا يزيد عن كونه ملتقى لوديان "منصور" و"المردوم" تتداخل ازمان وتواريخ ورفله وتتجاور فما ان تقف على احد هوافيف هذا الوادي حتى تقابلك المسلتان المعروفتان ب "مسلات المردوم" ثم القصر الكبير الذي كان على ما يبدو مركزا لمستوطنة المردوم في قرون

الميلاد الاربعة الاولى وتتناثر حوله اهراءات التخزين ونقاط الحراسة الممتدة عبر وادي منصور الغني بتلك الاهراءات والقصور نحو وادي "تجاج" ثم وادي "ترغلات" الى نهر كينوبس "وادي كعام" ولبدة العظمى شمالا وتقابلها اخرى تتجه جنوب الشرق باتجاه سوف اجين لتتفرع نحو الشمال الى تاورغاء حيث مصب وادي سوف اجين ويواصل فرعها الاخر شرقا نحو "بونجيم " وتمضي غربا عبر المردوم ودينار ووادي البلاد لتتفرع بعد ذلك باتجاه الشمال نحو تلال ربات الجمال "ترهونه مسلاته الى مشارف لبدة العظمى ويواصل فرعها الاخر عبر وادي البلاد وشميخ وتينيناي نحو مزده وحتى غدامس...

في "ايليس" احد وديان ورفلة الصغيرة يلتقي رحل ورفلة مع مستقريها ويلتقون مع اهل الشمال من مصراته وزليطن، فكان وحتى ستينات القرن العشرين يصل تجار مصراته راكبين حميرهم المثقلة بالبضائع الى ايليس ليستريحوا هناك قرب قصر ومسلات المردوم ويصل صوفيو زليطن طارقين بناديرهم مولولين بأدعيتهم ليستريحوا هناك ليلة بعد ليلة بدوفان ومسير يوم منه الى "ايليس"، احيانا قد يلتقي تجار مصراته و صوفيو زليطن براع من ترهونه شق طريقه عبر ترغلات وتجاج ثم منصور ليصل الى "ايليس" بحثا عن ابله التائهة في وديان ورفله وقد يخبره عنها قادم من سرت عبر سوف اجين والمردوم الى "ايليس ..."

كل هذا ظل يحدث في "ايليس" عبر العصور، نشات به المستوطنة المعروفة باسم مستوطنة المردوم وظلت قصورها ومسلاتها ومقابرها وسدودها المتقنة تصان وتعمل منذ قرون الميلاد الاولى وحتى الان والاهم ظلت مزارعه تنتج القمح والشعير ثم الزيت والتين..

مسلات المردوم الثلاته لازالت اثنتان منها تقفان ثابتتين كشهود قبور ونادبات احيانا وكشهود حضارات متعاقبة..... الثالته تتناثر احجارها تحت اقدام رفيقتيها كاشلاء محارب نكل به في معركة قاسية منذ زلزال ثلاتينات القرن العشرين الذي ضرب ورفلة...

المسلات ومنحوتة النادبات وملتقى ايليس، القصور والخيام.. خوذات قرزيل "الاله الليبي "المحارب الذي يظهر برأس وقرون ثور...مذراة تانيت التي تحولت الى "وسم ورفلي "للابل والاغنام تباركا بالهة الخصوبة، خميسة الجرمنت، الخليط الليبي الخالص بكل تناقضاته.. ورفله..

الثورات والتمرد والصراع الدائم ضد العواصم المتعاقبه.. لقد ظلت تقاتل من اجل خصوصية متحولة ودائما غائمة، كانت ليبية ضد الرومان وعربية ضد الترك وغرباوية ضد السنوسية التي حاربتها ورفلة بشراسة متحالفة ضدها مع مصراته.. كانت بدوية ضد قوانين الشمال.. كان شعارها الدائم عبر العصور "مادخلكم في شؤوننا ..!!"

ورفله المحكومة بإرث هائل من الخصوصية والغموض، لكأنها تلخيص ليبيا بكل بساطتها وتعقيداتها، انها متحف التحولات الليبية الكبرى منذ العصر المطير وحتى الان، فهنا يتجاور الصيادون والرعاة والزراع وتجار العبور، الامازيغ المستعربون وحراس التخوم من الرومان والاتراك، الاوثان الليبية والمساجد والكنائس القديمة واضرحة الاولياء والمتصوفه، الفنيقيون والليبيون القدماء وعرب بني سليم... كل التحولات الليبية تتناثر عبر اودية ورفله مسلات ومنحوتات وعادات وتقاليد تحاول الدفاع عن كل ما يخصها وترى دائما الخطر يتربص بكل هذا، فتنكمش على نفسها وتلف نفسها بالغموض واضعة على بواباتها منحوتة الناديات من حين لأخر مخبأة في ودبانها خوذات قرزيل الذي يشير مؤرخ عربي الى ان سكان "شميخ"ظلوا يمارسون طقوس عبادته بعد الفتح الاسلامي بقرون، متعلقة بتلك الخصوصية الثقافية التي لاتعرف تاريخ مكوناتها ظلت ورفله هكذا غامضة تحتمي بأحجار تماثيلها ومسلاتها ومزارعها المحصنة، لا يعرفها الا القليلون ويحشرها السياسيون والمثقفون والخواجات في "مخلاة" البدو الرحل رغم كل هذا الميراث الحضاري القديم .!!

2 -القصور

لا يسمي ورفله قبائلهم بالقبائل، على عكس بقية الليبيين بل يسمونها قصورا، فيقولون قصر تلمات او قصر الحلمة او الاساحقه عندما يتحدثون عن قرى صارت قبائل لا يجمعها ببعضها الا المكان والقصر، والقصور التي ينتسب الناس في ورفلة لها ليست الا قرى قديمة، ظلت تنمو عبر تاريخ طويل من الاستقرار ويعتبر بئر الماء المكون الاساسي للقصر او القرية او القبيلة تم يكون القصر العلامة على تكون القرية واستقرارها ثم الزيتون حيث لا يعتبر الورافلة ورفليا اصيلا من لا يملك شجر زيتون بوادي البلاد الذي تطل على هوافيه القرى تتقدمها القصور...

القصور كانت قلاعا للدفاع وبعضها لتخزين القمح والشعير والزيت وبعضها كان سكنا لكبير القرية وحاكمها..

تأخذ القصور شكلا مستطيلا، وغالبها تتكون من دورين، وتبنى بالحجر والطين وتشكل الاقواس دعاماتها الاساسية ويستخدم الجبس الى جانب الطين ثم الجير مواد بنائها وعلى عكس البيوت العادية لا تستخدم جذوع الزيتون والنخل واغصان السدر في سقفها، بل يلظم السقف حجرا، ويعتبر قصر بن تليس

النموذج الوحيد الباقي متكاملا الى حد الأن لهذه القصور..

كانت المسلات احد مكونات القصور ولكنها اختفت من غالبية تلك القصور "القرى" منذ زمن بعيد ويرجع ذلك الى التحول الديني وتغير طرق الدفن منذ زمن بعيد ولم تبق المسلات الا في المستوطنات المهجورة المتناثرة اطلالا بالوديان البعيدة، والمسلة في ورفلة شاهد مقبرة يصل ارتفاعها الى خمسة امتار تقريبا وتبنى بالحجر المشكل على شكل مربع او مستطيل وتضيق كلما ارتفعت لتأخذ شكلا حادا في قمتها فتبدو رمحا ثقيلا مصوبا باتجاه السماء ورغم غرضها الجنائزي والديني فإنها تكظم احتجاجا ضد الموت...

البئر في قصور ورفله ملك مشاع لكل سكان القصر، وينشأ القصر الذي يحفر البئر تحته في الغالب في اسفل الجبل او جلهة الوادي بعد حفر البئر وتطل البيوت عليه من اعلى الجبل وتصله عبر مسارب يقطعها البشر والدواب من والى البئر طوال التاريخ، وغالبا ما تحفر القرى انفاقا في الصخر من اعلى الجبل الى البئر لترد الماء متخفية عن عيون ورماح ورصاص الغزاة عند الحرب بعد سد افواه الابار بالحجر والطين لحرمان الغازي من مياهها، كانت تلك احد اهم ادوات المقاومة التي استخدمها ورفلة في حروبهم، كان موت العدو عطشا السلاح الامثل بالنسبة لورفلة عند الدفاع ومقاومة والحصار...

ينتصب فوق البئر عمودان من الحجر يسميهما ورفلة جناحي البئر يصل علوهما الى المترين ويوصل العمودان بقنطرة من جذوع الزيتون تثبت عليه عجلة مصنوعة من جذع زيتونة تسمى "الجراره" وهي رافعة صغيرة تستخدم لرفع الدلاء من البئر بواسطة الرشا...

يصل عمق تلك الابار الى المائة متر وتستخدم القصور "القبائل" مياهه في كل الاغراض، فهي للشرب والغسيل وسقاية قطعان الماشية وري الزيتون وكروم التين...

يحكم كل تلك الاغراض قوانين واعراف ظلت تتوارثها الاجيال منذ قرون الميلاد الاولى وحتى الان، فسقاية قطعان الماشية في فصل الصيف تكون بالدور وعلى مدى أربع وعشرين ساعة، فمن الفجر الى الظهر ومن الظهر الى المغرب ثم الى منتصف الليل ثم الى الفجر، ليكون بالإمكان سقاية ثلاثة اغنام او ثلاثة قطعان من الابل ويمكن ان يحجز احد اصحاب مزارع الزيتون احدى الفترات ...

الواردة بقربتها او برميلها وغالبا ما تكون من ربات البيوت بإمكانها ان تحصل على كوب من كل دلو يخرج من البئر، في الصباح الباكر او المساء المتأخر وهي فترة ميراد الشراب قد تأخذ الواردات غالبية ما تخرجه دلاء الجبادة من البئر...

ترفع الدلاء المصنوعة من الجلود في العصور القديمة ثم من المطاط في العصر الحديث بواسطة الجبادة حيث يقف

اثنان منهم او ثلاثة على فم البئر متقابلين قد يصل عددهم الى اربعة ان كان الدلو كبيرا، يسحبون الرشا من اعلى الى اسفل لينزل الدلو الفارغ الى البئر ويصعد الملآن، غالبا ما تتحول هذه العملية الى رقصة يستعرض فيها الجبادة مهاراتهم في الرقص والغناء وايضا الرشاقة والقوة، خاصة ان حضرت الواردات بقربهن العطشى....!!

عرفت ورفلة نظام العبودية، وشراء العبيد واستخدامهم في هكذا اعمال كما عرفت نظام "العزيب" وهو نظام تقوم فيه العائلات الميسورة الحال بتربية ورعاية يتامى ليقوموا مع العبيد بهذه الاعمال ولا يميزهم عن العبيد الا لون بشرتهم البيضاء وحقهم في الزواج من الورفليات، وغالبا ما يتم تبني العزيب بالاتفاق مع اهله الفقراء العاجزين عن اعالته وله الحق حين يكبر ان يستقل ويترك مربيه...

كذلك كانت ورفلة مفتوحة امام المهاجرين من المناطق الاخرى وغالبا ما يصبحون جزءا من نسيجها الاجتماعي وينتسبون لها، وشكل القادمون من ترهونه وزليطن النسبة الاكبر من اولئك المهاجرين...

القصور او القبائل كما يعرفها الليبيون في ورفله تشكلت من لحمات لا تجمعها رابطة الدم، بل تجمعها الجغرافيا، يجمعها البئر والزيتون والمرعى...

امتلاك بيت وزيتون وكروم تين بوادي البلاد ومراع بالأودية الاخرى هي اساس الانتماء لورفلة وتعتبر طابوات الارض وثائق الانتماء الاهم لهذه الجغرافيا التي اخذت شكل القبيلة..

عرفت الملكية في ورفلة ما عرفته الملكية من تغير وتطور عبر التاريخ في المجتمعات الانسانية وفي ليبيا على وجه الخصوص، فمن المشاع الى الاستيلاء على الاراضي بالقوة الى نظام البيع والشراء الى الرهن الى نظام المزارعة "حيث يمنح صاحب الارض جزءا منها مقابل زراعتها بالأشجار المثمرة لمن يتولى زراعة ورعاية الاشجار حتى تثمر وهو ما يسمى بنظام المغارسة، وكانت تلك الوسائل متاحة عبر العصور جميعها...

لقد لعبت ملكية الارض الدور الاول في تحديد الانتماء للقصور والقبائل رغم كل الهوامش الاخرى، كالأحلاف والصفوف والتكتلات التي جاءت نتيجة احداث طارئة وتمت المحافظة عليها كأرث نافع...

من القصور او القبائل نشأ نظام الاقسام ويجمع كل قسم مجموعة من القصور او القبائل، تشكل تجمعا يقابل تجمعات القصور الاخرى ويدير العلاقات مع تلك التجمعات وانتهى هذا النظام الى خمسة اقسام تشكل ورفله واستقر هذا التقسيم منذ العصر التركي الاول وحتى الأن..

لكل قصر او قبيلة شيخ او رئيس يدير شؤونها وعلاقاتها مع القصور الاخرى، والمشيخة او الرئاسة رغم نظام توريثها المعترف به الا ان الملكية والقدرة ظلت العامل الحاسم في اختيار الشيوخ

والرؤساء في ورفلة فغالبا ما يتنازل الشيخ ان افلس وعجز لمن يستطيع من المتربصين بالزعامة..

يتشكل مجلس مشائخ للقسم من شيوخ تجمع القصور المنتمية للقسم ليختاروا من بينهم شيخا او رئيسا للقسم والذي سيكون عضوا في مجلس مشائخ ورفله، الذي سيختار شيخ مشائخ ورفلة واللذين كان أشهرهم عبدالنبي بالخير وبن تليس..

الى جانب مشائخ القصور او القبائل كان شيوخ الدين وهم في الغالب ينتمون لعائلات تتوارث التعليم الديني، ويقوم ابناؤها بتدريس القرآن الكريم لأبناء القصر، كما يتولون القيام بتحكيم في المنازعات بكل اشكالها، وكتابة وقراءة عقود البيع والشراء والحكم في صحتها وبطلانها ويرضخ الجميع لأحكامهم ايا كانت..

تصطف القصور او القبائل على هوافيف وادي البلاد، وتحتفظ ورفلة بما يزيد عن الخمسين قرية او قصرا لا يقل عمر احدثها عن القرن من التاريخ...

تبدأ المباني من جوار البئر أسفل الجبل لتتراكم فوق بعضها باتجاه اعلى الجبل ثم

تمتد في ظهاريه مما يجعل لكل قصر منطقة "ظهره"، وتتراتب زمنيا حيث يعلو البناء الاحدث فوق الاقدم، لكأن القرى او القصور ظلت تعلو قليلا قليلا باتجاه السماء، مما يجعل انتصاب قامتها يستغرق عقودا وربما قرونا من الزمن، تبدأ من البئر والماء، لتعلو وتتنشر فروعها في ظهاري الجبال.. تشق المسارب والشوارع الضيقة تلك البيوت، وعند تخطيط الشارع لابد من مراعاة مرور جمل يحمل شبكة تبن براحة تامة اي حوالى الثلاثة الى اربعة امتار وقد ظل هذا التخطيط معمولا به في قصور ورفلة حتى ستينيات القرن العشرين..

تنقسم القصور الى احياء، وغالبا ما يسكن الاحياء اقارب تجمعهم روابط الدم، ليبدو الحي كالبيت الكبير الذي يضم عائلات اللحمة او العائلة الكبيرة المتفرعة، وتتشابه البيوت في قصور ورفلة في هندستها وتخطيطها، فغالبا ما تكون البيوت كبيرة بحيث تسكنها عائلة كبيرة تتكون من الاباء والابناء وحتى الاعمام وابنائهم احيانا وتملك العائلة غرفة ومطبخا من ذلك البيت الكبير، فقد تجد بالبيت الواحد اربعة او خمسة مطابخ الى جانب الغرف..

وسط الحوش وهو فناء البيت، لكل دار او عائلة حصتها من ذلك الفناء وتستخدمه في نصب التنور للخبز وتخزين الحطب..

تأخذ الغرفة في بيوت ورفلة شكل البيت، فهي كبيرة، ويخصص ركنا منها للنوم حيث يفصل بقوس ويحتوي على سدة مبنية من الحجر وتحتها خزانة للملابس والصناديق والاغطية والمفارش ويسدل ستار من اعلى القوس الى تحت يسمى "الكلة" او "الحجبة" ويسدل اثناء النوم..

في الركن الاخر نجد الخزانة والغرفة، والخزانة عبارة عن مخزن صغير يقابل خزنة الملابس بركن النوم وتستخدم لتخزين المواد الغذائية كالشعير والزيت والخضروات القديد..

فوق خزنة المواد الغذائية الغرفة ويؤدي لها درج يصعد من ارضية الدار الى فم او مدخل الغرفة، وابواب الخزنة والغرفة منخفضة وضيقة وتستخدم الغرف في تخزين بذور الحرث لمواسم الحرث ووقد تستخدم لتخزين كميات احتياطية للمواد الغذائية وتخبأ بها الاسلحة..

وسط الدار يفرش بالبسط والحصران ويستخدم كغرفة معيشة.. امام الدار او الغرفة يبنى المطبخ والمطهرة في بعض البيوت..

يشترك رجال البيت في غرفة استقبال كبيرة "المربوعة" وتكون خارج البيت وتقسم الى دكك "جمع دكة" وتفرش بالبسط والحصران ايضا وتأخذ الدكك شكل الكنبات الحديثة ويتوسطها مربع يفرش ايضا ويستخدم للأكل...

المخزن وهو بناء كبير تكثر فيه الاقواس ويستخدم لتخزين محصول القمح والشعير والاعلاف ويجاوره غالبا الاسطبل وغالبا ما يكون مسقوفا ويستخدم لإيواء الخيل والحمير، ويختلف عن المربط وهو فضاء مفتوح يستخدم للابل وللخيول في شهور الصيف..

تبنى البيوت بالحجر والطين وتتولى النساء صيانة الغرف من الداخل فيحضرن الطين بداية كل صيف ويقمن بطلاء غرفهن بالطين ثم تزيينها برشات عشوائية بالجير الابيض، وتزين الغرف بالفخار، حيث تعلق صحون الفخار المتنوعة الالوان والاطباق المزركشة على جدران الغرف...

الدار او الغرفة بالبيت الكبير هي عالم الاسرة الصغيرة الخاص، واستطاعت الهندسة الليبية التي طورها الليبيون عبر تاريخ طويل ان يصلوا بها الى تلبية كل حاجات الاسرة المعيشية واولها الخصوصية والاستقلال، فما ان يقفل بابها المصنوع من جذوع الزيتون حتى تنعزل تماما عن البيت الكبير والاسر الاخرى، وفي نفس الوقت حافظت على الترابط الاسري الواسع فما ان يفتح ذلك الباب حتى تندمج الاسرة الصغيرة في عائلتها الكبيرة..

المخزن والاسطبل والمربوعة تجعل الترابط مظهرا بارزا لاسر ورفلة الكبرى، فالمخزن به علف حيوانات العائلة ومخزونها الغذائي الاستراتيجي من قمح وشعير الذي تتزود منه العائلات بالبيت بما تحتاجه بالتساوي، انه مصرفها المركزي... الاسطبل حيث الخيل والحمير التي تخص العائلة كلها..

المربوعة وهي واجهة العائلة، ومقر ادارة شؤونها وعلاقاتها بالعائلات الاخرى، فهي مكان استقبال الضيوف ومناقشة كل

شؤونها والتخطيط لكل ما يخص ابناءها والمنتسبين لها...

ان تخطيط بيوت ورفلة يأتي استجابة لحاجات العائلات الكبيرة، ولتوفير حالة من الاستقرار والامان لتلك العائلات وايضا للحفاظ على ترابطها وفي نفس الوقت خصوصية واستقلال كل اسرة صغيرة بذلك البيت الكبير....

يشكل المسجد ركنا اخر من مكونات القصر وهو مركز التعبد ودار التعليم بالقصر وغالبا ما تقوم اسر معينة بهذه المهام ويتوارثها ابناؤها، والى جانب تدريس القران وتعاليم الدين، يتولى هؤلاء المعلمون مهنة توثيق عقود الملكية والبيع والشراء وعقود الزواج...

المقبرة ركن اخر من مكونات القصر وغالبا ما تنشأ المقبرة في القصر بجوار ضريح او مزار لصوفي يتبارك به اهل القصر، وقد لا نبالغ ان قلنا ان ورفلة بها ما يزيد عن المائة ضريح لأولياء الله الصالحين كما يسميهم ورفلة، منهم الحاج قايد والصراره وابوراوي "ابن سيدي عبدالسلام الاسمر" وابوراص وغيرهم العشرات.

تبنى الروضات كما يسميها ورفلة لتحمي قبر الولي بالحجر والطين والجبس وغالبا ما تكون صغيرة، وليست مرتفعة السقف، تتوسط سقفها قبة، وتزين من الداخل بالأعلام المتعددة الالوان الزاهية وتضاء بالشموع... تحوي بعض المقابر على روضة الحوريات كما يسميها ورفلة وتدفن بها النساء الصالحات وتزين بالأعلام والسجاد ويعلق فيها عقود المحلب والصخاب وترش فيها الزائرات العطور ويحرقن البخور، فتبدو حقا مكانا تفوح منه روائح الانوثة الحارة مغلفة بالقداسة والتبجيل...

الحوريات في الغالب يتوفين دون زواج، وينتسبن في وجدان الناس هنا لعالم طاهر ونقي ربما يكون التعبير الوحيد الذي يقدمه ورفلة للعذرية وسط ارث يحتفي بالتناسل والخصوبة قبل كل شيء..

معصرة الزيتون ركن اخر من اركان القصر في ورفله، وتكون بأسفل الجبل، تحت القصر وبجوار البئر، وتنحت في الجبل او تحفر تحته، ولا يعلو منها فوق سطح الارض الا مدخلها، وهي مظلمة وزلقة وتتكون من صخرة على شكل كرة ضخمة لها ذراعان من الخشب تربط منهما بحبال على جمل المعصرة او حمارها او العامل بها ان كانت صغيرة الحجم لتدور طاحنة حبوب الزيتون وتمتد تحتها قنوات صغيرة يجري بها الزيت نحو صهاريج صغيرة يعبأ بها، هذا بالنسبة لأصحاب الزيتون الكثير او كبار الملاك، اما بالنسبة لأصحاب الزيتون القليل فغالبا ما تقوم نساؤهم بعملية العصر هذه بالبيوت، حيث توجد في الغالب معاصر صغيرة وبسيطة في كل بيت.. حافظت ورفلة عبر تاريخهم على صناعات وحرف ظلت بسيطة ولم تشهد تغييرا نوعيا منذ اواخر العصر الحجري، وتنوعت تلك الصناعات لتلبي احتياجاتهم في غالبية مناحي الحياة، فكانت صناعة دلاء الماء والحبال والكرات والمحاريث

والفؤوس والخناجر وكذلك ادوات الصيد كالمقلاع والشباك والمناديف وكلها كانت صناعات يقوم بها الرجال لتتولى النساء صناعة الملابس والمنسوجات..

كذلك كانت صناعة الاحذية وسروج الخيل من الصناعات الهامة التي ظلت باقية الى وقت قريب...

لم تشهد ورفلة كغالبية ليبيا النقلة الهامة من مجتمعات الكفاف الى اقتصاد المنافسة في الاسواق، لذا ظلت قصورها قرى كفاف ولم تنمو لتصبح اسواقا، بل تكاد تنعدم التجارة فيها وحتى سبعينات القرن العشرين ربما كان على المرء ان يقطع مسافات بعيدة بحثا عن متجر صغير لشراء احدى حاجياته البسيطة، وقد يمضي من قصر لآخر بحثا عن بقال صغير دون ان يجده، لقد ترك ورفلة التجارة والبقالة لتجار مصراتة بالتحديد وحتى اواخر ستينات القرن العشرين كانت دكاكين سوق ورفلة يملكها تجار من مصراته ونادرا ما تجد تاجرا ورفليا في ورفلة...!! لم يكن بإمكان ورفلة ممارسة الزراعة الدائمة بسبب طبيعة الارض واكتفوا بزراعة اشجار الزيتون وكروم التين والقليل من شجر النخيل، لتظل الزراعة الموسمية التي تعتمد على سقوط الامطار اهم زراعاتهم منذ قرون الميلاد الاولى وحتى الآن وظل القمح والشعير اهم منتوجات ورفلة الى جانب زيت الزيتون وتين الكروم.. الحلفاء وهي نبات اشتهرت به ليبيا وشكل احد اهم صادراتها قبل النفط، وكانت ترهونة ومسلاتة اهم منتج له، عرفه ورفلة فقد كان ينمو ولازال بمرتفعاتها وكانت حلفاء ورفلة ورغم قلة جودتها، مقارنة بحلفاء مرتفعات الجمال الاكثر طراوة وليونة مصدرا هاما لاقتصاد الكفاف في ورفلة، فلقد اعتمدت عليه صناعة الحبال التي كانت من الصناعات الهامة التي تدخل كل مناحي الحياة بورفلة من رشا البئر الى ارجوحة الطفل الى محراث الارض، ربما لا نجد نشاطا لا تستخدم فيه حبال الحلفاء التي كانت تصنع هنا...

ان تتبع مسيرة النشاط الاقتصادي والاجتماعي في ورفله، والذي توثقه المنحوتات والانصاب المتناثرة عبر جبال وشعاب و وديان ورفله، يشير الى توقف هذا النشاط منذ قرون الميلاد الاولى وتسمره حجرا تلخصه اسطورة خسف قرزة عاصمتهم القديمة وتحويل كل الكائنات فيها الى حجر، تلك الاسطورة التي لازال يتناقلها رواة ورفله كتاريخ حقيقي لأسلافهم ولحضارة بناها ونحتها اولئك الاسلاف، فلقد ظلت نفس اساليب وطرق الزراعة ونفس مواد و ادوات انتاج تلك الصناعات دون تغير يذكر حتى سبعينيات القرن العشرين حين دخلت الآلات الزراعية المستوردة واختفت غالبية الصناعات المحلية.

ديكتاتورية الوجع

كتاب الشعر والحنين إليه

معتز محسن - مصر

عند تسلمي لنسخة من كتاب الاستاذ في التاريخ القديم د/ الصديق بودوارة المغربي، ابن البادية الليبية مؤلفه الهام (دكتاتورية الوجع.. قراءات في الشعر الشعبي الليبي) وهو الجزء الأول من مشروعه البحثي لهذا الموضوع الذي يفجر لنا منبعًا هامًا لعله طوق نجاة أمتنا المنكوبة التي تلاحقها المآسي والمؤامرات لما تمتلكه من كنز نفيس ممثلاً في تراثها العريق.

استهل الكاتب بكلمات بديعة أراها وثيقة مصالحة أتت في موعدها وقت التشاحنات الموجودة بالمنطقة عامةً وليبيا خاصة لارتباط المضمون ببيئتها الزاخرة قائلاً بصوت يملؤه الشجن:

الإهداء

(إلى المودة والتسامح والغفران.. ما دامت القلوب متحجرةً إلى هذا الحد)

المستهدف الرئيسي هنا هو المواطن العربي عامةً والليبي خاصةً في ظل التناحرات الغائرة في جسد الأمة الواهن لوهن أبنائها لتفريطهم في كنزهم الثمين الممثل في التراث العريق الذي أراد أن يعيده عبر تذكير هؤلاء اللمخدرون من مؤامرات الداخل والخارج باستعادته من ربق السلب والإخفاء.

من هنا كان وقت ظهور الكتاب المستعيد لسمة من سمات البادية كتيمة مميزة تميزها عن باقي البيئات وهي تيمة (الشجن) التي أطلق عليها الكاتب (ديكتاتورية الوجع)، ولكن، هل للوجع سمة الديكتاتورية؟

إجابة هذا السؤال وردت بتعبيرات منثورة برياحين الشعر عبر قلم الكاتب:

(للحزن قداسته، للحزن تفرده، للحزن هيبته وللحزن طرق فريدة وربما لهذه الأسباب كان الحزن دائمًا سببًا للإبداع البشري وملهمًا لقصائد الشعراء).

كلمات تفتح شهية المتلقي لمعانقة صفحات الموضوع عبر المقدمة البديعة التي كتبها الشاعر "جمعة الفاخري" محببًا للنفوس إرثنا المهجور معيدًا إلينا الأضواء الحقيقية التي رفضناها من أجل بريق زائف تستر وراء التقدمية لكي نهدم أنفسنا بأنفسنا.

لامس الكاتب تلك النقطة بتركيزه على أهمية التراث داعيًا إلى وضع البحث والاستكشاف لهذا العالم المثير والغريب كجسر يجمع بين الماضي والحاضر كي يشعر المرء بوجوده من خلال خيرة الأسلاف لنشوء خيرة الخلفاء، وإلا لانطبق علينا قول الشاعر الداغستاني "رسول حمزاتوف:"

(إذا أطلقت رصاصةً على ماضيك سلط المستقبل عليك مدافعه).

يا لروعة المقطع الذي تماشى مع كلمات د/ بودوارة، وكأنه يصيح بثورية الأديب الممنطقة بيراع الحكمة الحاسمة لأبناء بلده المتناحر كي يلملموا شتاتهم بربط حاضرهم المرير بماضيهم التليد كي يعود البلد الممزق إلى وحدته مجددًا متجاهلين الأجندات المرعبة لاستقرار الأوطان.

تم عرض هذا الحلم بالعودة مجددًا لظلال الهدوء والعمران باسترجاع المصطلحات السائدة في الشعر الشعبي بوجعه المستمر على مدار التاريخ وهي:

اليأس، الغيبة، الفراق، الجراح، الهجر، القهر، الخطأ، الحزن، الخيانة، الخداع، الجفاء، الغدر، اللوعة، الأوجاع، الندم، الكواين، المر، المرار، القسوة، النار.

هذه المصطلحات الشجية تتماسى مع مقدمة الكتاب حول قضية جدلية لا زالت محل خلاف بل زادت من فورانها وسط هبوب رياح الأصولية المستهجنة من براثن القوى الغربية وهي موقف الشرع من الشعر، والذي استفاض في عرضها بمقدمته الزاخرة لكي يضع نقطة فصل حول تلك الجدلية المرهقة لعقول المبدعين وأفئدتهم كي لا يستسلموا لترهيب القوى المستهجنة.

جاء الحسم عبر تفسير أخر ثلاث آيات في سورة الشعراء، والتي حسمت بموقف الرسول الكريم لكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وقت بكائهم وحزنهم على توصيف الشعراء بالغواية وقول ما لا يُفعل وهنا كان الحسم بقول نبي الرحمة عقب نزول أداة الاستثناء (إلا) قائلاً:

إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضحُ النِبَّلْ.

مهد الكاتب لهذه المسألة كي يزيح عوامل اللبس المفروضة علينا من جراء هذا الخلط العجيب تحت ظلال مطاطية الحلال والحرام من فوهات الحناجر المتعصبة التي أعمت العيون والقلوب كي لا تبدع ولا تفكر من أجل غد أفضل.

لمحة ذكية لمن يسعى لإذابة القلوب المتحجرة والعقول المتيبسة في الشروع لعملية الإصلاح والتنوير عبر الموروث الشعبي الذي أرى في اختياره له قمة الذكاء كترياق فعال في إعادة الوحدة الصلبة لليبيا كما كانت في الماضي.

من الماضي تأتي الحكمة، وهذا ما أكده الكاتب في نفحاته التراثية، مما يجعلني أعبر له عن امتناني بريادته عبر القوة الناعمة في توحيد الصف مجددًا من خلال نفحات الأجداد العتيقة الفواحة بتفاصيلها الثرية مما يدفعني لأن أعلن عبر كلماتي المتواضعة بأن د/ بودوارة هو مثابر أدبي في تنقية الموروث الشعبي من شوائب الحروب الضروس في البادية الليبية كحرب البسوس ولكن بنسخة معاصرة في قرننا الحالي.

كان العرب في الجاهلية عند تطاحنهم مع بعضهم البعض في الحروب الدامية، يأتي الدور على الشاعر في مطولاته ومعلقاته بالتأريخ لها ما بين الفخر والمديح والهجاء والغزل مع الخروج بحكمة خالدة تجنب الجميع من تلك التطاحنات البالية كعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد ولبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد وامرؤ القيس.

هؤلاء هم وسائل الإعلام في جبين الأمة كما أكدت سورة الشعراء لهذا المعنى، ومن هنا أراد الكاتب أن يوضح لنا السر في اختيار الشعر الشعبي للحديث عنه في كتاب انتهى من جزءه الأول ويشرع الآن في جزءه الثاني، سائرًا على نهج فطاحل الشعر الجاهلي، مؤكدًا بأنه لازال للشعر دوره الحيوي في إيقاظ، الأمة من أزماتها المستمرة رغم التطورات المتلاحقة لوسائل الإعلام ولكن ينطبق على القصيدة الشعرية وخاصةً الشعبية المثل الإنجليزي القائل:

كل ما هو قديم كالذهب اللامع.

طرح لنا الكاتب قضية تراجع الشعر العمودي وتألق الشعر الشعبي في البيئة الليبية، أي عودة المناخ الزاخر من البيئة الجاهلية لوقتنا المعاصر في البادية كي تبقى الأصالة كالصخر الجلمود رغم تعدد المتغيرات السريعة والفورية في حياة البشر وقدرة البادية على إحتواء الأحداث المعاصرة بسرعتها الفائقة.

نرى بفصول الكتاب من حيث الترتيب كنوعٍ من الإنسيابية المنطقية في طرح القضية على النهج الدرامي والفني في التعرف على الحكاية من جذورها، ليتساءل بسؤال الباحث والمنقب عن سر الأشياء في إنتشارها بين أفراد المجتمع، لماذا الشعر الشعبي هو السائد في ليبيا؟

نرى الحالة التنقيبية تسيطر على مجريات الكلمات لطبيعة الكاتب البحثية في تنميق وتوضيح الأمور حتى نتعلم عند قراءتنا للمواضيع منطقية التحليل والعرض في توضيح مجريات الأمور بإستعراض النواحي التاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي شكلت عبر قرون مديدة ثقافة الفاجعة من رحم الرمال الصفراء

الشاهدة على ملاحم البكاء والدماء في أوقات البحث عن حق تقرير المصير.

كانت الفصول في تشابكاتها وعلاقاتها المنطقية واضحة التلاصق والتجاور في الكشف عن ليبيا عبر العصور منذ بدائية الحياة وحتى العولمة التي وضحت في الفصل الرابع (التشبيه الجديد في الشعر الشعبي.. (عولمة الأبيات)، حيث وجدنا مفاجأة مدهشة تبين لنا رغم بدائية الحياة لكن حكمة الصحراء تلاحق سرعة الأحداث الجارية في إضفاء الثقافة البدوية برؤية الحكمة العتيقة على ما يحدث في عالم السرعة والتطور والتكنولوجيا.

هناك مقطع طريف يقول:

(طويلة.. وطولك كيف حارس غانا

خذ كاسنا وانتي غلاك خذانا)

قال عنه "بودوارة" في كتابه :

(عندما تعثر على هذا البيت منقوشًا على جدار الكهف، بعد ألف سنةٍ من الآن ستعرف أن مواطنًا ليبيًا ضربه الشوق إلى حبيبته ذات يومٍ في مقتلٍ، فباح بسره على جدار الكهف).

تضامنًا مع كلمات الكاتب، أضم صوتي لصوته بأن تلك المقطوعة الشعرية الرائعة تمزج بين روح البداوة ونكهة المدينة أي بين رصانة عنترة وتغزل الأعشى بطريقة عصرية مشبهًا حبيبته في طولها المديد بطول حارس مرمى غانا الذي أضاع على المنتخب الليبي فرصة إحراز اللقب القاري الأول في مشاركة ليبيا الأولى على أرضها سنة 1982 بتصديه لركلة الجزاء التي أبكت الملايين في الأرض الليبية.

إذن لم تخاصم البادية العولمة بل إرتبطت بمعين القريحة الصحراوية أي المزج الحميد بين الأصالة والمعاصرة على قلب رجل واحد.

الشعر الشعبي هنا لازال وثيقة التأريخ لحياة الأمة الليبية في ظل تواجد الوسائل التكنولوجية الحديثة، أي يشبه في قوة تواجده رغم هذه التطورات كوجود الكتاب الورقي وإثبات خلوده رغم تنوع الوسائط الحديثة أي يعانق الخلود الشيء الأصيل برونقه دون تبدل وتحلل في وسط الزخم التكنولوجي الرهيب.

لم ينس الكاتب أن يعرض لنا القصائد العاطفية من المعين الشعبي ليؤكد لنا على أن مكمن الحب الخالد كما هو متعارف عليه في الصحراء منذ الجاهلية وحتى أيامنا الحالية، فمن رياح الصحراء يأتي وحي الحب العذري والغزل المتوهج حسب معين الشاعر في وصف محبوبته لكن ما طغى على الشعر الشعبي الليبي حسب طرح الكتاب قصائد الشجن الملتهب في فراق الحبيبة كما كان في الجاهلية لكثرة التنقل من مكان للآخر .

يتناول الكتاب أسباب عداء أبناء البادية للمدينة لشعورهم بالغربة في الحياة بها، مما انعكس على القصائد التي وصفت مشهد الإقتلاع من الجذور ومنبت الصبا

والمساحة الشاسعة بالرحيل إلى المركزية والمدنية والحضارة والعيش بين جدران مغلقة تمنع التأمل والتفكر في إبداع ما تتطلبه القريحة الشعرية.

يحسب للكاتب بثقافته الواسعة والموسوعية دعوته المتحضرة في ختام الفصل الخامس:

(إننا نكرهها الآن.. وقبل الآن (العداء للمدينة في الشعر الشعبي)، قائلاً :

(وخلاصة الحكاية أن المدينة رائعة أيضًا، وأنها بدورها تملك فضاءها الخاص الممتع، وأنها كالنجع القديم تملك صهوةً يمكن للمرء أن يتربع عليها ليرى الدنيا بأسرها مدهشة ومليئة بالغموض، وأن المدينة التي تضمنا إليها الآن تستحق من الشعر الشعبي أن يعيد النظر في حالة عداء معها ربما قد تكون طالت أكثر مما ينبغي للكراهية أن تطول).

هذه العبارة هي بيان أدبي وسياسي للحمة مجددًا بين أطياف الشعب لعبور الأزمة الحالية حيث كسر جدار الكراهية والعنصرية كي لا يتصدع الوطن لحساب القوى الخارجية وشياطين الداخل.

يختتم الكتاب بسؤال لامع يضع أيدينا على الألم المزمن في جسد الأمة، ألا وهو تجاهل التراث لنراه يصيح صيحة المتأدب المتحضر قائلاً في الفصل السادس والأخير:

كل هذه الثروة من القيم: (لماذا لا ندرس الشعر الشعبي في المدارس؟)

سؤال هام يفتح لعقولنا وعيوننا في المنطقة العربية على تجاهل التراث في مناهج المدارس والجامعات، مما تسبب في هوان المقاومة بالعقل قبل الجسد مما أدى إلى التفتتات الكبرى لتفريطنا في أكسيرنا المصيري الذي يجعلنا نحدد مصيرنا أمام رياح الشر العاتية.

استشهد الكاتب بتدريس اليابان وألمانيا لأدبهما الشعبي كنوع من تحصين النفس الوطنية من براثن العولمة الشرسة كي لا تذوب النفس الوطنية في شباك النفس العالمية وهذا ما وضح بشكل كبير في تلك الشخصيتين بحفاظهما على لغتهما وتراثهما وهويتهما حتى الآن.

ختامًا أرى أن ذلك الكتاب هو وثيقة تصالح مبدئية بين أطياف الشعب الليبي عبر بوصلة اكتشف نفسك بنفسك فإن إستطعنا اكتشاف أنفسنا بصدق عبر فرز مميزاتنا ونعمنا الوفيرة تكون البداية الناضجة والقوية في الإبقاء على النفس والأرض في وقت واحد.

الدور الرسمي وغير الرسمي للقبيلة في ليبيا الانتقالية

-تقييم عام-

آمال سليمان العبيدي

المقدمة:

كان للثورة الليبية التي انطلقت في فبراير عام 2011 خصوصية ميزتها عن بقية التجارب العربية الأخرى خاصة في كل من مصر وتونس، تمثلت هذه الخصوصية في العوامل التي أثرت لاحقاً على طبيعة هذه الثورة ومساراتها المختلفة. ولعل من أبرز هذه العوامل؛ هو التحول الذي شهده مسار الثورة من انتفاضة سلمية إلى ثورة مسلحة، مما جعل إمكانيات التحول الديمقراطي بشكل سلمي خياراً غير متاح. كذلك برز الدور الذي قامت به التدخل الخارجي لدعم وحماية الانتفاضة في ليبيا ممثلة في قراري مجلس الأمن 1970، و1973، من أجل حماية المدنيين الذي أضفى على الثورة بعداً مسلحاً تمثل في الغطاء العسكري الدولي، وذلك من خلال تدخل قوات التحالف الذي ساهم في القضاء على نظام القذافي.

كما يمكن القول بأن طبيعة نظام القذافي الذي تميز بالفردية والانغلاق، أسهم بشكل ممنهج في تدمير البُنى السياسية المختلفة، نتج عنه فراغاً مؤسسياً ودستورياً استمر لأكثر من ثلاثة عقود، وأثر بشكل كبير على طبيعة المرحلة الانتقالية التي تلت حكم القذافي، إضافة إلى تأثيرها على الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وفي هذا السياق، فإنه سيتم التركيز على تأثير المرحلة الانتقالية لليبيا ما بعد القذافي على القبيلة والأوضاع القبلية كأحد أبرز مكونات البناء الاجتماعي فيها، والتي ما زالت تلعب دوراً هاماً على مختلف المستويات الاجتماعية، والسياسية.

أولاً: علاقة القبيلة بالدولة الليبية: إطار تاريخي

تعتبر القبيلة والعائلة من أهم أبرز المؤسسات الاجتماعية في ليبيا، وعلى الرغم من التحديات التي واجهت القبيلة والنظام القبلي بشكل خاص، والتي منها: تزايد الحضور الحكومي في جوانب الحياة المختلفة، خاصة في الرعاية الاجتماعية. والحركة السكانية من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، إلا أن هذه العوامل لا يبدو أنها أثرت على الدور الثقافي للقبيلة، حيث ما تزال تلعب دوراً مهما في تشكيل الهويات، وكذلك تعتبر الارتباطات القبلية أساس للشرعية السياسية عبر مراحل تاريخ الدولة الليبية المعاصرة منذُ تأسيسها في عام 1951، ويبرز تأثيرها واضحاً على حياة وسلوك الأفراد، من خلال دورها في التنشئة وفي غرس المعايير الاجتماعية والثقافية.

وفي إطار توضيح علاقة القبيلة بالدولة في ليبيا المعاصرة، يمكن التركيز على مرحلتين أساسيتين الأولى تمثلت في القبيلة والنظام الملكي خلال الفترة 1951-1969، والمرحلة الثانية تمثلت في القبيلة خلال فترة حكم القذافي منذ عام 1969-وحتى عام 2011. ففي المرحلة الأولى؛ كان للقبائل دور مهم وواضح خلال فترة الحكم الملكي. وتاريخياً برزت الحركة السنوسية، التي كانت أساس الشرعية السياسية للنظام، من مجتمع قائم على القبلية، وكان التطابق والتكافل بين "قبائل السعادي" في إقليم برقة والحركة السنوسية كاملاً. وفي هذا السياق كانت القيادة السياسية في ليبيا الملكية، تركيبة من عناصر دينية وقبلية وأسرية، ومن العناصر البيروقراطية وخريجي الجامعات. ولقد هيمن عليها طيلة العقد الأول وجزء من الثاني، عناصر محافظة ذات خلفيات قبلية وأسرية ودينية، وكان معظمهم يشغلون مراكز قوية قبل إعلان الاستقلال.

أما المرحلة الثانية فهي القبيلة خلال فترة حكم القذافي منذ عام 1969 وحتى عام 2011. وهنا يمكن التركيز على جانبين: الأول تناول نظام القذافي للقبيلة من منظور أيديولوجي، حيث أعتبر النظام القبلي تنظيماً اجتماعياً ضرورياً للفرد كمصدر للقيم الاجتماعية، وكأداة للتعليم والتنشئة وغرس للقيم الاجتماعية. أما الجانب الثاني فهو تركيز النظام على القبيلة من منظور الممارسة العملية، حيث بدأ ذلك منذ عام 1969 وحتى نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، وترجم ذلك من خلال جملة من الخطوات التي اتخذها النظام والتي من أبرزها؛ تفكيك النخبة القديمة والبنية القبلية وبدأ العداء واضحاً في هذه الفترة حيث بذلت جهود للتقليل وإزالة الولاءات القبلية، وذلك بإعادة هيكلة الحدود الإدارية المستندة على الحدود القبلية الفعلية، وعزل جميع المسؤولين المحليين الذين كان معظمهم من شيوخ القبائل أو أقاربهم، وحل محلهم إداريون محليون جدد أصغر سناً وأكثر تعليماً وولاء، وليست لهم روابط مع بنية النخبة القديمة.

وفي مرحلة لاحقة، أصبحت القبيلة جزء من أنشطة النظام السياسي، من خلال الحرص على التعامل مع النظام القبلي واستخدام القبيلة كأداة للتخلص من المعارضة الداخلية و الخارجية، فيما عُرف "بقيام القبائل بحصار الخيانة الاجتماعية". وبذلك أصبحت القبيلة جزءً من المشهد السياسي منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي، وذلك من خلال خلق مؤسسة استثنائية عًرفت "بالقيادات الشعبية الاجتماعية"، حيثُ تم من خلالها إعطاء دوراً سياسياً واضحاً للنخب التقليدية. ولقد غطت هذه المؤسسة كل منطقة اجتماعياً وجغرافياً، وتم من خلالها تطعيم النُخَب التقليدية بنُخب قبلية جديدة لا يخضعون للمعايير القبلية السائدة فيما يمكن أن يُسمى "بالنظام القبلي الجديد". كل تلك الأنشطة سعت إلى عدم تحييد القبيلة، وتحويلها من مؤسسة غير رسمية إلى مؤسسة رسمية وشريك في العملية السياسية.

ولقد اتضح دور هذه المؤسسة الاستثنائية في السنوات الأخيرة من حكم القذافي، حيث تبين أنها المؤسسة التي كادت أن تقوم بعملية نقل السلطة داخل العائلة في إطار مشروع "التوريث"، حين ناشد العقيد القذافي الليبيون في إحدى خطاباته أن "يبحثوا" عن وظيفة رسمية لإبنه سيف الإسلام، وكان ذلك من خلال اقتراح منصب المنسق العام للقيادات الاجتماعية الذي تم النظر اليه في ذلك الوقت بمثابة رئيساً للدولة أو المنصب الذي يماثل رئيس الدولة في دول أخرى.

تم استخدام القبيلة ممثلة في مؤسسة "القيادات الشعبية الاجتماعية" للوساطة بين النظام وبين أسر ضحايا سجن أبو سليم الذين راحوا ضحية القتل الجماعي في 28 و29 يونيو عام 1996. وفي عام 2008 تزايد اللجوء إلى القيادات الشعبية الاجتماعية سواءً لإخطار الأسر بوفيات أقاربها أو لمحاولة التوسط في الصلح. إضافة إلى الدور الذي قامت به من أجل التفاوض مع أسر الضحايا لقبول مبالغ التعويضات، والتي تراوحت ما بين 120 ألف دينار ليبي إلى 200 ألف دينار ليبي. إلا أن كثير من أسر الضحايا لم تقبل بمبدأ التعويض، وكانت من بين مطالبهم الكشف عن مصير هؤلاء الأقارب؛ وتسليم الرفات إلى الأُسر أو الإفصاح عن مكان الدفن؛ واصدار شهادات وفاة سليمة بتواريخ وأماكن الوفاة الصحيحة، وزيادة التعويض ليساوي التعويض المقدم إلى ضحايا لوكيربي.

ثانياً: القبيلة والمرحلة الانتقالية: تقييم للدور والأداء

أثر الصراع الذي بدأ في فبراير عام 2011 بين نظام القذافي ومنظومة ثورة فبراير الذي انتهى بتدخل دولي نتج عنه القضاء على نظام القذافي بمقتله في أكتوبر عام 2011. كل ذلك أسهم في تقسيم المنظومة القبلية خلال هذه المرحلة؛ إلى قبائل موالية للنظام وقبائل غير موالية، حيثُ أعلنت انشقاقها لتنظم إلى الثورة.

وفي هذا السياق يلاحظ أن معظم قبائل إقليم برقة قامت بدعم الثورة منذ الأيام الأولى، خاصة بعد انشقاق كثير من عناصر نظام القذافي الذين ينتمون إليها وانضمامهم للثورة، خاصة بعض القيادات العسكرية، وبعض الوزراء والمسؤولين الذين تعود أصولهم إلى ما عرف خلال فترة القذافي "بالمنطقة الشرقية". أما في إقليم طرابلس فقد برزت انقسامات حادة بين قبائل ومدن كانت موالية لنظام القذافي وانخرط كثير من أفرادها في القتال مع النظام، وأخرى دعمت الثورة وأسهمت في القتال ضد النظام. تلك الانقسامات الأولى ساعدت على تأجيج حدة التوتر بين بعض المناطق والمدن والقبائل، نتج عنها ترتيبات مرحلة ما بعد الثورة، من خلال تهجير سكان مدينة تاورغاء في عقوبة جماعية أخليت على غرارها المدينة من كل قاطنيها ونزوحهم في مناطق مختلفة في ليبيا، كذلك أُستخدِمَ المؤتمر الوطني العام لإصدار قرار رقم 7 لسنة 2012 بالهجوم على مدينة بن وليد منطقة قبائل ورفلة التي اتهمت بموالاتها لنظام القذافي. ولا يختلف الحال أيضاً في إقليم فزان، حيثُ ازدادت حدة الصراعات القبلية اتي ارتكز معظمها على نزاعات تاريخية تم إعادتها مما أسهمت في غياب الاستقرار خاصةً مع غياب مؤسسات الدولة كالجيش والشرطة التي يمكنها أن تُسهم في تأمين الحدود، وتحقيق الأمن والاستقرار.

ولقد ظهرت الصراعات بشكل واضح بين مختلف قبائل ومدن ليبيا بعد عام 2014، ومن أبرزها الصراع بين مدينتي بنغازي ومصراتة، حيثُ برزت تلك الخلافات بعد انطلاق عملية الكرامة التي يقودها الجيش الوطني في مدينة بنغازي، وعملية فجر ليبيا التي قادتها كتائب موالية لمدينة مصراتة وطرابلس. أما مدينة سرت، مسقط رأس العقيد القذافي وهي المدينة التي يقطنها بشكل رئيس أفراد قبيلة القذاذفة، تم تهميشها بعد سقوط نظام القذافي. وقد عانى معظم أهلها من هذه العزلة المفروضة عليهم، ونتيجة لذلك فقد انضم كثير من شباب هذه المدينة إلى داعش التي سيطرت على المدينة في عام 2015، قبل هزيمتها في عام 2017.

وعلى الرغم من صعوبة رصد الدور الذي تقوم به القبيلة خلال المرحلة الانتقالية بفتراتها المختلفة، إلا أنه يمكن إبراز بعض الأنشطة الإيجابية لها فعلى سبيل المثال، قامت بدور مهم في محاولات فض النزاعات بين مناطق مختلفة خاصة في المراحل الأولى لثورة فبراير، وذلك من خلال تبني ملف المصالحة الوطنية في محاولات متعددة رغم فشل بعضها، منها عمليات الوساطة بين مصراتة وتاورغا، ومصراتة وبن وليد، إضافة إلى مناطق أخرى.

كما أسهمت القبيلة في تعزيز وحدة الهدف من خلال ضبط النفس الذي تحلت به قبيلة" اللواء عبدالفتاح يونس العبيدي"رئيس أركان ما عُرف بجيش التحرير، الذي أغتيل ورفيقيه من الضباط في يوليو 2011 على يد جماعات متشددة،

وتأكيد هذه القبيلة على ضرورة اللجوء للقضاء رغم معرفتهم بمرتكبي هذه الجريمة. حيثُ اتضح هذا الموقف فيما عرف بوثيقة العبيدات بخصوص اغتيال رئيس أركان الجيش الوطني ورفيقيه في عام 2011، حيثُ اعتبرت هذه الوثيقة في تلك الفترة نموذجاً لضبط النفس، والانحياز لدولة القانون، وعدم استيفاء الحق بالذات، حيثُ أقرت الوثيقة أهمية مؤسسات الدولة، بما فيها النظام القضائي وتحقيق العدالة من خلال الإجراءات القضائية.

وشهدت هذه الفترة ظهور بعض المؤسسات التي اعتمدت على التكوينات القبلية منذ بداية ثورة فبراير، منها مجالس الحكماء والشورى، ومجالس الأعيان والحكماء، إضافة إلى المجالس المختلفة على مستوى كل منطقة، منها على سبيل المثال لا الحصر، "المجلس الاجتماعي لقبيلة ورفلة" و"المجلس الاجتماعي لقبائل ورشفانة"، و"مجلس أعيان تاورغاء".

ومن خلال التركيز على بنية هذه المؤسسات، تبدو أنها موازية للبنية القبلية التقليدية من ناحية، وتخضع لأسس تكوين مؤسسات المجتمع المدني من ناحية أخرى، رغم تناقض ذلك مع أدبيات المجتمع المدني المتعارف عليها، والتي لا تضع المؤسسات القرابية كجزء من مكوناتها، حيث يتم تسجيل إجراءات الإشهار والإذن بالعمل في وزارة الثقافة والمجتمع المدني. وفي هذا السياق تسعى هذه المؤسسات للقيام بدور اجتماعي يتعلق بمحاولات فض النزاعات، وعمليات المصالحة، على الرغم من صعوبة هذه العمليات نتيجة لتردي الأوضاع الأمنية، وتعدد القوى المسلحة على الأرض التي اختلفت أيديولوجياتها ومصالحها، إضافة إلى تنوع أدوات السيطرة بالنسبة لها. كذلك يمكن رصد دورها الذي تقوم به أحياناً في مسألة الوساطة لتبادل الأسرى والمختطفين في إطار التسويات السلمية بين المناطق والمدن والقبائل المختلفة.

ثالثاً: التحديات التي تواجه القبيلة خلال المرحلة الانتقالية

على الرغم من الدور الذي تقوم به القبيلة من الناحية الاجتماعية، إلا أن الأوضاع الراهنة للمرحلة الانتقالية في ليبيا أثرت على هذا الدور خاصة ما يتعلق بمسائل الحوار المجتمعي والجوانب المتعلقة بالمصالحة، ناهيك عن بروز "مسألة عسكرة" القبيلة، حيث شهدت هذه المرحلة تعدد المليشيات المسلحة التي تأسست بعد الثورة، كمؤسسة موازية للجيش وللمؤسسة الأمنية، حيثُ تشكل بعضها على أساس قبلي وجهوي ومناطقي. كما يمكن رصد تأثر القبيلة بالتجاذبات الأيديولوجية والسياسية، حيث برزت قبائل مؤيدة لفكرة الفيدرالية، إضافة إلى قبائل أخرى مؤيدة لبعض التيارات الدينية منها السلفية، وكذلك اصبحت القبيلة تمثل جزء من الانقسامات الحادة خاصة

بعد عام 2014، وبدء الحرب الأهلية التي انطلقت في مناطق مختلفة من ليبيا.

وفي هذا الإطار؛ فإن طبيعة المرحلة الانتقالية وما اكتنفها من صراعات، خاصة بعد ظهور عمليتي الكرامة وفجر ليبيا، أسهم ذلك في خلق حالة من الانقسام الحاد على المستوى الاجتماعي وعلى المستوى القبلي، حيث برزت ظاهرة التأييد لكل من العمليتين من خلال بعض القبائل والمناطق، ناهيك عن تدخل القبيلة في العملية السياسية باعتبارها مصدر للتجنيد للمناصب السياسية وللمحاصصة المناطقية والجهوية.

وفي هذا السياق، يمكن ذكر بعض التحديات التي تواجه القبيلة كمؤسسة اجتماعية، والتي قد تؤثرعلى مستقبل القبيلة والقبلية في ليبيا ومنها ما يلي:-

أولاً: اختراق النسيج القبلي والاجتماعي من قبل بعض التنظيمات المتطرفة، خاصة تنظيم الدولة الإسلامية في مناطق مختلفة، وذلك باستهداف الشباب وتجنيدهم مما سبب في حالة انقسام حاد بين أعضاء القبيلة الواحدة. كما يمكن رصد ظاهرة رفع الغطاء الاجتماعي من قبل بعض القبائل عن أفرادها المتورطين في هذه التنظيمات من ناحية أخرى.

ثانياً: دخول القبيلة في التجاذبات والصراعات السياسية التي برزت في ليبيا منذُ عام 2011، مما نتج عنه غياب حياد القبيلة وانحسار دورها الاجتماعي في بعض المناطق.

ثالثاً: نتيجة لغياب الأمن وسوء الأوضاع الأمنية، استخدم بعض شيوخ وأفراد القبائل من خلال عمليات اختطافهم للضغط على قبائلهم ومناطقهم من أجل الحصول على مكاسب مادية، أو مكاسب سياسية.

رابعاً: تحول بعض القبائل إلى مليشيات مسلحة، مما أسهم في تعطيل بناء مؤسسات الدولة كالجيش والشرطة.

خامساً: استباحة ممتلكات الدولة من قبل بعض القبائل، سواء كانت أراضي أو مباني ومرافق عامة بحجة أنها ملكية قبلية وينبغي أن تعود إلى مالكيها.

سادساً: تحول القبيلة نتيجة لغياب المؤسسة القضائية، وعدم الالتزام بمبدأ" سيادة القانون"، وسهولة اللجوء إلى الحلول السريعة للمشاكل التي يفرضها "العُرف القبلي" إلى مصدر تهديد للمنظومة القانونية في ليبيا. ففي هذا السياق تؤكد نتائج استطلاع أراء الليبيين حول الحوار الوطني (2015)، إلى أن القبيلة والعائلة هي من المؤسسات التي يلجأ إليها الفرد عندما يواجه مشكلة اجتماعية، في حين تراجع اللجوء إلى الشرطة وهي من المؤسسات الرسمية للدولة.

سابعاً: اصبحت القبيلة تشكل مصدراً من مصادر" الهوية المحلية" التي تتصارع مع

الهوية الوطنية، وتأكد ذلك من خلال نتائج المسح العالمي للقيم(2014). حيثُ أن ما يتعلق بالهوية الوطنية فقد أكد 57.3% من مبحوثين استطلاع أراء الليبيين حول الحوار الوطني، أن التعدد القبلي من العناصر ذات التأثير الإيجابي في توحيد الليبيين.

وعلى الرغم من التحديات التي تواجه القبيلة كمؤسسة اجتماعية في ليبيا، إلا أنها ما تزال أحد أهم عناصر الثقافة السياسية في ليبيا المعاصرة، إضافةً إلى أنها أحد أبرز مصادر الهوية فيها. كما أنه لا يمكن تجاهل دورها في المصالحات المحلية المختلفة منذُ عام 2011. وعليه، قد يكون لها دوراً مهماً كأحد أدوات السلم الاجتماعي. القبيلة هي إرث تاريخي، لها دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وستضعف شوكتها ببناء دولة قوية بمؤسساتها المختلفة، وستضعف الولاءات القبلية بتعزيز قيم المواطنة وسيادة القانون.

آمال العبيدي، أستاذ العلوم السياسية بقسم العلوم السياسية، بكلية الاقتصاد، بجامعة بنغازي، وأستاذ زائر بجامعة بايرويث بألمانيا، من مؤلفاتها باللغة الانحليزية: الثقافة السياسية في ليبيا، والنخب السياسية في ليبيا، والسياسات الأمنية في ليبيا، والمصالحات المحلية منذ عام 2011. عضو مؤسس لمنتدى الخبراء الليبيين. تشغلها قضايا السياسات العامة، قضايا النوع الاجتماعي، قضايا الهجرة والامن، وقضايا تسوية الصراعات.

المصادر

1. آمال العبيدي، "الهوية في ليبيا: توجهات الولاء والانتماء" في المسح العالمي للقيم: المسح الشامل لأراء الليبيين في القيم-التقرير النهائي، (بنغازي: مركز البحوث والاستشارات بجامعة بنغازي، 2015).

2. تقرير استطلاع لأراء الليبيين حول الحوار الوطني، التقرير النهائي، (بنغازي: مركز البحوث والاستشارات بجامعة بنغازي، 2015).

3. آمال العبيدي، المصالحة المحلية في ليبيا: دراسة استكشافية لعمليات وآليات المصالحة التقليدية منذ عام 2011، الصندوق الإنمائي للأمم المتحدة، 2018.

4. آمال العبيدي، المصالحات المحلية: تقييم عام، المفكرة القانونية، 17. 4. 2019، http://www.legal-agenda.com/article.php?id=5480

5. Dirk J. Vandewalle, (ed), Libya since 1969: Qadhafi's Revolution's Revisited, (New York: Palgrave Macmillan, 2008).

6. Amal Obeidi, Political Culture in Libya, (Surrey: Curzon Press, 2001).

7. Omar El Fathaly e al, Political Development and Bureaucracy in Libya, (Massachusetts: Lexington Books, 1977).

8. World Values Survey 2014.
http://www.worldvaluessurvey.org/WVSOnline.jsp

الترجيب

أغاني ترقيص الأطفال في الموروث الشّعبي الليبي – الجزء الثاني

نعيمة القطعاني

الغناء للأطفال عند الشعوب الأخرى

الطفولة هي الطفولة، والأمومة هي الأمومة في كل زمان ومكان، ولقد رأينا اهتمام العرب والمسلمين بالطفولة والغناء لها، هذا الاهتمام الذي نراه موجوداً لدى جميع الشعوب الأخرى.

فالأم الإنجليزية هي ذاتها الأم العربية أو الليبية التي تحنُّ على ولدها وتحاول قدر الإمكان إسكاته وتهدئته وبثه المحبة والسكينة والسلام عن طريق ما تردده من كلمات أو ما تقوم به من هدهدة وربت، في كلمات وأفعال لصيقة الشبه بما تقوم به الأم في أي بقعة من العالم، وفي أي مرحلة تاريخية قديمة أم حديثة، فها هي الأم الإنجليزية تُهدهد ولدها قائلة:

نمْ يا ولدي

نمْ بهدوء

أمك تحرسك وتصلي لك

فلتهبط عليك الملائكة

ولتحمل إليك على أجنحتها

المشعّة أحلاماً جميلة مزهوة

نم يا حبيبي نم بسلام

نم يا ولدي نم بهدوء

ربُّ السماء يعتني بك

في مهدك الوثير

نم بهدوء نم بسلام

وعندما تنام سوف يحرسك

نم نم بسلام (40)

ومما تُغنيه الأمهات الأميركيات لأولادهن هذه الأغنية، وفيها تطلب الأم من ولدها أن يضع رأسه على صدرها ويستسلم للنوم قائلة:

نم يا حبيبي نم

نم واسترح فالطيور نائمة في أعشاشها

والحقل والبستان هادئان

والنحل لم يعدّ يحوم حول الورد

وها شعاع القمر يتسلل من النافذة

أصغِّ، فما من صوت هناك

ولاشيء يتحرك في البيت

الفئران الصغيرة بعيدة

ضع رأسك على صدري

نم ياطفلي واسترح نمْ (41)

ويُغني الأخ الفرنسي لأخيه وهو يحثه على أن يذهب إلى النوم فيقول:

إذهب إلى النوم يا أخي الطفل

نمْ يا بيارو العزيز

أمي تصنع الكعك

وتقرص العجين

وبيارو يذهب لينام

نم نم يا أخي العزيز

نمْ يا صغيري بيارو (42)

وفي ألمانيا يُغني الألمان لأبنائهم هذه الأغنية:

نمْ يا طفلي نمْ

أبوكَ يرعى الغنم

وأمُّكَ تَهزُّ شجرة الحلم

فلتتساقط عليك منّها أحلى الأحلام

نمْ يا طفلي نمْ

وهذه المعاني نفسها تتردد في أغنيات الأمهات العربيات لأبنائهن :

ففي لبنان تُنيم الأمُّ طفلها على الغناء، تَهزُّ له السرير وتُغنِّي:

نمْ نمْ نمْ يا زغيّر نام

نيمتوا ما كان ينام

نام الله يا عيني

ابني يا عنب زيني

يلاّ يلاّ يا دايم

تحفظ عبدك النايم

تحفظ عبدك واتجيرو

واتخليه نايم بسريرو (43)

وفي العراق تغني الأمُّ لطفلها:

تنام وأنا أهدي لك

والعافية من اللة تجي لك

يا طيور ويا حمام

دعو حمودي تينام

ينام بالسلامة بحفظ وتنعش إمام

أمّا في مصر فتُغنّي الأم لطفلها:

خذ البزة واسكت

خذ البزة ونام

أمك السيدة

وأبوك الإمام (44)

وفي سوريا تغني الأم:

نام يا ابني نام

لادبح لك طير الحمام

يا حمام لا تصدق

عم كذّب على ابني تينام (45)

والجدير بالذكر أن هذه الأغنية نفسها تتردد في مصر والأردن ولبنان مع إختلاف قليل في الصياغة، ففي الأردن مثلاً تُصبح:

نام يا ابني نام

لادبح لك طير الحمام

يا حمامي لا تخافي

بضحك على ابني تينام (46)

وفي تونس، يسمون هذا النوع من الغناء ب(التبنين)، ومنه:

ننّي ننّي جالك النوم

أمك قمرة وبوك نجوم

ننّي ننّي ننّي

يجعل نومك متهني

يا عوينة السردوك

جي بالنوم يرحم بوك

جي بالنوم واجري بيه

لعزيزي يننّي بيه (47)

وهي أغنية قريبة الشكل والمضمون من الأمهودة الليبية التي تقول كلماتها:

هَوْ هَوْ هَوْ

يا نوّام الخجلة

جيب النَّوم بالعجلة

هو هو بالسردوك

جيب النَّوم وأرحم بوك

وفي فلسطين تعني الأم الفلسطينية لطفلها ذات المعاني فتقول:

نني يا عين محمد يا عين الحمام

محمد بدّو ينام ع ريش النعام (48)

وهكذا فإن الغناء للطفل موجود في كل الحضارات وعلى مرِّ الأزمنة، وهو غناء قريب في شكله ومضمونه والغرض منه، وهو شكل من أشكال اتحاد الإنسانية في أي مكان أو أي زمان، وقربها وتقاربها في العادات والسلوك.

أهمية أغاني الترجيب

إن الغناء للأطفال هو أكثر أشكال الأغاني الفولكلورية قابلية للعيش والبقاء طويلاً، وهو مما لا غني للشعوب عنه سواء أكانت تعيش المراحل القريبة من البدائية أو قد وصلت إلى قمة التطور الحضاري في عصرنا الحديث، فالطفولة هي الطفولة، والأمومة هي الأمومة في كُلِّ مكان وزمان، وأغاني الشَّعوب للأطفال ستظلُّ ما ظلَّ الأطفال، وما ظلَّتْ أصوات الأمهات تتصدى لإسكاتهم (49).

إنَّ كلُّ أغنية من أغاني (الترجيب) الليبية لابد وأن تعكس صورة تكاد تكون واضحة لتكوين ثلاثة عناصر مهمة، وهي:

- الأمُّ
- الطفل
- المجتمع

إننا نستطيع من خلال قراءة الأغنية قراءة متأنّية عميقة أنْ نرسم لوحة واضحة للطفل الليبي: صفاته وتنشئته وحتَّى تغذيته وطريقة إعداده للمستقبل.

أمَّا الأمُّ فإنَّنا نكاد نراها بوضوح، فهي من خلال هذه الأغاني إنَّما تعبر بطريقة ما عن آمالها وطموحاتها، عن تكوينها الدِّيني والنفسي ووضعها الاجتماعي، حتَّى أنَّنا في بعض الأغاني نشعر بخيبة ألمتْ بها أو حزن أو غضب عصفا بها فشحنته في بعض تلك الأغاني حائزة بذلك على ارتياح نفسي مؤقت يساعدها على مواجهة الحياة والاستمرار فيها.

كذلك فإن هذه الأغاني تعطينا صورة عن المجتمع الليبي، تكويناته وعاداته وتقاليده ونظرته إلى المرأة والطفل، فنرسم صورة تكاد تكون واضحة للبيئة الليبية بكلِّ مكوناتها وأطيافها، ونقرأ المجتمع الليبي بكلِّ عادته وتقاليده وتاريخه وطريقة تفكيره.

إنَّ (الترجيب) هو نصَّ كلامي يضاف إليه لحن إيقاعي بالاشتراك مع حركات بدنية يمارسها الطفل أثناء ترقيصه، فأغاني الأطفال ترتبط بحركات وبجرس ونبرات الكلام وتساعد الأطفال على تنمية إبداعاتهم وابتكاراتهم، كذلك تساهم في تنمية خيال الطفل وذاكرته (50)، ومما لاشكَّ فيه أن التواصل بين الطفل وأمَّه والمحيطين به يجعله يحسُّ بالأمان والطمأنينة، ويكون منطلقاً لشعوره المستقبلي بالاستقرار، ولعلَّ من أهم طرق التواصل بين الأمِّ وصغيرها هو الغناء له وترقيصه وتلعيبه والحديث إليه، ولقد أكدت الدراسات الحديثة أهمية التواصل بين الأم وطفلها، هذا التواصل الذي اتفقنا على أن (الترجيب) أحد وسائله.

وإذا أردنا أن نفلسف عملية (الترجيب) ونفسرها ونبين أثرها على كلا الطرفين المشتركين فيها (الأم والطفل) وذلك على أساس علمي حديث، يمكن أن نقول: إن عملية (الترجيب) تعني للطرفين تواصلاً ولعباً من جهة، وتعبيراً عن مشاعر نفسية من جهة أخرى، وسنحاول أن نلخص الأثر النفسي والجسدي والاجتماعي لهذه المعاني في كلا الطرفين (الأم والطفل)، ثم سنعرج على بيان أثر أغاني الترجيب في المجتمع:

أولاً: أهمية أغاني الترجيب للطفل

للترجيب (كعملية تواصل بين الأم والطفل) أهمية بالغة في التكوين العضوي والنفسي والاجتماعي للطفل، وهو يساهم مساهمة فعالة، حركةً وصوتاً ومحتواً في تكوين الطفل عن طريق الآتي:

1- بناء شخصية الطفل، يولد الطفل كائناً ضعيفاً ناقص التكوين، لم تنضج قواه البدنية، ولا استكمل كيانه النفسي، ولم تتفتح استعداداته العقلية ؛ لكنه إنسان له حياته العقلية والوجدانية، ولديه قابلية للتأثر بالبيئة المحيطة به، والآثار الأولى لهذه البيئة – رغم بساطتها في نظر الكبار – تكيف سلوكه، وتوجه تطوره، وتحدد معالم شخصيته، ومادام الطفل يشعر بأنه موضع حبٍّ من أمه، وحنانها وسرورها، فسيشعر بالأمان والاستقرار داخل أسرته، ثم في المجتمع الكبير فيما بعد، فالعلاقة الوثيقة بين الأم والطفل والرابطة الوجدانية بينهما خير ضمان لسلامة النفس والبدن ولاستمرار النضج العضوي والنمو العقلي والوجداني في هدوء وتؤدة، وهذه العلاقة الوجدانية هي العامل الحاسم في بناء شخصيته ، وفي المقابل فإن الطفل المحروم من الحنان، أو الطفل المهجور المُهمل نهب للقلق العصبي الذي يهدم الشعور بالأمان والاستقرار، وما دام لم يجد هذا الأمان والاستقرار في جو الأسرة فهو يحاول أن يجدهما لنفسه في المجتمع، ولكن عن طريق العدوان محتسباً نفسه قوي الشخصية مرهوب الجانب، وهذا السلوك المنحرف يزيد بالضرورة القلق العصبي ويقتل الشعور بالأمان والاستقرار، وهكذا يدور الشخص الذي حُرم من الحنو وهو طفل في حلقة مفرغة من القلق والعدوان والجريمة، وقد يتملكه الشعور بالندم وتأنيب الضمير في لحظة فينطوي على نفسه أو يحاول تعذيبها (51)، وتستطيع أغاني ترقيص الأطفال أن تكون الواصلة التي يتلقى الطفل من خلالها الحب والحنان، وبالتالي الشعور بالأمان، هذا الأمان الذي يحسه الطفل في كفيّ أمه اللتين تحوطانه وترقصانه بحركات خفيفة في الهواء ثم تلتقفانه من جديد، هذه الحركة تمنحه الثقة أيضاً بأن هناك من يمد يديه بشغف وحبٍّ ليتلقاه أثناء سقوطه في الهواء ويمنعه من الأذى، فيرسل ضحكاته في الهواء طرباً وسعادة حتَّى أنه – حين تتوقف الأم – قد يطلب المزيد ببكاء أو بحركاتٍ احتجاج أو تحفيز من جسده.

كما يزيد من بهجته بشعور الأمان الذي يغمره صوت الأم المتدفق في أذنيه

بأعذب الألحان وهي تردد له أمانيها عبر كلمات موزونة حفظتها ذاكرتها من الموروث الشعبي أو أبدعتها مخيلتها المشحونة بالصور والمعاني، إضافة إلى احساسه بلفح أنفاسها الذي يغمره بالدفء، ونبضات قلبها الوجل المحب كلما توقفت قليلاً وضمته إلى صدرها.

2- يساعد التواصل بين الأم وطفلها أيضاً على تنمية مهارات خاصة للطفل، من أهمها اللغة، فالإنسان يعتبر من الكائنات الحية القليلة التي تتميز باللاقدرة بعد ولادتها، فبعد الولادة يكون المولود غير قادرٍ على التفكير أو استخدام اللغة أو الاندماج مع الأخرين أو الجري أو المشي، فعندما ينام على ظهره لا يستطيع أن يرفع رأسه، وبالكاد يستطيع رفع أنفه عن الأرضية عندما يكون منبطحاً (52)، معنى ذلك أن الطفل بحاجة إلى الآخرين ليتعلم منهم، خاصة اللغة التي يتلقاها الطفل بشكل عفوي من أمه أولاً، وأغاني (الترجيب) وسيلة مهمة وفعّالة لإحداث التطور المطلوب في اللغة، وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الأطفال الذين لا ينعمون بذلك التواصل مع الأم أو مع الآخرين يعانون من تأخر النمو اللغوي وتظهر لديهم مشكلات في النطق والكلام، بل وتستمر معهم أمداً طويلاً (53).

3- لقد أكدت الدراسات الحديثة أهمية التواصل بين الأم والطفل عن طريق الغناء له والحديث إليه، وأثره الكبير في تفادي المشاكل النفسية للأطفال والمساهمة في علاجها.

إن تواصل الأم مع صغيرها يولد في نفسه – كما ذكرنا - الشعور بالأمان، ويزرع فيها الطمأنينة، و الحاجة إلى الأمن حاجة ملحة يحتاج إليها الطفل من أمه وأبيه معاً ومن كل الكبار حوله ، ويحميه من الأمراض والمشاكل النفسية، على حين أن الاهمال يترتب عليه إصابة الطفل بالأمراض والعقد النفسية كعقدة النقص (54) وعقد أخرى واضطرابات الشخصية منها على سبيل المثال عدم القدرة على التكيف والتواصل مع الآخرين، وبالتالي الفشل في تكوين العلاقات الاجتماعية والصداقات.

إنَّ الطفل يبكي في بعض الأحيان ليس لجوع أو عطش ولا لأي سبب من الأسباب العضوية، إنه يبكي أحياناً فقط من أجل الصحبة لأنه يشعر بالوحدة، ويرغب في أن يكون إلى جانبه أحد ينظر إليه ويتحدث معه ويرسل إليه شحنات من الحب بلمسه وترقيصه، ويُعلمه أنه لا يعيش في هذا العالم لوحده وإنما هناك آخرون هو بأشد الحاجة إلى وجودهم معه، وسيتعلم في مستقبل الأيام كيف سيحافظ على وجودهم إلى جانبه ليحافظ هو على الشعور بالأمان.

إنَّ التواصل بين الأم والطفل من خلال أغاني (الترجيب) يُعلم الطفل تقبل الآخر ويزرع فيه البذور الأولى لأهمية الحوار عن طريق الصوت بالغناء والمناغاة، كما يمنحه شعوراً بحاجة الآخرين إليه كما هو بحاجة الآخرين.

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان قد نشأ أغلبها في مرحلة الطفولة وأن العلاج الذي يجدي أكثر من أي علاج آخر هو بثُّ الحبُّ (55)

تشير الدلائل إلى أن الأطفال الذين تربيهم أمهاتهم في ظروف سوية عادية ينشئون أحسن حالاً من الأطفال الذين ينشئون في مؤسسات لا تقوم التنشئة فيها على العلاقات الشخصية مما يحرمهم من الشعور بدفء الأمومة، ولقد وُجد أن لهذا الحرمان آثار كثيرة منها تكوين ميول مضادة للمجتمع وعدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين، وتأخر النمو العقلي واستمرار ذلك حتى سن المراهقة، إضافةً إلى تأخر النمو الجسمي والحركي، والسلوك العدواني كالضرب وتدمير الممتلكات والغضب والسرقة والكذب، والاتكالية والاعتماد على الكبار، وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي والانفعالي والميل للإنعزال والبرود الانفعالي واستمرار ذلك إلى فترة المراهقة (56)، وقد لا تعني الأمومة وجود أم، فقد تحل الجدة أو الخالة أو العمة أو أي امرأة أخرى محل الأم لسبب من الأسباب، قد يكون موت الأم أو طلاقها أو مرضها غيابها لأي سبب، المهم في الأمر هو وجود العاطفة، عاطفة الأمومة التي يحتاجها الطفل لتكوين فكرته عن العالم، وتكوين الاستعداد لديه لاستقبال هذا العالم وكيفية التعامل معه.

4- إن الترجيب هو لعبة تمارسها الأم مع طفلها، ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أهمية اللعب بالنسبة للطفل خاصة ذلك الذي يتم بين الأم وطفلها، فاللعب مهم في تكوين صورة الطفل عن العالم والحياة من حيث إيجابيتها أو سلبيتها، واكتساب الثقة في الحياة والعالم من عدمها.

إنَّ اللعب وطاقاته التي يمنحها للأطفال تبدأ منذ لحظات الولادة، حيث التفاعلات الأولى بين الأم وطفلها، بمعنى أن جسم الطفل وجسم أمه يشكلان البدايات الأولى للعب، وتشكل لحظات اللمس والهزهزة والتحديق الألعاب الأولى للطفل الرضيع، الذي حين تلاطفه أمه وتربت عليه وتضمّهُ في رقة وحنان، فإنه ينمو لديه ما أسماه المحلل النفسي إريك هـ إريكسون " Erik. H. Erikson الثقة الأساسية (57)، فالهدف الأول أو الإنجاز الأول المهم في هذه المرحلة من حياة الإنسان هو تحقيق سيطرة أو هيمنة الثقة على فقدان الثقة (58)، وإذا نظرنا إلى عملية الترجيب، نجد أنها ببساطتها وعفويتها تحقق هذا الهدف وتؤكد رسوخه.

5- تؤكد الدراسات الحديثة أن للعب والتواصل بين الأم وطفلها في المراحل الأولى من حياة الطفل أهمية كبيرة في إنقاذ الحياة، ويمكن القول أنه من الحقائق الثابتة نسبياً في مجال النمو أن اللعب ضروري كالتنفس والطعام والنوم، وعلى الأمهات والأطفال – منذ أن يولد الأطفال – أن يلعبوا معهم، والدليل المعبر

عن أهمية هذه الحقيقة اكتشف صدفة من خلال برنامج في مستشفى تعليمي يُدار من قبل مجموعة من الباحثين يعملون مع عالم النفس البارز رينيه سبيتز Rene Spitz، حيث قامت هذه المجموعة بدراسة مقارنة على الرُضع وصغار الأطفال في المؤسسات الخاصة بالرعاية ؛ الهدف منها اكتشاف السبب في ارتفاع نسبة الوفيات بين أطفال دور الأيتام بدرجة مأساوية، وكانت العينات تشمل أطفالاً رُضعاً وصغاراً في مؤسستين، الأولى للأيتام، والثانية للأطفال اللقطاء، وهي تتبع سجناً للنساء (أمهات هؤلاء اللقطاء)، وقد أكتشف سبيتز ومجموعته أن الأطفال في دار القطاء ينمون بصورة ثابتة تتناسب مع أعمارهم، وكانوا بصحة جيدة ويتصرفون كما يفعل الأطفال عادة في مثل سنهم، وكانت لديهم شهية للطعام، ويستمتعون بوجودهم مع الناس، وكانوا يتحدثون ويتحركون بنشاط وطاقة وحيوية واضحة، وعند سن الثانية كان هؤلاء الأطفال يركضون مع أترابهم ورفقائهم تملأ ضحكاتهم المكان، وتمكنوا من إطعام أنفسهم وأخيراً كانت لديهم مهارات طفل بلغ من العمر عامين وتربى في منزل في حين كان أقرانهم في دار اللقطاء مختلفين بدرجة محزنة، فقد تدهورت حالاتهم وانخفض متوسط ونسبة نموهم، ومع بلوغهم العامين بدوا كأنهم أطفال في سن عشرة شهور غير قادرين على التحدث أو المشي، بالإضافة إلى الخوف الشديد من الأخرين لدرجة الرعب، وكانوا أكثر عرضة للإصابة الشديدة بالأمراض، وهذا الاختلاف الهائل بين أطفال دار الأيتام ودار اللقطاء مؤداه إلى أن أطفال دار اللقطاء كانت أمهاتهم قريبات منهم (في السجن) ويزرنهم يومياً ويتحدثن إليهم ويلعبن معهم، بينما في دار الأيتام كانت هناك ممرضة واحدة لكل ثمانية أطفال، وهي بالكاد تجد الوقت لإطعامهم واستحمامهم، ولم يكن لديها وقت للعب معهم (59).

6- تنمية القدرة الابتكارية لدى الأطفال:

إن الأسرة هي أهم الوسائط في تنشئة الطفل بما يقدمه الوالدان ويوفرانه من أسباب النمو للقيم الخلقية والوطنية والمدنية والدينية لدى الطفل، فالأم تؤثر بشدَّة في تنمية القدرة الابتكارية لدى الأطفال، لأن الأم الرؤوم ذات الطبع المستقر تولد لدى الطفل شعورا بالأمن والطمأنينة، وعندما تكون العلاقة بين الأم وطفلها خالية من كل قلق، يكون ذلك عوناً لنمو شخصيته (60)، كما أن الطفل الذي تتركه أمه في الحضانة أو مع خادمة طوال اليوم يشعر بالضياع والقلق، لأن التناوب المتكرر لبديلات الأم يفقد الطفل شعوره بالأمن ويغرس في نفسه الشهور بالحيرة والارتباك (61)، على هذا يكون التواصل مع الطفل بالغناء له وهدهدته أهميته الكبرى في الاستقرار النفسي للطفل وبالتالي تنمية قدرته الابتكارية بما تقدمه له الأم – إضافة إلى الاحساس بالأمن – من لغة ومعلومة وقوالب للتقليد والابتكار.

ثانياً: أهمية أغاني الترجيب للأم:

1- الإشباع النفسي للأم عن طريق التواصل مع صغيرها ، إن غريزة الأمومة لدى المرأة هي من أقوى الغرائز لديها وهي تظهر لديها في الطفولة المبكرة حين تحتضن عروستها وتعتني بها، وتكبر معها هذه الغريزة وتكون أقوى من أي غريزة أخرى، فكثير من الفتيات يتزوجن فقط من أجل أن يصبحن أمهات ودائماً لديهن حلم أن يكون لهن طفل أو طفلة يعتنين به، بل أن الكثير من الأصوات النسائية اليوم لتؤكد بأنه لولا هذه الغريزة القوية لعزفت معظم النساء عن الزواج والحمل والولادة، وغريزة الأمومة Maternal Instinctأقوى من الحب الأموي Maternal Loveلأن الغريزة لها جذور بيولوجية (جينية وهرمونية) أما الحب فهو حالة نفسية أقل عمقاً من الغريزة، والمرأة حين تُخير بين أمومتها وبين أي شيء آخر فإنها في حالة كونها سوية – تختار الأمومة بلا تردد (62)

2- الإبداع، تؤكد الدراسات الحديثة أن كلَّ إنسانٍ مبدعٌ في مجال ما، بيد أن ضروب الإبداع تتباين من فرد إلى آخر، كما أن للإبداع شروط منها الأصالة وأن تكون نافعة (63)، وهي شروط نجدها واضحة ومتأصلة فيما أبدعته المرأة الليبية في كل مجالات الأدب الشعبي عموماً، وأغاني ترقيص الأطفال على وجه الخصوص، فالأم أو المرأة على العموم حين تقوم بتأليف هذه الأغاني،إنما تُطلقها من ملكة الشعر التي لديها حين تجيش في نفسها عوامل التوتر والقلق والحب والأمل، وتحتبس في صدرها بواعث التعبير عما يعتمل في بواطن ذاتها، فتلجأ إلى الشعر الذي أبدعت المرأة الليبية فيه في كل فروغه وخاصة في أغاني ترقيص الأطفال.

إن الأم المبدعة حين تؤلف أغنية لطفلها إنما تعبر في حقيقة الأم عن تجربة مرت بها، ونستطيع من قراءة كل أغنية تغنت بها أم لطفلها أن نحسَّ بمشاعر الأم ونظرتها للحياة وآفاقها التي تحدُّ روحها وكيانها.

3- التنفيس الانفعالي، وطرح المشاعر السلبية كالحزن والاكتئاب والخوف والقلق، وبث الفرح والطمأنينة والثقة في المستقبل، ولا يخفى على احد أهمية الغناء في رفع المعنويات وتهدئة الأعصاب المتشنجة، وفتح أبواب للتصالح والتعايش مع الحياة.

ثالثاً: أهمية أغاني الترجيب للمجتمع:

1- تكمن الأهمية الكبرى لأغاني الترجيب بالنسبة للمجتمع في أنها تساهم في تكوين شخصية سليمة للطفل، وبالتالي انتاج فرد سليم نفسياً، ويساهم في بناء مجتمعه.

2- الزخم الذي تمنحه أغاني الترجيب للثقافة الشعبية وللأدب الشعبي، وهي بغناها وروعتها تمنح الإنسان الليبي الغيور على تراثه وثقافته الشعبية إحساساً بالتميز والغنى، وفخراً بأولئك الأمهات اللاتي أبدعن تلك الأغاني، كلماتٍ وألحاناً ومعاني وأغراضا ، كما تملؤه فخراً وشكراً وعرفاناً

لنموذج الأم الصابرة الحنون الواعية المثقفة، والعاقلة أيضاً في معاملاتها مع الحياة، ذلك النموذج الذي قدمته الأم الليبية للأجيال الجديدة عبر أغاني الترجيب.

3- تكمن أهمية أغاني الترجيب بالنسبة للمجتمع أيضاً في تلك الإشارات التي تمنحها أغاني الترجيب عن تاريخ المنطقة، وعاداتها وتقاليديها، وأنماط الحياة فيها، فأغاني الترجيب هي في حقيقتها وثائق مفتوحة للدراسة والفحص والمقارنة والتحليل صالحة لاستنباط صورة عامة عن تاريخ المنطقة التي تُتداول فيها، وهي وإن اختلفت في كلماتها من منطقة إلى أخرى إلا أن مضمونها واحد وإشاراتها عن الحياة والبيئة والتاريخ واضحة وصادقة، من هنا يمكن اعتبار أغاني الترجيب مصدر من مصادر التاريخ الشفهي لمنطقتنا وبلادنا الليبية.

لقد ثبت أن مفردات الموروث الشعبي بمختلف أنماطها وقوالبها وتشكلاتها تمثل مصدراً فريداً لمعرفتنا حياة تطور الإنسان على هذه الأرض، إذ نجد من خلالها من التفاصيل والأبعاد والمضامين الفكرية والفلسفية ما لا يوجد في وثائق التاريخ أو مدوناته المكتوبة حتى أنه يصح القول إن معرفتنا بتاريخ الإنسان على الأرض الليبية سوف يظل ناقصاً نقصاً معيباً ما لم تُعتمد كمادة أولية لها مختلف المأثورات الشعبية فنعكف عليها بالتأمل والدرس والفحص، لنخلص منها بتلك الصورة البديعة والشاملة لما حفظته لنا الذاكرة الجمعية عبر التاريخ (64).

الهوامش:

40- Alpert wire:The book of thaousand songs1920 ,P 442

41- Alpert wire: Ibid., p 442

42- Martha Russell; Sing ,swing , play (Newyork. 1938) P84

43- أنيس فريخة:حضارة في طريق الزوال،(بيروت، 1957م) ص 190

44- أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي،1954م، ص 187.

45- سهام ترجمان: يا مال الشام، (دمشق، 1969م) ص50.

46- هاني العمد: أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية من الأردن (عمان، 1969م) ص 13.

47- الصادق المرزوقي:الأغاني التونسية (تونس،1968م) ص 293

48- أحمد أبو السعد: أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، ص 30.

49- المرجع نفسه، ص46

50- إسماعيل عبد الفتاح، الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2003م، ص81

51- عبد الفتاح مصطفى غنيمة، حاجات الطفل للنفس والبدن، ط2، سلسلة عالم الطفل، رواي للطباعة والإعلان، المنوفية، 1994، ص 9-11

52- بيرتون.ل. وايت، السنوات الثلاث الأولى للحياة، ترجمة: بدر العمر، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1985م، ص 15.

53- عزيزة سمارة، عصام النمر، هشام الحسن، سيكولوجية الطفولة، ط3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999م، ص 74-76.

54- هي التأكيد الصادق بأن الشخص ليس على المستوى المطلوب وبأنه غير كفؤ وبأنه محكوم عليه هكذا، أو بأنه شخص يُهزأ منه أو أنه مجال للسخرية، وينشأ عنها الخوف من الجمهور ومن الجماعة وأشكال أخرى من الكبت..ينظر، روجيه موكيالي: العقد النفسية، ترجمة موريس شريل،منشورات عويدات، باريس، 1988م، ص 100

55-ؤنبيلة عباس الشوربجي، المشكلات النفسية للأطفال، اسبابها – علاجها، دار النهضة العربية، الاسكندرية، 2002م، ص 73- 113.

56- عزيزة سمارة وآخران، سيكولوجية الطفولة، ص 74-76.

57- الثقة الأساسية: مصطلح استخدمه أريكسون ليصف به الحل الناجح الذي يحدث في المرحلة الأولى من مراحل النمو الثمان التي افترضها في نظريته عن النمو النفس إجتماعي، وتستغرق المرحلة الولى العام الأول من عمر الإنسان حيث يشعر الطفل أن عالمه الذي يعيش فيه جدير بالثقة...ينظر جابر عبد الحميد، وعلاء الدين كفافب، معجم النفس والطب النفسي، درا النهضة العربية، القاهرة، 1989م، 2\ 367-368

58- ماريا بيرس، وجنيفيف لاندو، اللعب ونمو الطفل، إعداد عبد الرحمن سيد سليمان، وشيخة يوسف الدربستي، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، 1996م، ص 53

59- المرجع نفسه، ص 55- 59

60- إسماعيل عبد الفتاح، الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، ص 87.

61- محمد سعيد مرسي، فن تربية الأولاد في الإسلام، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة، 1998 م، 1\26

62- محمد عبد الفتاح المهدي، الصحة النفسية للمرأة ، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، 2007م، ص 39

63- عبد العلي الجسماني، سيكولوجية الإبداع في الحياة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1995م، ص 11

64- يونس عمر فنوش، والسنوسي حبيب الهوني، الموروث الشعبي، ص 2

حوار مع الشاعر الغنائي عياد نجم

قريتي هي ذاتي الضائعة خلف أسراب الكلمات الندية

حاوره: عبدالرحمن سلامة

نقف هنا عند محطة الشعر الغنائي، المحطة التي تقف عندها مستمتعاً، ومن الشعراء الذين حظيت بلقائهم الشاعر الكبير "عياد نجم"، أطال الله في عمره، وهو أحد أهم شعراء الأغنية في ليبيا، وأحد أبناء بنغازي، طارت شهرته وذاع صيته عندما وصلت كلماته إلى القلوب حينما تلقفها الملحنون ورددها العشاق، التقيته ودار بيني وبينه هذا الحوار.

الشاعر عياد نجم لاشك أن لكل مبدع بدايات ولكل قرية شاعر فهل ستقص لنا حكاية ميلاد نجم؟

شكراً لك على هذا الحوار وهذا الاهتمام وأنا سعيد أن أصافح أحبابي، وحقيقة صادفني في كتابات الأديب الراحل "الصادق النيهوم" مثل ألماني يقول (ليس من حسن الطالع أن يصبح المرء شاعراً). وأنا بدوري أقول لكم أنه ليس من حسن الطالع أيضا أن تصبح القرية مجرد قرية، لذلك لملمت جراحاتي وطفت عبر المدن البعيدة أبحث عن شاعر لهذه القرية، كنت أبحث عنه في أحزان "عبدالوهاب البياتي" عبر غربته المريرة ومنفاه، طفت أبحث عنه في تأوهات "بدر شاكر السياب"، وفي عشق "نزار قباني" ومناجاة الطبيعة الساحرة في دواوين "طاغور" المتمرد شاعر الهند العظيم، وظللت أبحث عنه في أشعار شعراء الأرض المحتلة، وفي إبداعات أصدقائي الطيبين "محمد الشلطامي"، و"علي الفزاني" رحمهما الله، هاذان الشاعران اللذان تعلمت منهما كيف أحاكي النوارس خلال اصطفاق أجنحتهما منطقة الصابري حيث ولدت، وحيث كانت تلقي بي قدماي الموهنة هناك صباحاً ومساء، مستشعراً لهفة الشوق في البحث الدؤوب عن الذات

الضائعة خلف أسراب الكلمات الطيبة خلال الأعمال القصصية والروائية المحلية والعربية والعالمية على حد سواء وعبر كتب الفلسفة والتاريخ، تعلمت أن أبحث هكذا باحثاً عن الشاعر لقريتي التي كانت إذ ذاك مجرد قرية ليس لها شاعر، فقريتي هى ذاتي الضائعة خلف أسراب الكلمات الندية مثلما قلت لكم سلفاً، حينما أحسست أن الله أحبني إذ القت بي قدماي المتعبة للعمل بالصحراء وبالتحديد في حقل الراقوبة النفطي وهناك ولد شاعر قريتي الرائعة عندما سمعت شاعراً عظيماً يقول: (واللي يقول الصحراء ما تنبتش البذرة، قوله يقرا في التاريخ، وياخذ عبرة، الصحراء تنبت في الأخلاق وفي المبادئ والقيم وخلتنا أمة لها شأن معروفة بين الأمم)، عندها أحسست بوجع الميلاد عندما عدت من دورة تدريبية في مدينة الضباب (لندن)، وبعض عواصم الغرب، و جرابي الذي أحمله على كتفي كانت تفوح منه رائحة باقات الورود المتمثلة في: رحلة نغم، وكذا حط الشاهي ع النار، وبعض الأعمال القصيرة الأخرى مثل: جيتك، لا تجرحيني، لحبيبي وصديقي الراحل "فضل المبروك"، كذلك المركب وأعمال أخرى لأحبتي أيضاً وهم: سليمان الترهوني، وأشرف محفوظ، ورمضان الدرسي شقيق روحي تغمدهم الله برحمته، ثم الفنان "سيف النصر" أطال الله في عمره، كان ذلك قبل أن يلتقي كلانا بالآخر، وكان أول باكورة انتاج لي عندما كنت أحزم أمتعتي عائداً إلى أرض الوطن حيث كتبت أقول:

شد الرحيل.. هى نرحلو

يا قلب يا سواح

خللي الدليل.. ايقودنا

حنيت.. للمرواح

لزويلها.. واديارنا

السيد الرحيل.. واسفارنا

مليت وانت.. اتجرب

يا قلب يا... متغرب

العز الغوالي.. قرب

خوذ الدبارة.. ارتاح

وشد الرحيل.. هى نرحلو

يا قلب... يا سواح

كنت قد بدأت لتوي أحس بالحنين لهذا الوطن العظيم كنت أحس بشوق جامح يغمرني بالدفء لأشتم رائحة (المراح) التي كانت عندي أفضل من أغلى العطور الباريسية على لإطلاق وبلا مبالغة، وبدأت كتاباتي تتوالى وكنت اكتب في نهم انطلاقاً

من شد الرحيل، والوين الرحيل حتى ألقت بي قدماي في مدينة بنغازي بعد أثني عشرة عاماً من الأسفار والغربة والرحيل تلك التي تجسدت فيا جزءً كبيراً من أعمالي الغنائية في محاولة للوصول إلى المراسي فرحاً بولادة الشاعر لقريتي الحالمة أبداً بالدفء والمحبة، كتبت: التوصيفك ملقيت مثيل لـ"يوسف العالم"، أما الفنان "سيف النصر" غني لي العديد من الأعمال أذكر منها: شد الرحيل هيا نرحلو، الوين الرحيل، أغراب، الشمعة، غاليتني، ذلوك، هلي، طويل السالف، غير انشدي، قابلتك في ليل صداف، كيف الحال، عندي أمل، مغرب الله، ريتي كيف، قمر يا قمر، فال خير، مركب رياف. حقيقة قرابة ثمانين عملاً قام بتلحينها وغنائها الفنان المبدع والمتألق دائماً "سيف النصر"، وغنى لي مطربون آخرون أذكر منهم الراحل "أشرف محفوظ": سواحين، غاويك، ذبلنا شوق. وغيرها من الأعمال، كما غنى لي الفنان "ناصف محمود": ميلي، قبل اتفارق، الوطن الخير. والفنان "طارق الزياني" غنى لي شريطاً كاملاً يتألف من ستة أعمال، والفنان "عمر بوشعالة": مازال عندك شوق، وين الشمس علي تغرب. والفنان "عبدالمجيد احقيق" غنى لي مجموعة من لأعمال وهكذا ولد لقريتي شاعر أحبه الشعراء وأحبهم بعمق أكثر لأنه ولد من إبداعاتهم التي لا تموت.

هل في رأيك أن شهرة شاعر الأغنية رهين صوت مميز وملحن رائع كي يطير بكلماته إلى براحات أوسع؟

هذا فيه جانب من الصحة.. لكن تبقى الكلمة الصادقة والمعبرة والأصيلة تصل إلى قلوب الناس بسرعة وأنا كان حظي أوفر عندما تغنى بأعمالي فنانين كبار ك: سيف النصر وسالم بن زابيه واشرف محفوظ ويوسف العالم وناصف محمود وغيرهم لأن هؤلاء المبدعين كانوا ذائعي الصيت، والصدق في الكلمة من الأولويات والأساسيات لوصول الشاعر إلى قلوب الناس فمفرداتك وموازينك وأدواتك هي عامل مهم جداً وكذلك مشروعك الثقافي ويجب أن تكون كلماتك قريبة من الناس ومن نفس البيئة التي ننتمي لها جميعاً.

ما هو سر عشقك للكلمة؟

أنا عندما عشقت الفكر كفكر وكانت لي رغبة أن أحدث الناس ورأيت أن في داخلي إنساناً يبحث عن ذاته وكنت أحبذ الكتابة ولم أجد نفسي في القصيدة الفصحى ولا في القصة القصيرة ولا في الرواية ووجدت أن أقرب طريق للناس وأحاسيسهم هى الأغنية، وأنا ولدت في بنغازي ولكن عشت في بيئة بدوية.

أولاً أنا دخلت المسرح وتعرفت على المذيع "علي احمد سالم" و"عبدالجليل خالد" و"عبدالفتاح الوسيع" واستثمرت هذه اللقاءات لتساهم في تكويني الفني وكان في داخلي فنان ولم يتبلور هذا الفنان إلا بعد أن كونت مكتبة من الأشرطة لكبار الفنانين العرب والليبيين.

كثير ما نستمع من خلال الفضائيات لعدد من الأغاني ذات الكلمات الهابطة هل في نظرك هذا عامل محبط لشعراء الأغنية عندما يرون ذيوع هذه الأغاني وانتشارها؟

بالعكس فأنا كشاعر شعبي مسؤول عن تراثي وعن لوني الشعبي وعن تاريخ بيئتي فنحن مسؤولين عن أغانينا ويفترض أن نعطي الوجه الصحيح والحقيقي للأغنية الليبية حتى تأخذ مكانها وسط الكلمة واللحن العربي ونحن مسؤولين أيضا أن نزيل الغبار عن أي عمل شعبي غنائي في تراثنا ونحن في ليبيا نمتلك ألواناً كثيرة قد لا تتواجد في أي قطر عربي آخر نحن نمتلك الأغنية الساحلية ونمتلك الأغنية الصحراوية والأغنية الجبلية وتراثنا غني بالصور والموازين ونحن نمتلك موازين ما لم يمتلكه أي قطر عربي آخر فالمجرودة ميزان وضمة القشة ميزان والطبيلة ميزان والغناوة ميزان والشتاوة ميزان وهذه كلها مجموعة موازين واستطعنا أن نستثمر هذه الموازين في مجموعة أعمال و يجب أن تكون للأغنية الليبية هوية.

ما هى أقرب قصيدة لقلب عياد نجم؟

كتاباتي هى ترجمة لما بداخلي وبالتالي كل ما قلته هو أقرب لنفسي من أي شئ آخر مع احترامي لما استمعت إليه من أناس آخرين وأنا أحب الفن أعطني فناً أعطيك أذنا، وكل ما كتبته مادام هو مني إذا هو لي.

لو لم يكن عياد نجم شاعراً غنائياً ماذا كان يتمنى؟

أنا لا أتمنى لكنني وجدت نفسي في كتابة القصيدة الفصحى وعندما كتبتها وجدتها تخاطب شريحة مثقفة ولكن عامة الناس كيف أخاطبهم ومن يخاطبهم، ولكن الأغنية وجدتها هى الأقرب والأسهل وصولا إلى الناس فحاولت أن أداعب أحاسيس الناس بكلماتي الغنائية.

هناك سطو على التراث الغنائي الليبي فما هو تعليقك؟

الكلمة ليست حكراً على أحد حتى فيما يتعلق بالتراث فإن التراث العربي واحد وكلمة تراث لا تطلق على شعب دون آخر لماذا؟ لأن اللون الخليجي واللون المغاربي العربي أو اللون الليبي واللون التونسي واللون الجزائري واللون المغربي واللون الموريتاني واللون المصري والعراقي

والسعودي واللون اليمني وغيرها كل هذه الألوان تشكل التراث العربي الواحد، وعندما ننظر إلى الأغنية المصرية أو الجزائرية مثلا نجد أن بعض المفردات غير العربية تتخللها، فما قصدته أن السرقات ربما تطال بعض الإيقاعات الليبية، مثلما اخذ موسيقار الأجيال "محمد عبدالوهاب" لحن والجوبة بعيدة وأضافه لأغنية وغنتها كوكب الشرق "أم كلثوم" فما قصدته نحن لدينا المخزون ولكن مشكلتنا في مؤسساتنا الإعلامية والتي يبدو أنها غير واعية لهذه الأعمال وغير واعية لما يريده المواطن الليبي والمؤسسات الإعلامية مازالت تغط في نوم عميق وليست لها علاقة بالأغنية ولا بالعمل الإبداعي وبالتالي تصبح مسؤولية الأغنية والحفاظ عليها هى مسؤولية المؤسسات الإعلامية الموجودة في بلادنا ويجب أن تكون مسؤولة عن إيصال إبداعاتنا إلى الناس حتى لا تتم سرقته إضافة إلى إزالة الغبار عن كل الأعمال الفنية الليبية من لحن وكلمة وصوت وكذلك التعريف بالأدباء والكتاب والفنانين الليبيين.

هل كتب عياد نجم للطفل؟

نعم كتبت للطفل وكتبت للأم وللأب وللحبيبة وللوطن، كتبت لأخوتي العرب كتبت للإنسان في أقاصي الأرض تحدثت للهنود الحمر وقلت أن حقهم مسروق مثلما سرق حقنا العربي في فلسطين، كتبت عن كل شيء، لأن ليس لأغنيتي مكان ولا زمان محدد، بل في كل زمان وفي كل مكان يجب أن تكون موجودة لأننا ونحن شعب جماهيري لسنا إقليميين نحن نؤمن بانتصار الإنسان، هدفنا هو انتصار الانسان، ليس الانسان الليبي فقط، بل الانسان في كل مكان والذي لابد أن ينتصر لابد أن نكون مسؤولين عن تحريضه للوصول إلى سلطته فمن هنا كان عملي الغنائي مثل طائر يطير عبر فضاءات أكثر اتساعا.

ماذا تشكل المرأة في حياة عياد نجم؟

المرأة هي رمز للحياة، المرأة هي أمي وهى أختي وهى حبيبتي وهى الوطن وهى الحنان والعطف وهى الطمأنينة وهى السكينة.

هناك من يحرص على تسجيل قصائده على أقراص لتكون أكثر رواجاً فما رأيك؟

هناك مثل شعبي يقول: (اللي ينظرك بالعين ما توميلة). أنت إنسان مسؤول وتعرف أنني في حالة إبداع فلماذا لا تحتويني؟ ولماذا لا تأخذني؟ ولماذا لا تضعني على الطريق لكي أوصل إبداعي إلى الناس؟ بينما هناك من يأتي من الخارج ويجد اهتماماً كبيراً جداً عكس الفنان الليبي وهذا حقيقة انكسار للفنان الليبي

ومع ذلك لا يهمني أنا ما يهمني هو الناس وأستطيع بإمكاناتي البسيطة أن أصل إلى قلوبهم، وأنا أقول للمسئول لماذا أنت موجود في هذا المكان؟ أنت موجود لكي تتصل بمن يحس الناس انه مبدع، فأنا لدي ثلاثة وثلاثين ديواناً لم تجد طريقها للنور، نتيجة حسد وحقد وعدم إحساس بالمسؤولية لدى المسؤول فهو لم يطلب مني أن أقدم له دواويني لطباعتها، وللأسف فإن الأنانية وعدم نكران الذات هى من صفات المسؤول عندنا في أي مجال، إن المسؤولين غير قادرين على تفعيل المبدعين لمزيد من الأعمال الإبداعية، والمسؤول تهمه نفسه فقط أو الواسطة والانحياز لفلان ضد فلان، وفي النهاية دواويني استطيع أن انسخها وان أوزعها على الناس لكي أصل بفني لهم ولكن ما يؤسفني هو عندما يأتي احدهم من خارج ليبيا يقام له ويقدم له كل ما لا يصدق، فعصر الظلم والجور والعسف انتهى منذ انبلاج ثورة الفاتح العظيم ولا بد للفنان الليبي أن يأخذ مكانه في ساحات الفن العربي، والأغنية الليبية هى التي ترجمت كل القضايا العربية المطروحة في الساحة فقد عانقت الشعب العراقي في انتكاساته المتكررة ولا توجد أغنية عانقت الشعب الفلسطيني في عذاباته وتمزقه وغربته وتشرده المستمر مثل الأغنية الليبية، الأغنية الليبية هى الوحيدة التي صرخت وتصرخ وستصرخ في وجه الغزاة، فلابد أن يرتقوا بمجال الإبداع الجماهيري وان يجعلوا الناس تبدع وتتألق للوطن وللقيم وللقضايا، لابد أن نكبر، فنحن في ليبيا نملك مخزوناً ثقافياً غير عادي ولابد لهذا المخزون أن يجد طريقه إلى النور.

ما هو رأيك في المهرجانات التي تقام للمبدعين بعد رحيلهم؟

مؤسساتنا الإعلامية ليست لها علاقة بالفنان، فمثلاً الفنان "فضل المبروك" عاش فقيراً ومات فقيراً، لماذا؟ في حين عندما يمرض احد الفنانين العرب أو يتعرض لحادث تقف معه وبكل الجهود، فنانون عرب يغنون فأنا لست ضد أي فنان عربي ولكن الفنان الليبي أولى أن يقدم له الدعم، فبدلاً من أن تدعم أي فنان عربي ادعم الفنان الليبي، وهؤلاء وصلوا إلى الإذاعات الليبية عن طريق بعض المسؤولين، فلابد للفنان الليبي أن يأخذ مكانه الصحيح، ولابد أن يدعم الفنان الليبي، ولماذا الفن في ليبيا أصبح حكراً على أشخاص؟ فنحن في مجتمع جماهيري يرفض الاحتكار، هناك إبداع هناك فن، هناك رؤية جماهيرية، هل ثمة من سئل عن أسرة "فضل المبروك" أو أسرة "سليمان الترهوني" وغيرهم؟ سئلت أبناء "فضل المبروك" هل أتاكم احد من المسؤولين، كذلك أسرة "سليمان

الترهوني" لم يسأل عنهم احد من المسؤولين رغم أنهم الآن رجال وقادرين على أن يخوضوا مسيرتهم ولكن هؤلاء لهم حق علينا ولابد أن نعطيهم حقهم: فضل المبروك وسليمان الترهوني و رمضان الدرسي وأشرف محفوظ وغيرهم لابد أن نعطيهم حقهم ولابد لمسؤولينا عن الفن والأدب أن يسألوا عن الناس وأنا لا أتحدث عن أشخاص ولكن أتحدث عن ظواهر مورست ولا زالت تسيطر على مجتمعاتنا الثقافية فالفنان الليبي أولى بالاهتمام، اذهب لأي قطر عربي آخر لن تجد مثل ما نقدمه نحن للفنان العربي القادم إلينا صحيح نحن عرب وهم أخوتنا لكن المثل يقول (الحرة أول ما اتزرب بيتها) ويجب أن نهتم بالفنان الليبي وان نقول له انطلق.

ما رأيك في البرامج التي تقدم في بعض الفضائيات مثل برنامج أمير الشعراء وكذلك شاعر المليون وغيرها؟

الآن ابحث لي عن مؤسسة تحتوي وتهتم بالمواهب في بلادنا، أين رابطة الفنانين في بلادنا؟ لا توجد لدينا رابطة فنانين، اسم فقط، الروابط أشخاص برج عاجيين قد تمضي أربعة شهور ولا نرى منهم أحدا، يجب أن نخلق جو عاماً وعائلياً اسرياً يجمع الفنانين ولكن إذا الفن أصبح حكراً على ناس آخرين هذه مسألة أخرى وبهذه الطريقة يموت الفن وشبابنا سيغنون بالانجليزي وبلهجات أخرى فنحن مسؤولون، فانا مثلا مسئول عن الأغنية وعن كلماتها باعتباري شاعر ويجب أن تتحرر الأغنية من الاحتكار.

ماذا تمثل لك الصحراء؟

الصحراء هى كل شئ بالنسبة لي لأنني منها انطلق إبداعي وهي تمثل الصفاء والعالم الرحب والبساطة والصفاء وفيها يجد الإنسان ذاته.

هناك من يقول إن عدم وجود من يقيم الغث من السمين أتاحت الفرصة أمام الدخلاء على الفن فماذا تقول؟

صحيح، فالوسط الفني فيه الغث وفيه السمين ونحن نبحث عن الأصالة دائماً، فمثلا رحلة نغم هل ثمة من يرفض رحلة نغم لا يمكن أبدا لان هناك فيه أصالة وفيه إبداع جماهيري يخص الوطن من شرقه وحتى غربه ومن جنوبه وحتى شماله عمل حقيقي يتحدث عن الثورة هذا هو الإبداع الحقيقي.

كلمة أخيرة:

أقول للمبدعين ولكل الذين يحملون أمانة الكلمة أن لا تنكسروا وان تظل طموحاتنا والأمل دائماً موجود أمامنا ونحن اليوم ليس ثمة من يسد علينا طريق الإبداع

وليس ثمة من يرغمنا على الرجوع أو يحبط عزائمنا بالعكس نحن تجاوزنا مجتمع الإبداع والتألق لكي نوصل صوتنا في أرجاء المعمورة لابد أن نحب الإنسان في أغانينا ولا بد أن نبحث عن السلام للعالم في أغانينا ولابد أن نقف بالمرصاد للغزاة والخونة والعملاء ونكشفهم فنحن ثوريون ومؤمنين بقدسية هذا الانتماء، فأي شاعر وأي ملحن وأي مطرب جماهيري ثائر لابد أن يحس هذا الإحساس ولابد أن يخطو خطوات للأمام وان لا ينكسر ولابد أن تنتصر الأغنية لأن بانتصارها تنتصر كل الإبداعات وتنتصر كل رؤانا الرائعة، وأي فنان حقيقي لا يمكن أن ينكسر ولا يمكن أن يتراجع.

الرجل والنورس

حسين نصيب المالكي

تقف وحيداً مع إطلالة الصباح كطائر مهاجر غريب، ببنطالك الأزرق، وقميصك الرمادي، ولحيتك الكثة.

الأمواج تتلاطم من حولك بين مد وجزر، تتمشى على الشاطئ الطويل في تثاقل وإعياء، طيور النورس تحلق في الجو وهي ترتفع وتنخفض، مصدرة أصواتاً حزينة... تحس بالإرهاق... تجلس على صخرة ناتئة في مواجهة البحر... ترنو ببصرك الى ذلك الأفق البعيد، حيث تلتقي السماء الموج في سواد خفي... تشرد بذهنك وتتذكر كيف كنت في أوج شهرتك ومجدك.

الهاتف كان في منزلك لا ينقطع عن الرنين، ما أن ترفع السماعة حتى يهتف بك صوت أنثوي رقيق: لقد اعجبتني قصتك الأخيرة في مجلة الشمس.

وآخر يبادرك بعد دقائق:

-إن مقالك في مجلة الموعد كان جيداً ويعالج قضية هامة.

ما أن تضع السماعة حتى يعاود الهاتف رنينه من جديد... تصغي الى المتحدث:

-استاذي معك صحيفة الفجر الجديد، لا تنس أن ترسل لنا قصة العدد.

أجبته يومها في الغد إن شاء الله.

أشعلت سيجارتك... شرعت تنفث دخانها.. تذكرت كيف دخلت عليك هي في تلك الليلة، وقد سبقها عطرها الفواح، كانت ترتدي فستانها البنفسجي الجميل، وشعرها منسدلاً على كتفيها كأسلاك ذهبية... شرعت تتحسس شعر رأسك بأناملها الناعمة، بادرتك:

-أنت دائماً هنا بعيد عني؟

-أتغارين علي حتى من الكتب؟

-لم لا أغار عليك... ألست زوجي ومن حقي أن يكون لي نصيب فيك؟

-أنا لم أغمطك حقك يا عزيزتي.

ترنو ببصرك الى أحد طيور النورس وهو يرصد تحركات الأسماك بدقة متناهية، ما يلبث أن ينقض على إحداها كالسهم، ما أن ارتفع بها قليلاً حتى سقطت منه في البحر... ترجع بذهنك الى ذلك المشهد الذي لا يكاد يغيب عنك لحظة واحدة كأنه كابوس ثقيل... تتذكر يومها كيف أطفأت محرك سيارتك أمام تلك المدرسة الغارقة في هالة من الصمت، وقد انتصف النهار... نظرت في ساعتك، كنت قد تأخرت كثيراً عن موعدك المحدد... وكل ظنك أنها قد عادت الى البيت مشياً على القدمين... خطوت الى داخل المدرسة، وما أن اقتربت من الإدارة حتى أحسست أن قدميك غير قادرتين على حملك... تسمرت في مكانك والعرق يتفصد منك... كأنك غير مصدق ما يقع أمامك.

ما أن لمحك المدير حتى قفز مهرولاً نحو الخارج.. وانتصبت هي مشدوهة كقطة مذعورة... منكوشة الشعر، وهي تسوي ملابسها على عجل... اقتربت منها وشرر الغضب يتطاير من عينيك... صفعتها على وجهها بعنف..... وصرخت:

- أنت طالق... أنت طالق... طالق.

أنا مجدولين

محمد ساسي العياط

تماماً كأن تخرجَ مُسرعا وتصفعَ الباب خلفكَ بقوةٍ، مُصدرًا ذلك الصوت. تاركاً تلك النظرةَ الحائرة.. على وجوهنا! غيرَ آبهٍ لطريقتي في التنفس، غيرَ مهتمٍ.. على غير عادة.. لضرباتِ قلبي، غيرَ مُكترثٍ للروحِ ها هناك.. خلفك !

كل هذا فقط، لأنك اشتطت غضباً، ولسوف يخمد غضبك، وتتقد مع الريح المنبلجة من مواربة الباب جمرةٌ صغيرة.. في داخلي.

يهمدُ اللون الأحمر.. يشتعل الرأس شيباً، تشيب الجمرة أيضا، تذروها المشاعر، فتصير رماداً لا يقوى على شيء.

يُصِّرُ الباب معلناً غيابك الطويل، تخر الروح المضطرمة.. ينتظم الصوت الصادر من الأنفاس.. ينتظمُ خفيضاً

ها أنا ذي.. أجلس عند المرآة بعينين شاحبتين

أمسكُ بما تبقى من شعرٍ، أُضَفِرُهُ متحسسةً اللون الرمادي؟ ألَا يرتضي الزوال بعد؟ أهكذا كان؟ أهكذا كنت؟

أُطلق شهقةً كئيبة، أُتْبِعُهَا بصوت ارتطام المشط بالمنضدة، أحملُ ما تبقى من جسدٍ من على الكرسي، أسترقُ لنفسي بالمرآةِ ابتسامةً أخيرة.. وأهيمُ بلا هوادة... مرميةً فوق السرير.

ها أنا ذي.. أراكَ من بعيدٍ، حتى في الحلم

كلما نفضتُ الرماد القابع خلف ضلوعي بحثا عن نبضٍ لك، شملني الغبار لأَعْطِسْ، علّ النبض يعود، ولا يعود.

هنالك أشياءٌ جميلة

أشياءٌ تعيث بي فساداً.. تقتحم مخيلتي، تُلهب كبدي، تصهر العقل وما تبقى، وترميني هناك كالمعلقة

وليتني.. أُشنقُ داخل ذاتي، أو تقتلُ تلك الأشياء.

الحب؟

لا ضير في كونه كلمة

لا ضير في الإحساس به

لكن.. أن يسكننا.. ثم يتركنا؟

فتسكننا الأرواح والأشباح !

تتصدعُ الأفئدة !

تلقي بتلابيبها المسجية بالدماء خارجا

كشبح امرأة !!

تجرُ بتلابيبها الآلام.. محاولةً أن تتقي حجارة الأوغاد

أهذا ما يفعله الحب؟

غير كونه يجعلك هشاً

يجعل منك مضغة !

يمضغونك؟؟.. يرمونك؟؟

هه.. لم أعد حتى قادرة على الضحك

تفشى الرماد لحنجرتي

بتُّ أدخن السجائر.. غير آبهة

بتُّ أكره أنفاسي القديمة التي استوقفتك

أضحك في داخلي كلما تذكرت كلماتك

كلماتك المفرحة، تلك التي تضعني حائرةً عند صدرك

شاعريتك؟ سماعكَ نبضي عن بُعدِ أميال؟

روحك !!

روحك؟؟

ما من حسرة في كلامي.. أنظروا لي، لو أمكنني لضحكتْ

عينان شاحبتان، ضفيرةٌ شمطاء، شفتان وسيجارة، ولوحاتٌ كثيرة

لوحات ترسمني أقتص منه

وقصائد كثيرة ..

وأخالني غير آبهة

لقد مرتْ أربعون ليلة.. فإن أنتَ عُدتْ

طعنتك في صدرك

وأعدتُ لقلبي الحياة

وبكيتك.. بكيتك كثيرا

ليتسنى لي إخبار الناس، أن من الحب ما قتل

إنها أنا.. مجدُولين.. لا أحد غيري

الجميلة.. والشمطاء الحاقدة

التي خلفتها خلفك وحيدة

تماماً عندما خرجَت مُسرعا صافعا الباب خلفكَ بقوةٍ

مُصدرًا ذلك الصوت.

حفل طلاق ...

محمد مفتاح الزروق

عدل من وضع الكاب الذي يعتمره، ونفخ في صفارته وهو يرفع يده اليمنى أمام السيارة الصغيرة التي كان قائدها الشاب يحاول الهروب بها من سطوة الزحام أمام المستشفى الكبير. أشار إلى طابور السيارات الطويل القادم من على يسار الشاب المتذمر بالمرور.

أبدى "فتح الله" رجل المرور الطويل النحيف ذو البشرة السمراء المحمرة التفاتة رشيقة باتجاهه وهو يحملق في قسمات وجه الشاب القسيم وسيارته اللامعة الصغيرة عساه يعثر في ملامحه على إمارات غاضبة فينتزع منه كتيب السيارة ويضمه إلى المجموعة التي يقبض عليها بيسراه .

سأله: "مش عاجبك؟ صح؟"!

رد الشاب:

لا.. عاجبني.. لكنني قادم من اتجاه يخلو عادة من السيارات وكنت الوحيد في الشارع. كان بإمكانك أن تجعلني أمر رحمة على والديك.

هتف فتح الله ويمناه تتحرك في إشارة سماح لمرور السيارات: لا.. معناها مش عاجبك..

صمت الشاب. صمته استفز فتح الله. نظر إليه وهو يتوجه إلى السيارات الواقفة عكس وقوفه ويفتح أمامها الطريق بإشارته. تحركت السيارات.

خلف الشاب وقفت سيارتان، ثم ثلاث، فالرابعة. في غضون دقيقة اكتظ الشارع بالسيارات على غير العادة .

أوقف فتح الله مرة أخرى السيل المتدفق من الربع المزدحم بيمناه، وتدفق سيل آخر من السيارات قادما من الاتجاه الذي يقاطعه، وظل الشاب ينتظر وخلفه يتزايد عدد السيارات.

وسمع فتح الله صوتا مباغتا، صوت بوق سيارة قريبا منه. أيكون ذلك الشاب قد تذمر وأبدى استياءه أخيرا؟! اقترب منه وطلب منه أن يسمعه صوت بوقه. "ترا كلكس لنا خل نسمعو ."

رد الشاب قائلا: "حاضر".

وأطلق العنان للبوق حتى غضب فتح الله وصرخ:

"وقف".

ثم أطلق ضحكة طويلة وهو يردد:

"كلكس له يرد لأصله. كلكس له يرد لأصله. من الأول عرفتك مش عاجبك. قول مش عاجبني."

نظر الشاب إلى طابور السيارات خلفه وهتف: لا عاجبني لا أنا لا اللي خلفي."

-ما لكش علاقة باللي خلفك. وعلي الطلاق ماني مخليك تطلع.

شعر فتح الله بسريان ماء بارد على صدره في هذا القيظ وهو يراقب ملامح الشاب كيف تغيرت. إنه يظنه سيطلق زوجته ولهذا سيظل صامتا متزنا حتى لا يخرب بيت شرطي المرور لسبب تافه. تذوق حلاوة العسل في فيه مراقبا الشاب الذي "ربع" يديه وهو يراه يسمح للربع الأخير من دفق السيارات بالمرور .

تعالت أبواق السيارات وازدحم الشارع.. لم يعد بمقدور من في بداية الشارع رؤية من بآخره. إنهم كلهم هنا يشاهدون حفل طلاق فتح الله. ما أتعسهم؟!

هذا الشاب كف عن التذمر واحترم نفسه وبدا كحمل وديع. لماذا؟! إنه يخشى على أسرة فتح الله من الضياع .

وقهقه فتح الله قائلا: أيها الشاب! كم مضى على وقوفك هنا؟ نظر إلى ساعته وأجاب:

ربع ساعة.

رد فتح الله:

يا لك من أحمق. أنت تخاف على أطفالي أكثر مني. أنا لم أتزوج إلى هذه اللحظة. أنا عزب أيها المعتوه.

تقدم الشاب بسيارته فجأة مخترقا الصفوف، ونفذ وقد احمر وجهه من شدة الغضب. وضحك فتح الله وهو يقول: أيوه كده. خلي عندك موقف يا بلبول.

أنا قلت:

لن أدعك تمر. حلفت بالطلاق. مر لوحدك يا بلبول. ليبيا حرة يا أخي. مالك ولطلاقي أو زواجي.

رفع فتح الله قبعته فبرزت صلعته المعروقة.. هرع إلى المنتصف وأشار إلى الجميع بالوقوف.

وعلت محياه ابتسامة رضى وهو يرى كل الصفوف قد بدت كالبنيان المرصوص.

-ليبيا حرة في عينكم. أنا سيدكم في هذا الميدان.

سمع صوت رنين هاتفه النقال. فتح الخط وهو يمسكه بكتفه الأيمن ويشير بيسراه. إنه صوت أخيه:

- فتح الله. تعال إلى المستشفى فورا. أمك في خطر.

-من حسن حظكم أن ليبيا ستعود حرة مجددا.

تركهم محثا السير إلى المستشفى. ما الذي أصاب أمه؟! هل هو خطر حقيقي أم أنها أزمة وتمر؟! وصار لسانه يلهج بالدعاء حتى وصل إلى صالة الإسعاف. وجد شقيقيه وشقيقته وصهره يقفون أمام باب الطوارئ.

قال شقيقه وهو يصفق بيديه: الطبيب أخبرنا أنها ذبحة صدرية. لقد جئت من ذلك الشارع القصير المواجه لباب المستشفى والخالي عادة من السيارات. لا أعلم ما الذي دهاه اليوم. كان مزدحما على غير العادة.

أن تشعل حرباً

مقبولة ارقيق

دخلوا بأحذيتهم الملطخة بالبارود والوحل ذلك البيت الهادئ المخبأ بين الأشجار وسط حديقة ساحرة المنظر بعد أن استطاع منصور اقتحامه وكسر بوابته الموصدة بقوة.. وكأن أهله كانوا حريصين على ألا يدخل إليه أحد المتطفلين بعد أن تركوه خائفين من اقتراب لهيب الحرب اللعينة التي أكلت الأخضر واليابس دون جدوى.

أصوات التكسير وارتطام الاشياء بقوة تلك الجلبة التي أحدثها زملاؤه الدخلاء في المنزل أعادت منصور إلى الواقع بعد أن كان مأخوذاء بجماله وترتيبه وأناقة أثاثه البسيط. دخل إلى المطبخ الذى حوّله رفاقه إلى فوضي عارمة بعد أن قاموا بتفتيش أدراجه والثلاجة ونثروا محتوياته هنا وهناك، لفت نظره أصيص لنبته الصبار مزهرة على أحد رفوف المطبخ و كأنها تقاوم العطش والوحدة والخوف .

خرج من المطبخ على صوت أحد رفاقه يناديه للطعام بعد أن وجدوا بعض علب السلمون والجبن في أحد أرفف المطبخ، رد عليهم بهدوء انه ليس جائعا. وواصل التقدم نحو غرف هذا المنزل الأنيق بألوان طلائه وفرشه الذي ينم عن ذوق ساكنيه.

دخل أول الغرف وجدها تحتوي على سريرين مرتبين وهناك في الزاوية طاولة عليها بعض الكتب المصفوفة بعناية وعلبة تحوي أقلام وألوان وأدوات مدرسية وخزانة ملابس، فتحها ليجد كل شيء فيها مرتب ونظيف أعجب بالغرفة وبالصور التي تشير إلى أن قاطني هذه الغرفة من الجنس الناعم وهن في سن المراهقة يبدو ذلك من صور الفنانين والمشاهير .

ألقى بجسده على السرير وأخرج تنهيدة تعب طويلة وأرخى كل عضلاته عليه. كان صوت زملائه العالي يأتي من بعيد بضوضاء، وضع الوسادة على راسه عله يختفي من كل المشهد ويعود من حيث أتى .

حين كان طالباً في كليته سعيدا بدعاء أمه كل صباح بالفلاح والنجاح ثم يتعطر ويخرج وهو كله طموح وإصرار على تصفية كل المواد التي يدرسها، كل شيء كان يسير كما يحب لا شيء يعكر صفو حياته، إلى أن سمع صوت والده يوماً يشكو قلة المال

وأن الوضع بدأ يتأزم وأنه غير قادر على كل تلك المصاريف والتي تثقل كاهله.

جذب غطاء السرير ليلف به نفسه وكأنه يريد أن يخفيها عن الكل واسترسل شريط ذكرياته، هنا قرر أن يوقف كل شيء.. دراسته.. أحلامه.. طموحه.. وأيضا حب عمره الذي كان يمنحه الشعور بالأمان.

"هدى" زميلته في الدراسة، طالما كان معجباً بها منذ أول يوم له في الكلية، وازداد هذا الإعجاب حينما اقترب منها أكثر وتعرف عليها أكثر وأكثر مع فترة الدراسة، ولم يخفي عنها ذلك كان يحبها حباً ناصعاً بريئا وبادلته هي نفس الإحساس والمشاعر. وخططا هما الاثنان لمستقبلهما معاً بعد إتمام الدراسة في كلية الصيدلة وفتح صيدلية مشتركة لهما.

الأصوات تعلو والضحكات الهستيرية تقض سكون المكان وهو ينظر الى سقف الغرفة وكأنه يتساءل عن مصيرهم وأين هم الآن أي حرب ضروس زجت به الحياة في أتونها .

لايزال يذكر صوت امه المبحوح من البكاء ترجوه ان لا يترك دراسته وأن يبعد فكرة التحاقه بإحدى الكتائب والتي تغدق على أفرادها الكثير والكثير من الأموال لكنه توسل لها أن تدعو له فوعدها بأنه سيعود لمواصلة الدراسة عندما تتحسن الأوضاع ويعود الأمن إلى وطنه. أما أبوه فقد شد على كتفه وقال له أفعل ما تراه مناسباً انت كبير وتعرف مصلحتك.

لاتزال تلك الرعشة في صوته ترافقه لقد كان أبي يبكي انتفض من مكانه حين ارتفع صوت أحد اصحابه وهو ينادي باسمه ويقول له:

-ألم تشبع من النوم بعد؟ هيااا قم. لقد نمت لسبع ساعات متتالية هيااا لقد حل الظلام، يبدو أن الكهرباء مقطوعة على هذا المنزل، إن البرد قارص هنا، ووقف يبحث عن اغطية أو شيء دافئ يعود به لأصحابه.

قام "منصور" من الفراش ورأسه يكاد ينفجر من الصداع خرج للمطبخ الذي حوله "الغجر" كما يحلو له تسميتهم. فهم متمرسون وأقدم منه كثيرا، فهم يسخرون منه ومن جهله لبعض فنون القتال ولرقة طبعه ودماثة اخلاقه. فقد كان كثيراً ما ينهاهم عن الخراب ويحثهم على ترك انطباع جيد لهم حين يدخلون أي بيت ويتمركزون فيه، يحثهم على الأخلاق ويحرص على جمعهم للصلاة ولا ينكر أنهم يحبذون حديثه ويجتمعون حوله خاصة حين يروي لهم القصص التي طالما سمعها من جده عن (أبوزيد الهلالي)، لقد كان "منصور" راوية جيداً ومتحدثاً لبقاً وجذاباً في سرد الحكايا عن الجهاد وايام (عمر المختار) كان يحفظ الكثير والكثير منها.

توقف الصراخ والأحاديث الصاخبة قليلاً. يبدو أن البرد اسكتهم وراحوا يجمعوا ما يستطيعون لإشعال النار ليدفئوا قليلاً.

فتح "منصور" بعض العلب الجذابة من على رفوف المطبخ لعله يجد فيها محبوبته السمراء كما كان يحلو له أن يسميها. وفجأة توقفت حاسة الشم عند إحدي العلب التي تحتوي على مسحوق البن، حاول اشعال النار لكن عبثا باءت محاولاته بالفشل يبدو أن انبوبة الغاز فارغة..

ملأ ابريق القهوة وخرج يبحث عن أي شيء يشعل فيه النار ويطهو قهوته علها تخمد ضجيج راسه المتقد. دخل أحد زملائه وقال له طلبك عندي، أخرج من دولاب المطبخ قدراً صغيراً وجلب بعض ألواح الطهو الخشبية واستخدمها كحطب .

اشتعلت النار واضاءت ما حولها قليلاً. وضع منصور الابريق على النار المتواضعة وخرج زميله يبحث عن أي شيء تأكله النار لتشتعل فالجو بارد والصقيع يغزوهم .

جلب منصور إحدى الارائك، وجذب النار امامه بعد أن هيأ بعض الفناجين وعلبه السكر في انتظار ان تغلي القهوة وينادي من معه لشربها.

جاء صديقه محملاً بالكثير والكثير من الكتب ورماها أمامه وقال له ضاحكاً: استعن بها إلى أن يأتي الرفاق بالحطب، فقد خرجوا منذ العصر ولم يأتوا حتى الآن .

وأردف: وسأبحث أنا عن المزيد وأن جهزت القهوة اصرخ وسأئي إليك حالا .

ساد الصمت.. ظل يتأمل الغرفة فوقعت عيناه على صورة تبدو لأصحاب المكان، أم وأب وبجوارهما فتاتان جميلتان تبدو السعادة على وجوههم .

أخذ الصورة ورمي بها في النار كأنه لا يريد أن يشعر بوخز الضمير.. تمتم. كأن عيونهم تتهمني فأنا من وجدت منزلهم وأنا من دخلت إليه عنوة وأنا من سمحت لمن معي بالعبث بمحتوياته بأقدامهم ونزقهم وسجائرهم التي بعثروها في كل مكان ولم تترك أيديهم أي شيء في المنزل إلا وطالته.

استمع لصوت طقطقة أطار الصورة وهو يحترق، وكأنهم يصرخون حرك النار بيده بسرعة ونظر إلى الابريق الذي بدأ يغلي قليلا وتتصاعد منه رائحة القهوة الزكية. أراد أن يزيد من اشتعال النار فنظر إلى كومة الكتب التي جلبها صديقه أراد أن يرمي بأول كتاب فوجده ديوان للمتنبي جلس يتصفح أوراقه ويقرأ صفحاته .

بدأت النار تخمد والقهوة تناديه برائحتها أن يشعل النار ليشربها، مد يده لكتاب آخر وجده قصائد لطاغور شاعر الهند الكبير الذي طالما تحدث عن الجمال والطبيعة والنجوم فوضعه جانباً، رفع الآخر كان كتاب كليلة ودمنة، وتذكر أحاديث الحكم والمواعظ التي تحويه صفحاته تركه جانباً اخذت يده الآخر والذى بعده والنار توشك على الانطفاء والقهوة تهدده بأنها ستتوقف عن الغليان وروحه تخفق مع كل كتاب يرفعه وكأنه يريد احتضانها كلها وترتيبها وإعادتها الى

رف المكتبة التي اقتلعت ابوابها وتناثرت محتوياتها على الأرض.

الضوء الصادر من النار يكاد يخبو.

مر كل شيء حصل له بسرعة أمامه كيف انتسب للكتيبة وتدرب على عجل وبعث به ورفاقه إلى هذه المدينة لحمايتها وعيون أمه الباكية وصوت والده الجاد وأخواته وإخوته الصغار الذين يتأملونه ببزته المرقطة بانبهار وكأنه بطل ومنقذ هكذا كانوا يتهامسون لبعض وهم يحومون حوله فرحين به.

النار بالكاد تحرك جوانب الابريق وضوءها يتضاءل.

هدوء.... لا شيء سوى أصوات أحذية الرفاق الضخمة تقطع سكون المكان.. وحده كان جالساً يحتضن الكتب ويمنع نفسه من الزج بها في النار لتلتهمها وتزداد سرعتها وتبدأ قهوته بالغليان ليسكن صداع احتل راسه ويكاد يفتك به.

صوت الرفاق ينادونه :

أين القهوة؟ رائحتها غزت أنوفنا هيا يا "منصور" بسرعة أنت عاجز عن طهو قهوة كيف سنعتمد عليك في أمور أخرى!!؟؟

صراخهم وسخريتهم أثارت "منصور"، همس بينه وبين نفسه: علي أن أكون نداً لهم.. يجب ان أخرج من روحي المكبلة.. كان على يقين انه لم يأتي لأجل أن يعبث بمحتويات البيوت وينتهك حرمتها أو يثير الرعب في أهل المدينة بأطلاق الرصاص والتهديد كان يشعر بأنه قد خدع وتذكر أنه قرأ في أحد الكتب ان لا منتصر في الحرب.

نزلت دمعه شفقة على نفسه وعلى كل أحلامه التي تلاعبت بها الرياح الساخرة. وفي لحظة أخذ يمزق كومه الكتب المرمية أمامه ويلقي بها الواحد تلو الآخر بحنق وحزن في النار التي زاد لهيبها وأضاءت المكان وازداد وهج المكان الذي كان يعكس ظله المرتعش المتقوقع على نفسه المذعورة وكأنها تناديه أن يحتضنها.

فارت القهوة بغضب وانسكبت لتمحو أثار الحروف وتمسح أسماء أغلفة الكتب المحترقة .

أما "منصور" فقد تكوم في نهاية الغرفة، بينما الرفاق اجتمعوا حول أكواب القهوة يحتسونها بعد أن جذبتهم رائحتها وجاءوا مهرولين ملطخين فرش الغرفة الناعم بأحذيتهم المليئة بالدم والبارود والوحل.

لاَ وَقْتَ للكُرْه

محمد المزوغي

ناءٍ ولكنّهُ

في النأي موصولُ

هيهات تحجبُهُ

البيدُ المجاهيلُ

لأنّ حَرْفَكَ في العُشّاقِ قال لهم :

في الحُبِّ قلبان

مقبولٌ ومخذولُ

يقولُ للجمرِ

خُذْ كفّيَّ يُعْجِبُني

يا سيّدي الجمرُ

منك الْيَوْمَ تعجيلُ

يقولُ للحقدِ

خُذْ كُلَّ الظلامِ فَلِي

شَوقٌ بكُلِّ خيوطِ

الضّوءِ مغزولُ

لاَ وَقْتَ للكُرْهِ عِنْدِي

لا مَكَانَ لَهُ

بالْحُبِّ قلبي

وبالغفرانِ مَشْغُولُ

زادي لكلِّ يدٍ

تحتاجُ أبذلهُ

ولي إناءٌ

كوجه الصبح مغسُولُ

هل تملكُ الشمسُ

إلاّ الضوءَ تُرْسِلُهُ

وهل سوى الماءِ

عند النبعِ مبذُولُ

لا خنجرٌ بيدي

يامن ترصّدَنِي

ليطعنَ الظهرَ

حِقْدٌ منهُ مَسْلُولُ

لا يترِكُ الوردُ

في أثواب قاطفهِ

إلا الشذا

وهو في كفيه مقتُولُ

يَسْمو عن الحقدِ

من تعلو الحياةُ به

لا ينفعُ الحقدَ

تفسيرٌ وتأوِيلُ

كلُّ المفاتيحِ منّا

الْيَوْمَ ضائعةٌ

وكلُّ دربٍ

إلى الأبوابِ مجهولُ

لم ينجُ من كرهنا
طفلٌ ولُعبتُهُ
وأيُّ عُذرٍ
أمام الطفل مقبولُ؟!

شيءٌ من الحبّ
كم نحتاجُ باردةٌ
فينا الأحاسيسُ
يا نَحْنُ التماثِيلُ

شيءٌ من الحبِّ
يا أهلي نلوذُ به
كَمْ قَدَّسَ الْحُبَّ
قرآنٌ وإنجيلُ؟!

هذا ابنُ عَبَّادَ
في أغماتَ يكتبُ لي:

الْمُلكُ للهِ

والدنيا أباطِيلُ

المرءُ مَا لم يكن حرًّا فلا أحدٌ

والشِّعْرُ مالم يكن حُبّا فتضليلُ

إنّي وهبتُ دمي

للأرضِ تُنْبِتُنِي

حَبّا لتأكلَهُ الطيرُ الأبابيلُ

غداً سنحيا هنا

عطراً و قافيةً

يزهو بِنَا الوردُ

أو تزهو المواويلُ

نُضِيءُ باللهِ

لا شمسٌ ولا قمرٌ

هَيْهَاتَ تخبو لنا

يوما قناديلُ

قِيلَ حَربٌ

عمر عبدالدائم

قِيلَ حربٌ.. فقلتُ مَن للثكالى
حين يطرقُ القلبَ طيفٌ وصوتُ

حين يحبِسُ الحُرُّ دمعةَ ذُلٍّ
حين يسأل الطفلُ أين المَبيتُ

كيف أنجو والحربُ بيني وبيني
أين أمضي والقلبُ مني شتيتُ

في بلادٍ أحبّها فلماذا
تزدريني، والحب فيها مَقِيتُ؟

أنت ضِدّي إن لم تكن في صفوفي
وعدويّ إن لم تَرَ ما رأيتُ

وجبانٌ إذا صمتتَّ، جبانٌ

وخؤونٌ إن لم تَعِ ما عَنَيْتُ

لا اعتدالٌ في منهجي وطريقي

لا حِيادٌ في مَنطِقي أو سُكوتُ

أنتَ حَيٌّ.. وذلك الذنبُ يكفي

في بِلادٍ بها الأماني تموتُ

قيل حربٌ، قلتُ الدماءُ مِدادٌ

يا ضحايا، فلتكتبي ما نسِيتُ

قيلَ حربٌ، قلتُ الشواهد تغني

هي العناوين والقبور بيوتُ

ليس إلا الدمارُ والخوف يسعى

ليس إلا الدموعُ أنَّى مشَيتُ

• • •

فارتعوا اليوم، لا مساس، بأرضٍ

يستوي الحرفُ فيها و "الديناميتُ"

اضرِموا الشِّعرَ في حقول المعاني

في هشيم أنتم له الكبريتُ

لا تُبالوا، وأعمِلوا القتل حتى

يتعب الموتُ أو يقول اكتفيتُ

واعذروني يا إخوة الحزن إنّي

صهوةَ الصّمتِ والسحاب اعتليتُ

قيلَ حربٌ، فقلتُ إنّي براااءٌ

إنّ بعض القصيدِ للنّارِ زيت

الراعية الليبية

شاهر خضرة – سوريا

مهداة إلى الشاعر الصديق مفتاح العمّاري مع تمنياتنا له بالشفاء

سأجرّب كتابة الشعر هذا اليوم، على طريقة شاعرة فطرية، ثقافتها صورة عن حياتها البسيطة، هذه الشاعرة التقيتها يوما في (الربوع الليبية)، كانت تسرح بنعاج لها وتمشي حافية، لكي لا يفصلها عن ترابها نعلٌ..

كانت تربط رأسها بمنديل يغطي نصف شعرها، وكنت كلما أوى الناس إلى قيلولتهم أتمشى إلى حيث ترعى غنمها، في البداية كنت أبحث عن أية رائحة أنثى في تلك الصحراء.

ببساطتها قالت لي: إن شئت أن تأتي إلى مرتعي فعليك أن تأتي مثلي حافياً لكي نتواصل بواسطة التراب.

طبعا.. هذا ما كان......

سألتني عن عمري، عن بلدي، عن أهلي، ثم سألتني عن الحب، كنت أحدثها وكانت تحتمي بنعاجها، وهكذا مع مرور الأيام ذهب خوفها مني وخاصة عندما عرفتني شاعرا، (اعترفت) لي بأنها شاعرة، وأخذت تسمعني بعض قصائدها ولعلها كانت هكذا... كهذه الشذرات:

-أ-

كانت الغزالةُ تنام بعينين مفتوحتين

وكانت النعجة تنامُ بعينين مغمضتين

فنمت بينهما بعين مفتوحة وعين مغمضة.

-ب-

كلَّ مساء أمسّدُ ضرع النعجة وأحلبها

جاء الذئب وأكل النعجةَ

شعرتُ ليلتها بدفءٍ يسري في أصابع يدي

ولما صحوت.. رأيت الحمَلَ

يشمُّ أصابعي

ويرضعها...

-ج-

ليلةً طارد الذئبُ حمَلاً

الحمَلُ جرى بهلعٍ حتى ارتمى في حضني

ولأن جدّتي كانت تروي أن الذئب ملاك

فقد احتضنتُ الحمَلَ وفتحتُ صدري

ووضعتُ ثديي في فم الحمَل

تجمّدَ الذئبُ من أربعته

نظر مليّاً ثم لوى رأسه وتراجع..

أبي

حين رآني أُرضع الحمَلَ

ضربني بحزامه

ورمى بالحمَلِ إلى الذئب..

-د-

رأيتُ عنزةً ما تزال مشيمتها معلّقة بها

وكانت قد ولدت جدياً ميّتاً

تشمّه وعيناها مغرورقتان بالدموع

أردتُ مساعدتها بسحب المشيمة

حينما خلّصتها منها

دون إرادة مني

وجدتني أشمُّ المشيمة

وعيناي تهطلان بالدموع.

-هـ-

كنت صغيرة ألتقط بعض الأعشاب مع أمي

كانت أمي تخص نعجة _ ولدت اليوم _ برفقتنا

أعجبتني عشبة بين الزرقة والاخضرار لونُها

وعليها مسحة من بياض خفيف

وضعتُها في فمي

أردتُ مضغها

صاحت بي أمي:

مالحةٌ إلى حد المرار..

سحبتْها مني وأطعمتها للنعجة

أكلت النعجةُ هذه وغيرها من العشبة المالحة

في المساء اشتهيت أن أرضعَ من ضرعها مع حمَلِها

كان الحليب حلوَ الطعم

بعد أن ارتويت

فكرتُ ما الذي جعل تلك العشبة حلوة الطعم ؟

فمي ؟

أم ضرع النعجة ؟

-و-

مرّ ولدٌ أمامي وهمس لي: أحبُّكِ

لو لم يهمس كلمة أحبُّكِ

لكنتُ صدَّقتُهُ

فأنا أحب النعاج والنعاج تحبّني

دون أن نهمس لبعضنا بتلك الكلمة.

-ز-

الحبُّ العذريّ لا يعرفه البشرُ

وأنا لم أعرفه من بشر

عرفته من خروفٍ (حُولي)

كان يمشي دائما إلى جانبي

يشمّني... يتمسّح بثوبي

وعندما ينقاد جسدي إلى دورة القمر

كان يرفع رأسه إلى السماء

يجلب القمر إلى عينيه

ويثغو ثغاءً غامضا.

-ح-

كنتُ أحملُ مطَرَةَ ماء صغيرةً على كتفي

الغنمات يرعين طوال النهار

لا يحملن مطرة مثلي

طعامي صنع بشر.. يستدعي أن أحمل مطَرَةً

كلؤهنَّ عشب

العشب نصفه لونٌ ونصفه ماء

سحبتُ جدْياً بعيدا عن أمّه

أطعمتهُ زادي

حتى أتى عليه كلّه

وأكلتُ بدله الأعشاب

عندما فرغنا من زادنا

بحث فمُه عن فم المَطَرَة وجرعها كلّها

بينما أنا صرتُ أثغو وأقفز في الهواء

وجسدي يكاد الماء يرشحُ من أطرافه.

-ط-

هذا ما أذكره من تلك الفتاة الراعية (الليبية)

عندما طلبتْ منّي أن أسمعها قصيدةً، وجدتُ أن قصائدي لا تشبهني،

كما تشبه تلك الراعيةَ قصائدُها.

---

* شاعر وكاتب من سوريا-يقيم في ألمانيا، أقام في ليبيا من 1975 حتى 1981

أمي ستزورني هذا الصيف

عائشة المغربي

أمي ستزورني هذا الصيف

متوقع أن تصل في سحابة خاطفة

تتفقد أحوالنا

كيف ساعد العشاء

وليس في البيت ماء

قلب الشجرة تيبس من قلة الحنان

الأواني الفضية غير ظاهرة إلا في أرقام المفقودات

وأرفف الحكايات خالية إلا من الأسي

الصحون تكسرت منذ آخر لقاء عائلي

في خلاف تافه حول شجرة (الكرموس)

علقت جارتي بعدها قرن الخروب

نكاية في ذكريات المحبة

السائلة كأمطار خط الاستواء

أحواض الريحان أعواد تسود من القبلي

وقلبي تيبس جداً كي ينتج الرمان والعنب في الكلام

أخوتي الذين تفرقوا كحبات الرمال في صحراء البلاد

كيف سأجمعهم في عقد أمي اللؤلؤي

كيف تضحك المائدة من أرواحنا الخفيفة

من البراءة الطازجة

ونحن نتغمق في الرمادي

من أسفل الجلد إلى فوقه

هل ستشم أمي رائحة الموت فينا

ونحن نسود كقطعة من سماء الليل

هجرتها النجوم

أمي التي عادت من موتها الأنيق

تظننا أحياء

نحن الذين نواصل الموت كل يوم

سنخبئ عظامنا ونرتدي ثياب السهرة من أجلها

سننعكس تحت الإضاءة الصناعية

كصفيح يبرق تحت الشمس

حتى تظن اننا الذهب القديم الذي

تناسل من رحمها

هكذا تحدّث آدم..

الأسعد الجميعي - تونس

هرمت الرّغبة

ماذا سأكتشف

بعد الّذي رأيت

لم يعد بي شبق إلى اللّغة

الأسماء سمّمت المعاني

طوبى لمن لا اسم له..

الشّهوة الّتي أنزلتني إليكم

من أعلى علّيين شوّهها السّدنة..

فاسألوا الطّين عنّي

احفروا عميقا في الحمإ المسنون

وابكوا معي

ابكوا طويلا

على النّفخة الأولى..

طوبى لمن لا جسم له..

* * *

من ضلعي الأيسر

من كوّة تطلّ على القلب

انسابت حوّاء

كقطرة النّدى الّتي تسبق الفجر

إلى زهرة في الأقاصي..

بعد النّفخة الأولى

قلت هذي جنّتي

بعد النّفخة الثّانية

قلت هذي أرضي الّتي ستحرثني

وتبذر فيّ قمح اليقين..

لكن ماحصدتم سوى الشّك..

منذ خربشاتكم الطّفولية

على جدران الكهوف

عبدتم الغموض في المعنى..

طوبى للواضحين

الواضحون، مثل قطرة النّدى

الّتي تسبق الفجر إلى زهرة في الأقاصي..

الموت ذاك الحصان الّذي لا يتعب..

يسرج دم أحفادي

الّذين سيقتلهم الحب..

ويبعثهم أنقى من فراشات الضّحى

أبقى من قمر آفل أضاع مداره

في متاهات المجرّة..

الحبّ وحده لا تطاله مؤامرة الموت

طوبى للمحبّين الّذين أسلموا

أعناقهم طوعا لحفاوة المشنقة..

لقد جئتها باكيا

سالكا لا مالكا..

أنا العابر في مملكة الزّمن

كلّ الجهات كانت مشرعة أمامي

فلماذا اخترعتم المفاتيح بعدي

وسيّجتم المعنى ؟

أنا أوّل عاشق في سماء المجاز

وأمهر باشق في قنص العبارة..

طوبى للسّالكين في معارج الرّوح

طوبى لمن أضاعوا المفاتيح

ووجدوا أنفسهم..

علّمني يا غراب

كيف أخلع عنّي هذا الطّين

وأحلّق في الملكوت..

ستدّعي القصائد أنّك غراب البين

لن يذكر أحد أنّك المعلّم الأوّل

والشّاهد الوحيد

على كلّ جريمة تنسب إلى مجهول..

ريشك الأسود قد أضاء غياهب الرّوح

فمتّ قبل أن أموت

فلتسقط إذن ورقة التّوت..

طوبى لمن لم تغتله فضيحة الوصف

طوبى لمن أهمله التّاريخ

وحلّق فوق النّعوت..

ليس هناك نصر حاسم

ولا خسران مبين..

النّصر نصر على الذّات الباذخة

أنا لست إثباتا لذاتي

أنا النّفي ومنفاه

حيث القسطاس مرتعش

إذا لم تسنده أسرار العشق

في قيامة الوجد الشّفيف..

طوبى لمن لم ينتظر لقاح الخريف

كي تنفلق عنه النّواة

طوبى للعاشقين المنسيّين

المغيّبين دائما عن تبرّج المشهد..

حين نزلت..

كانت الأرض

أشهى من الثّمرة المحرّمة

كانت جذوري السّماوية تشدّني إلى الأعلى

لكنّي حلمت في صحوتي

أن آخذ نصيبي من شمس لا أعرفها..

ومن فجر أوّل

اختصر كلّ ما سيأتي

واستبدّ بالذّاكرة

كأنّي ألمح حوّاء للمرّة الأولى

كأنّها والأرض

فكرة واحدة في جسدين..

تغيب فتشرق الأرض منها

وحين يخيّم الظلام

تضيء حوّاء

أعمق ما في الرّوح من عتمة..

طوبى لمن غشيه النّور

فلم يغمض الرّوح

طوبى لمن

لم تنقطع جذوره السّماوية..

ماذا أسمّي هذا.. ؟

أبكي مرّتين

الأولى لأنّي أحبّ

هابيل القتيل

والثّانية لأنّي عجزت عن كره

قابيل القاتل..

ماذا أسمّي هذا

غير الرّحمة الّتي أورقت

في صحراء الرّوح..

لا ترني وجهك يا بنيّ

دع لي الذّكرى

فكم تدفّأت عليها في شتاء القلب

طوبى لمن ظلّ حيّا بعد قاتله

طوبى لمن كان أعظم من الموت..

يوم الجمعة نزلت إلى الأرض..

ويوم الجمعة سأودع الجسد

في عهدة التّراب وأصعد..

أنا بداية القصّة

لكنّي سوف أترك للرّواة

ما تبقّى من الجمر..

لن تدركوا مدى خوفي عليكم

من الطّين

ومن غبار اللّغة..

لن تدركوا مدى حزني

حين تفضح الشّمس ضربة الفأس

على جذوركم السّماوية..

أنا بذرة السّماء

فكونوا أعظم من الأرض

طوبى لمن عاف عسل خطيئتي

وصعد إلى أعلى علّيين../..

- حي الرّسالة بمرناق، أفريل 2008.

قصائد

محمد القذافي مسعود

احتطبَ

الشمس النازفة

وباع الافق

في المزاد.

# # #

ذات آهة أبعد من

نجم في أقصاي اشتهيت

طعم التراب.

# # #

مقطوع من نباح

السعادة.

# # #

تقسم الضحكة نفسها

على نفسها

تغلق باب الآه.

# # #

غزارة صمتك

توقظ موتي.

# # #

يشير جرحي إلى

الساعة المقبلة

عن ألم

يجلدني بالضحك.

# # #

لا صوت يعريني

سوى مناديل الوقت

تمسح نفسها

فيولد الخراب

مزهراً أحلاماً ضيقة.

# # #

أرقبها فلا تمطر

أعود مأخوذا بما

أحمل من يقين

فما بعد الخيبة

إلا الحلم.

# # #

تكسرت شفاهنا على

مرأى من نظرتها.

# #

كلما دنت شمس مني

أخفقتُ في ركوب ظلي إليها.

# # #

على اطراف الخلا..

محمد الدنقلي

واقف علي أطراف الخلا..

في الشَّمس ..

وين الشَّمس ما ظنّي تْطيح..

في الرِّيـح ..

وين الرِّيـح دوبي .. دوبي..

في الشَّرق .. شَرقي ..

في الغُروب .. غُروبي..

عالشط .. ومعانق الموج ..

ونْحُط .. في جبال الهروج ..

ونُخْضُن رمال جنوبي..

هاناك .. هُوْ مَوْكَرْ هَلِي ..

وملاعبي ، ودروبي..

و وين جِيْت بنوَّقع اسْمَاي ..

انْكِتْبَتْ وَحَدْها .. ليي...

واقف علي أطراف الخلا.

وسفر عُمري . سفر دايم ..

هِنا يبدأ ، وهِنا ننهيه.

هِنا قَبْل النُشوء الاوّل ..

صدفْ كافي ، وتَنَوَّن فيه.

وشُفْتَه كَمْ يشبهني ..

ومشكّل مَساماتي ..

وحكى عني ، حكيت عليه.

وسِمْعَتْ لهفتي أمّي ..

هِمْسَتْ ضِمْن تَنْهيدَه، وقالت : إيَّه..

.هِنا اسمك .. هنا رسمك .

.هِنا المعنى اللي تَعنيه..

.هِنا ترابك .. تَيَمَّمْ يا وليدي بيه.

.وأكتب قَبْله ، وبَعْده: أنا ليبي..

.وليبيتي أنا صِيتي ..

.وهواي ، وميزتي ، وعيبي..

و وين جِيْت بنْوقَّع اسماي ..

انْكَتْبَتْ وَحَدْاها .. ليبي..

واقف على أطراف الخلا ..

متـــابعـــات

- حرب غزالية إلى البوكر
- اختتام الملتقى الوطني الدولي الأول للأدب والنقد في ليبيا
- الاستعداد لإطلاق عدد من الجوائز الأدبيّة والإبداعيّة
- النخبة في ليبيا الواقع والطموحات
- خالد مطاوع يستنطق البحر
- هيبة الموهوب يأخذ مكان طراطيش
- غربة قصيبات إلى النور
- علي الفزاني عابر السبيل
- قريباً صدور "تمر وقعمول"
- الكاتب حسين مخلفو في ذمة الله
- رابطة الأدباء والكتاب الليبيين تنعى حبيب الصائغ
- رابطة الأدباء والكتاب الليبيين تنعى إبراهيم الخياط
- التشكيلي عمران بشنة في ذمة الله
- الكاتب محي الدين كانون في ذمة الله

حرب غزالية إلى البوكر

بعد تجربة أولى من خلال رواية (روبيك) للكاتب "سراج هويدي"، 2009، ها هي مكتبة طرابلس العلمية العالمية، تعود للدفع بأحد إصداراتها (كناشر)، ضمن جائزة البوكر العربية (الجائزة العالمية للرواية العربية)، إذ وقع الاختيار على رواية (حرب الغزالة) للروائية "عائشة إبراهيم"، للمشاركة ضمن الروايات المتقدمة للجائزة، في خطوة جريئة وشجاعة تحسب لسيدة "فاطمة حقيق" صاحبة المكتبة.

رواية (حرب الغزالة) صدرت في بداية العام الحالي، 2019، وشاركت بها مكتبة طرابلس، ضمن إصداراتها بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الخمسين. كما نظمت المكتبة، بالتعاون مع أتيليه القاهرة ندوة حول الرواية في 29 يناير 2019، بمشاركة أستاذ النقد في الجامعات الليبية، الدكتور "حسن الأشلم"، والناقد "عبدالحكيم المالكي."

حرب الغزالة، هي الرواية الثانية لـ"عائشة إبراهيم" بعد روايتها (قصيل)، وجاءت في حوالي 207 صفحة من القطع المتوسط. وتدور أحداث الرواية حول مملكة ليبية قامت بأقصى جنوب غرب ليبيا، في زمن موغل في القدم، وهو أبعد فضاء زماني تحدثت عنه المصادر التاريخية والشواهد التي تركها الأسلاف الغابرون على جدران الكهوف. حيث تستنطق حياة الليبيين منذ ما يزيد على عشرة آلاف عام، من خلال اللوحات الصخرية التي تصور تفاصيل حياتهم.

وتقدم الرواية دعوة لإعادة قراءة التاريخ، وتناقش نشأة الحضارات وانتشارها، وتتبع خطًّا واقعيًّا، يتكئ على الخيال ولا يتصادم مع التاريخ.

اختتام الملتقى الوطني الدولي الأول للأدب والنقد في ليبيا

اختتمت مساء الإثنين 6 أغسطس 2019م، فعاليّات الملتقى الوطني الدولي الأول للأدب والنقد في ليبيا، بقاعة فندق باب طبرق، والذي انطلق السبت بمشاركة محلية وعربية. ونظم على هامش الملتقى، الذي انطلق السبت 4 أغسطس 2019م، مجموعة من الأمسيات الفنية والشعرية، ومن أهم المواضيع التي تناولها الملتقى بنية الصراع الدرامي

والنص المسرحي الليبي، وجماليات التمثيل السردي في رواية عشب الليل للكاتب الليبي إبراهيم الكوني، والتماسك النصي في شعر علي الفزاني.

وتناول الحضور في الجلسة العلمية الثانية للملتقى، استراتيجيات الخطاب عند الشاعر عبد المولى البغدادي، والآليات الحجاجية في الشعر الفصيح قصيدة «الحق حق دائمًا» للشاعر حسن الأحلافي نموذجًا، والمتصل الزمني والمكاني في رؤية تحليلية لرواية حرب الغزالة للروائية الليبية عائشة إبراهيم، والممكن والمستحيل في قصة الخيال العلمي بتناول تجربة عبد الحكيم الطويل كنموذج.

وقدمت مجموعة كبيرة من الورقات البحثية تجاوز عددها 50 ورقة، منها بحث حول اللغة في رواية "فرسان السعال" للكاتبة وفاء البوعيسي، المكان والثنائيات الضدية في رواية "زرايب العبيد" للكاتبة الليبية نجوى بن شتوان، الشخصية القصصية في مجموعة "هذيان الوجع" للقاص الليبي محمد المسلاتي، بناء الشخصية في مجموعة "خمسون قصة قصيرة" للأديب الليبي علي مصطفى المصراتي، وتوظيف الحكاية الشعبية في الأدب الليبي مجموعة من قصص الأطفال للكاتب الليبي الصادق النيهوم، سيميائي الخطاب وسينوغرافيا النص المسرحي في مسرحية الإنسان والشيطان لمنصور بوشناف. ومن الباحثين المشاركين في الملتقى الدكتور أحمد عمران بن سليم، علي محمد، بهلول سالم، نجية الكلامي، فتحي الشعاب، عمران الفيتوري، نوارة عقيلة، رضوان عمران، زهرة الفيتوري، سليمان زايد، عبد الله نوح، فتحية صقر، فاطمة أرحومة، عادل قداد، ربيعة الجهمي، يوسف مسعود، ابتسام المسماري، مصطفى السعيطي.

وفي حفل الختام كرَّمَ كل من الفقيدين الأديبين "سعيد خير الله صالح"، و"عاشور إبريّك الدمنهوري"، وذلك بمنحهما " درع التَّميُّز".

الاستعداد لإطلاق عدد من الجوائز الأدبيَّة والإبداعيَّة

أعلنت الهيأة العامة للإعلام والثقافة والمجتمع المدني عن استعدادها لإطلاق عدد من الجوائز الأدبيَّة والإبداعيَّة خلال الفترة القريبة القادمة وذلك انطلاقاً من حرصها على دعم الإبداع الليبيِّ في شتَّى أشكاله وصورِه وتمظهراته، وتشجيعًا للمبدعينَ، وإنعاشًا للمشهدينِ الأدبي والثقافيِّ. في الجوانب التالية:

جائزة شاعر الوطن، أحمد رفيق المهدوي، للشعر الفصيح.

جائزة وهبي البوري، للقصَّة الليبيَّة القصيرة.

جائزة أحمد إبراهيم الفقيه، للرِّواية اللِّيبيَّة.

جائزة فتحي العريبي للصورة الصحفيَّة.

وسيُعلن عن انطلاقِ هذه الجوائزِ في حفلٍ إبداعيٍّ كبيرٍ بحضور الأسماء الأدبيَّة الكبيرة التي كلِّفت بلجان الجوائزِ، هذه الجوائز تضاف الى الجوائز التي سبق وأعلنتها الهيأة وهي؛ جائزة مفتاح بوزيد للصحافة والتي تصل الى دورتها الرابعة في العام القدم 2020م، وجائزة محمد عبدالهادي للمسرح والتي من المتوقع أن تعقد دورتها الاولى مطلع العام القادم ايضا.

النخبة في ليبيا الواقع والطموحات

تعتزم (مؤسسة مشروع الممرات للفنون والعلوم الإنسانية) إطلاق أعمالها التي تستهدف إحياء العمل في المجال الفني والفكري والثقافي برؤية نقدية عميقة وجادة. وأول أعمال المؤسسة هو إقامة مؤتمر علمي بعنوان: "النخبة في ليبيا الواقع والطموحات" وفقا المحاور التالية:

1 -من هم النخبة؟ هل لهذه النخبة وجود في ليبيا؟

2 -العلاقة بين النخبة والمجتمع

3 -علاقة النخبة بالسياسة

4 -النخبة وصناعة المستقبل

5 -تاريخ النخبة في ليبيا

6 -دور النخبة على المستوى الاجتماعي

الدعوة موجهة إلى كافة الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية والأكاديميين والمثقفين بمختلف تخصصاتهم للمشاركة في المؤتمر عبر إرسال أبحاثهم واوراقهم على الشكل التالي:

1 -إرسال الملخص العام للورقة البحثية في اجل لا يتعدى يوم7 نوفمبر 2019م وانتظار رد اللجنة على الملخص خلال أسبوع فقط من تاريخ وصوله.

2 -في حالة قبول الورقة من اللجنة العلمية المكلفة من قبل المؤسسة يتم ارسال الورقة كاملة إلكترونيا قبل تاريخ 7 ديسمبر 2019.

3 -على كل المشاركين مراعاة قواعد البحث العلمي المعروفة في كتابة الابحاث.

4- ترسل الملخصات والأبحاث على الإيميل:arcades.project2020@gmail.com

خالد مطاوع يستنطق البحر

تحت عنوان (بحرنا) أو (Mare Nostrum) كما في اللاتينية، صدر للشاعر "خالد مطاوع" مجموعته الشعرية الجديدة، التي يستلهم فيها تجربة عبور اللاجئين للبحر الأبيض المتوسط، الذين يخاطرون بعبوره بحثاً عن الأمل والتحرر من القمع.

يقول الشاعر: (على جسور تلك العوالم الزلقة، نحن مغلفون برقائق ذهبية، بلا أمراض. من ينقذ من؟ السؤال ذكر ضمنياً فقط). و"مطاوع" في هذه المجموعة يتحدث على لسان اللاجئين، ويرصد لحظاتهم، وكأنه على تواصل روحي مهم.

الشاعر "خالد مطاوع"؛ يدرس حاليًا في برنامج الكتابة الإبداعية للخريجين بجامعة ميشيغان. أصدر أربع مجموعات شعرية، ودراسة نقدية حول الشاعر الفلسطيني "محمود درويش". كما قام بتحرير كتابين من مختارات الأدب العربي والأمريكي وترجم العديد من كتب الشعر العربي المعاصر. تشمل جوائزه؛ جائزة زمالة أكاديمية الشعراء الأمريكيين، وجائزة PEN للشعر في الترجمة، ومنحة.MacArthur

هيبة الموهوب يأخذ مكان طراطيش

صدرت في تونس رواية (هيبة الموهوب)، للقاص والروائي، الدكتور "خليفة احواس"، عن دار يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع.

الرواية هي الطبعة الثانية لرواية (طراطيش)، حيث صدرت باسم جديد هذا الأسبوع، لما تركه من التباس لدى البعض، ليحل اسم بطل الرواية عنواناص لها.

خليفة صالح أحواس، قاص ليبي وأستاذ جامعي في مجال القانون، صدر له: نقوش على جبين الوطن- مقالات أدبية، إغفاءة على ضفيرة الشمس- مقالات أدبية، الظل الثالث-

مجموعة قصصية، بنت الضوء- مجموعة قصصية، طراطيش- رواية 2017، تلك الأيام- سيرة ذاتية 2017، وله عدد من المؤلفات في مجال القانون العام.

غربة قصيبات إلى النور

ضمن إصدارات جامعة مصراتة، صدر المجموعة القصصية (غربة من نوع آخر)، وهي باكورة إنتاج القاص "سفيان قصيبات". والكتاب تصدره إهداء خاص به القاص جده:

لجدي الذي عاش في هدوء ورحل في هدوء.. لقلبه الذي خبأ أحزانه بعيدا عنا
لشقوق قدميه اللتين أنهكهما السير.. لتجاعيد وجهه الطاهر.
لروح جدي جمعة تنتون.

الكتاب من القطع الصغير، بتصميم غلاف "أحمد بن وفاء"، بينما لوحة الغلاف التشكيلية السورية "منيرفا محمود."

علي الفزاني عابر السبيل

حول تجربة الشاعر "علي الفزاني" صدر للدكتور "محمد أحمد وريث"، كتابه (معزوفات عابر السبيل)، عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية.

الدكتور "وريث" أهدى الكتاب إلى "سمير عطا الله" شاعر المقالة القصيدة في ديوان الصحافة العربية. أما عنوان الكتاب، جاء بوحي من أحد نصوص الشاعر "علي الفزاني" التي يقول فيها:

فلست غير عابر سبيل

أنفقت كل زادي القليل

يتحدث الكتاب.. عن حصيلة تجربة الشاعر الراحل "علي الفزاني"، من خلال إحدى عشر ديواناً نشرت في حياته، منها ديوانين وبعض القصائد خطها بيده في فترة مرضه الذي لم يمهله طويلاً.

الكتاب إضافة مهمة لقراءة تجربة الشاعر "الفزاني" خاصة وإنه يأتي من قامة أدبية قدمت الكثير للحركة الأدبية والثقافية في ليبيا.

قريباً صدور "تمر وقعمول"

على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي فيس بوك أعلن الكاتب والروائي الليبي "محمد الاصفر" أن روايته الاخيرة والتي تحمل عنوان "تمر وقعمول" ستصدر قريبا وذلك بعد فترة توقف عن كتابة الرواية.

"محمد الاصفر" والذي يكتب المقالة بالعديد من الصحف العربية.. يعد محترفا للسرد وكاتب رواية غزير الانتاج وقد تجاوز إنتاجه الروائي عشر روايات منها "نواح الريق.. عسل الناس.. المداسة.. تقودني نجمة.. سرة الكون.. ورواية ملح وفرح. ترجمت له عدد من هذه الأعمال إلى الإسبانية والإنجليزية.

غادرونا

الكاتب حسين مخلفو ف

انتقل الى رحمة الله تعالى، صباح الجمعة 12 يوليو 2019، الكاتب "حسين مخلوف"، بعد صراع مع المرض. والذي دفن بمسقط رأسه بمدينة بنغازي.

الراحل "حسين عبدالله مخلوف"، من مواليد مدينة بنغازي، في العام 1939، والتي دري بها حتى حصله على بكالوريوس العلوم في العام 1965، عن جامعة بنغازي. إضافة إلى شهادة الكفاءة في اللغة الإنجليزي عن جامعة فيتنمان بأمريكا.

كتب المقالة، والدراسات والبحوث التي نشرت في الصحافة المحلية والعربية، إضافة لمساهمته في المناشط الثقافية. كما قدم للإذاعة العديد من البرامج والأعمال الدرامية، نذكر منها؛ الرجل ذو الوجه الآخر، الشهيد والصبي، آراء شخصية، نهاية الآخرين.

الشاعر حبيب الصائغ - الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب

نعت رابطة الأدباء والكتاب الشاعر "حبيب الصائغ" الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب، ورئيس مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الذي وافاه الأجل صباح الثلاثاء 20 أغسطس 2019، بمدينة أبوظبي، بالإمارات العربية المتحدة عن عمر يناهز 64 عاماً.

وكان آخر لقاء بالراحل بأعضاء الرابطة، بمدينة أبوظبي خلال انعقاد المؤتمر العام الـ27 للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، بمدينة أبوظبي.

ولد الشاعر والكاتب "حبيب يوسف عبد الله الصايغ"، في أبوظبي عام 1955، حصل على إجازة الفلسفة عام 1977 كما حصل على الماجستير في اللغويات الإنجليزية العربية والترجمة عام 1998 من جامعة لندن.. عمل في مجالي الصحافة والثقافة ويكتب زاوية يومية في صحيفة الخليج، التي يترأس تحريرها. نشر إنتاجه عربيا في وقت مبكر وشارك في عشرات المؤتمرات والندوات العربية والعالمية. وترجمت قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والصينية.

حصل في العام 2004 على جائزة تريم عمران -فئة رواد الصحافة، كما كرمته جمعية الصحفيين عام 2006 كأول من قضى 35 عاماً في خدمة الصحافة الوطنية. هذا وحصل في العام 2007 على جائزة الدولة التقديرية في الآداب، وكانت المرة الأولى التي تمنح لشاعر.

ورابطة الأدباء والكتاب الليبيين إذ تنعى، الفقيد "حبيب الصائغ" فإنها لا تنسى وقفته الجادة وسعيه لعودة رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، وتفعيلها الذي تحقق في العام 2018.

الشاعر إبراهيم الخياط - أمين عام اتحاد الأدباء العراقيين

نعت رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، أمين عام اتحاد الأدباء العراقيين، الشاعر "إبراهيم الخياط"، الذي وافاه الأجل صباح الأربعاء 28 أغسطس 2019، إثر حادث سير في محافظة دهوك عن 59 عاما.

عمل الخياط مديرا للإعلام في وزارة الثقافة عام 2005، ثم عضو المكتب التنفيذي للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق والناطق الإعلامي باسم الاتحاد، ومن ثم امينا عاما للاتحاد، وله ديوان (جمهورية البرتقال)، واعتقل وسجن لانتمائه الى خطوط المعارضة اليسارية ضد النظام السابق.

الراحل كان قد استقبل وفد رابطة الأدباء والكتاب الليبين، بمقر اتحاد الأدباء العراقيين، بالعاصمة بغداد، خلال احتضان العراق لاجتماعات الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، مايو 2018.

• • •

التشكيلي عمران بشنة

انتقل صباح الأربعاء 28 أغسطس 2019، إلى جوار به الفنان التشكيلي الدكتور "عمران بشنة"، بأحد المصحات الصحية بمدينة صفاقس التونسية، بعد مرض ألم به، لم يمهله طويلاً، عن عمر يناهز الـ62 عاماً.

"د.عمران العجيلي محمد بشنه"، فنان وناقد تشكيلي، ولد بمدينة الزاوية في العام 1957. يعمل أستاذا للفنون التشكيلية، وشغل مهام؛ أمين الجمعية الفنون التشكيلية وأمين رابطة الفنانين الليبيين. له عدة أبحاث في الفن التشكيلي، وسبق له الحصول على عدة جوائز وهدايا وميداليات من عدة مهرجانات ومعارض. أقام معارض شخصية عديدة واشترك في أغلب المعارض الجماعية محلياص، بالإضافة إلى مشاركته بالمعارض العربية والدولية.

الكاتب محي الدين كانون

انتقل إلى رحمة الله الكاتب والصحفي الدكتور "محي الدين كانون"، 10 سبتمبر 2019، بعد عارض صحي لم يمهله طويلاً.

ولد الكاتب "محي الدين عبدالحميد كانون" بمدينة طرابلس في العام 1953، وتلقى تعليمه بها حتى الثانوية، لينتقل من بعد للدراسة بمدينة بنغازي ويتخرج من كلية الآداب والتربية، بجامعة قاريونس، في العام 1977، قسم الفلسفة. ثم واصل دراسته حتى حصوله على درجة الدكتوراه. الراحل كتب المقالة والنقد والقصة والشعر، ونشر نتاجه في عديد الصحف والمجلات المحلية والعربية. كما شارك في عديد المناشط والملتقيات الثقافية في ليبيا وخارجها.

في الصحافة ساهم بالكتابة والتحرير الصحفي، حيث تولى الإشراف على الشمس الثقافي، كما تولى رئاسة تحرير الصحيفة.

هل نرى اليوم شاعراً؟

عبدالله الغزال

هل صدمت قصيدة العالم من حولنا (على الأقل في ليبيا) مثل ما فعلت أي قذيفة أو خبر مرعب أفقنا عليه ذات صباح؟

أي أسلحة؟ وأي خيال متبجح يملكه الشاعر ليجعلنا نرى الحقيقة عارية أمامنا؟

إذا كان ثمة واحد هنا فليرفع صوته لنسمعه، ولكن على صوته أن يكون مرتفعا حتى يخنق أزيز الرصاص.

الشاعر هو ذلك الذي وُهِب نظرا ثابتا ليبصر عبر عالم الأوهام، ويرى الحقائق تتحرك. الشاعر عندي هو ذلك الإنسان القادر على تغيير العالم حوله تغييرا عميقا، لابد أن يكون له صوت يغطي هدير القنابل في أكثر الليالي تفجرا بالنحيب والبؤس، والهجرة الصعبة وعبء الذنب والضجر والغضب والكدح والإذلال والوحدة والألم والإحباط والهزيمة والاستسلام.

على الشاعر أن يستخدم لغة تذيب قلوب الناس وتجعل الدم يغلي في العروق .

على قصائده أن تصدم العالم كما يفعل الرصاص والقذائف. عليه أيضا أن يوقظ الموتى ليفتحوا عيونهم ويدركوا الحدود القصوى للدمار الحاصل وأيضا لتلمس إمكانات الانبعاث الجديد، وليدركوا أنه ليس ثمة ما يفغر فاه أمامنا سوى المستقبل الذي يحدق في وجوههم الناهضة توا من الغيبوبة المميتة، وعليه أن يجعل الشعر غذاء للحياة. عدا ذلك فلن يكون الشعر فنًّا بل رطانة نشاز لا تهزنا، بينما الوحش طليق يطوف الأرجاء، ويفتح بوابات الجحيم علينا.

إنني لا أرى أحدا منهم.. في هذا الهُوِّ السحيق، ولا يمكن أن أسمى أولئك الذين ينظمون الكلم مقفى أو غير مقفى شعراء.

ثمة عدد كبير منهم (الرجال والنساء) يهرولون لاهثي الأنفاس من باب إلى باب ناشرين الهذيان والجلبة، حيث الشعر لم يعد رسالة عليا تضم أكثر الدعوات عمقا، بل استحال إلى شفرة سرية (لايفهمها غيرهم) مهمتها فقط الدعوة إلى الفردية الفارغة.

هؤلاء (صانعي الجلبة السهلة) يمضون حياتهم ولم يكسروا الأغلال بعد، بل ليس بينهم وبين القضية الكبرى إلا ذلك الخيط الذي يوصل إلى حد الأنانية الأقصى.

ليس ثمة فرق كبير بينهم وبين تلك السهولة التي ينزلق بها معظم الناس إلى الدور الذي يتطلب القسوة، أو على الأقل العمى الأخلاقي وخاصة في حالة وجود سلطة عليا تدعم هذا الدور وتضفي عليه الشرعية، حيث قد يستطيع المرء أن يقدر ذلك الوهج، وهج الشيطان، حين أطلقت قوى الشر.

بهذا الوهم يستطيع المرء منهم (حتى لو عاش طويلا) أن يستنفد كل عواطف كينونته في شكاوى فارغة ودعاوى تمرد لم تكن في الحقيقة سوى غبار في العيون.

حين لا يعود بمقدور الشاعر التحدث إلى المجتمع وإنما لنفسه فقط، وعندها سنكون معا في الخندق الأخير.

أن تتفتح زهرة الإيمان!..

هذا ما كنا نتوسل حدوثه (كلنا) منذ ذلك الفجر، لكننا في الواقع مرتدون.

كلنا مرتدون!..

لقد نجحنا مثل إبليس في أن يجعل نفسه يطرد من السماء، وتنازلنا ونحن على عتبة الرجولة تماما عن كنزنا العبقري الذي حظينا به في تلك السنة المجيدة التي منحتنا الإشراق، حين بلغ إحساسنا بالحرية إلى حد المأثرة، وقد غدا الآن من العسير استعادة مفتاح براءتنا المفقودة التي سقطت في البئر السوداء التي تصل فيها الروح الإنسانية إلى الحضيض.

الكبرياء والأنانية اللتان لا تقهران. لقد اكتسبت هذه الكلمات ملموسية فظيعة ودموية، وحتى الشيطان نفسه لم يكن قادرا على تدبير عقوبة أكثر قسوة من بين مهمه العواطف المتصارعة في ساحات المعارك (على أنواعها، التراشق بالقنابل والكلمات).

كل ما هو وحشي وزائف يظهر الآن إلى السطح بقوة الانفجار في القيعان، قيعان نفوسنا. حتى الموتى الآن يرحلون وهم يحملون أحلامهم السيئة وينتحبون أسفا لأنهم عرفوا في لحظات موتهم أننا جميعا جشعون ونحب أن نهرب. وعرفوا أننا نضيق بالأمر كله حد الاشمئزاز لكننا مع هذا نتشبث بأماكننا، نتشبث لأننا نفتقد الشجاعة والمخيلة أيضا.

هي حدود عالم مدهش تتشكل، عالم مستنزف كل الاستنزاف. عالم لا يمت بصلة إلى تلك السنة المجيدة.

أية أكاذيب كنا نغتذيها في أحلامنا المتضخمة إذن؟

ليس غريبا أن يرى بوضوح عبر ضباب أحداث تصعب السيطرة عليها شخصيات مأساوية حتى في عالم الشعر والشعراء والفن لا ترتبط إلا بالأهداف العمياء والجشع. أولئك الذين يبرزون بغتة في أحلك ساعات الليل، وصوتهم هو الصوت الوحيد الذي لا يبالي بالنُّذُر.

إن الوحش طليق يطوف العالم، لقد أفلت من سجنه، وهو في خدمة كل من يجد الشجاعة والقدرة على تسخيره، حيث ليس ثمة إلا الأخلاقية ذات الوجهين. وعلى الرغم من أن هنالك ثمة إشارات بالخطر المقبل إلا أن نداءها لا يلقى الإصغاء من أولئك المأساويين ومن خلفهم طائفة كبيرة من المثقفين أيضا (وخاصة من تلبسه مس السلطة).

الحدث الذي يشغلنا ليل نهار هو الحرب لأننا عبثنا بكل شيء، فلم يبق بيننا من يعرف كيف، ولا من أين يبدأ التحكم. عصرنا هو عصر القوة الخالصة، القوة التي يرفع أصحابها رايات العصيان في مواجهة القانون مهما علت حناجرهم بالنغمات النبوية وبأغاني الشعر مهما تلفعوا بكل أردية الثقافة والولاء للحضارة .

لقد انطلق المارد متسلحا بالكبرياء والأنانية، الصفتان العزيزتان. والمكابح لن تعمل على إيقافه. أما الحمقى فيتحدثون عن الترميمات، والانحيازات، والإئتلافات، يتحدثون عن التجارة الحرة، والاستقرار الاقتصادي، والإصلاح. لا أحد يؤمن من الأعماق بأن وضعية الواقع يمكن أن يعاد خلقها من جديد.

أترانا نفكر بالجمال مهما كان مُرًّا..؟

أم أننا نفكر بالطريقة ذاتها التي يسلكها أولئك المأساويون من كل صوب (شعراء وغير شعراء)؟

ثمة جذور مُرَّة للسلام والجمال علينا الحفر في التراب المشبع بالدم والجثث واكتشافها. هي الطريقة الوحيدة للتخلص من وزر آلام الصعود الحاد إلى القمة الميئوس من وصولها طالما السفوح لا تتدكس فوقها سوى الجماجم وسعالى الخوف.

وعلى حواف مستنقعات الثقافة حيث تجلس أرواحنا الغبية تغزل أقوالها المأثورة بيأس منتظرة الإنبات وحيث لا تسقط البذور إلا في تربة عقيم. وعندما يكون المثقف في الحضيض، ربما يغدو قلب الواقع رأسا على عقب واجبا.

وحين يعيش المثقف جحيمه، لا يعود باستطاعة الإنسان العادي أن ينجو من الجحيم. المثقف الآن في الحقيقة إذن منبوذ، شذوذ، وهو في طريقه إلى الانطفاء، ولكن من يهتم الآن؟ كيف يمكن للمثقف أن يجعل من نفسه مهولا ومطاعا.؟

إننا أمام خيارين، إما أن نفعل مثل هذا المثقف (الذي لا يعيش جحيمه) السائر في ركب أولئك المأساويين ونهبط معه إلى الحضيض ونتنكر لكل ما وقفت الحضارة إلى جانبه منذ أمد طويل، أو أن ندمر هذه الحضارة بأيدينا نحن.

ربما كان كل ما هو نبوي لا يتضح إلا في الزمان والحدث معا، وبهذه الوسيلة فقط يمكن للمرء أن ينظر أمامه ووراءه بالوضوح نفسه ويصبح تأسيس حلقة منطقية ومنسجمة ورائعة أمرا جائزا. لذلك لعلنا نتذكر جيدا، الكثير من أصحاب النغمات النبوية الذين غادرونا متباهين، هؤلاء الذين كانوا يعرفون كيف يغنون تحت التعذيب.

مع هذا تلك النفوس التي عايشت عهدا قاسيا مديدا وقاومت كل حصار، غادرت فقط من أجل أن تنحل أخيرا إلى اللاشيء. إلى الفناء التام.

إنها حقيقة جزئية بالتأكيد، لكن هذا الجانب من الحقيقة هو الذي يجب أن يهم المثقف. إنها بتعبير آخر الحقيقة التاريخية التي لا تستمد قوتها إلا من الواقع الحي وصيرورته. والتاريخ لابد له أن يعرف باعتباره قدر الإنسان.

اليوم أمامنا، إما الجنة، أو النار، ولا وسط بينهما. وكل الدلائل تشير إلى أننا اخترنا النار.

الاستمرار في النضال المجيد والبحث عن الجذور المرة للجمال؟

أو الموت والفناء بطريقة لم نخطط لها أبدا..

بالنسبة لي هذا النوع من الفناء هو تام الوضوح الآن. أن تحاول رفع غطاء التابوت بقبضة يائسة، ثم تنهار خائر القوى متمددا في الظلمة منتظرا الاختناق الرهيب المؤلم.

آنذاك لن يكون في وسعنا حتى أن نصرخ طالبين الرحمة.